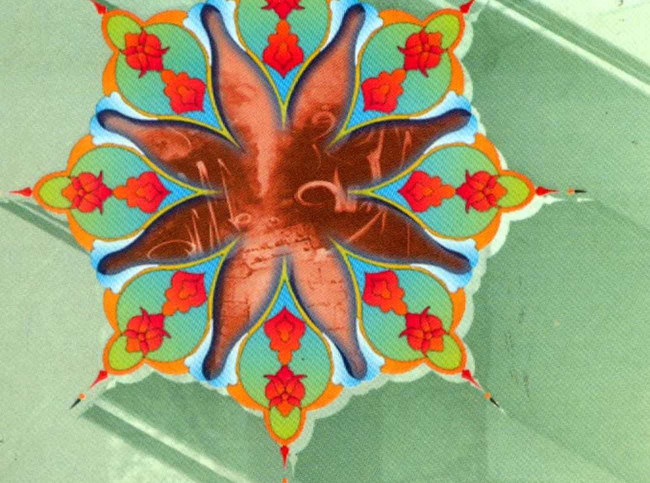
د. خيرى قدرى

معايير ومصطلحات الجرح والتعديل

عند نقاد المرويات بين النظرية والتطبيق

من خلال الرواة المتفق على توثيقهم

٢ - معايير ومصطلحات الضبط





د. خير قدري أيوب محمود

معايير ومصطلحات الجرح والتعديل

عند نقاد المرويات بين النظرية والتطبيق

من خلال الرواة المتفق على توثيقهم

٢- معايير ومصطلحات الضبط



الكتاب: معايير ومصطلحات الجرح والتعديل عند نقاد المرويات بين النظرية والتطبيق

الكاتب: د. خيري قدري أيوب محمود

(مصر)

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٥١٠١

الترقيم الدولي:I.S.B.N.977-291-825-0

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:
وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

محمود، خيري قدري أيوب.
معايير ومصطلحات الجرح والتعديل عند نقاد المرويات بين النظرية والتطبيق من خلال الرواة المتفق على توثيقهم ج٢ معايير ومصطلحات الضبط/ خيري قدري أيوب محمود. - ط١. - الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٧.
٢٠٨ ص؛ ٢١سم
تدمك: ٠-٨٢٥-٢٩١-٩٧٧
١- الحديث - الجرح والتعديل.
أ- العنوان ٢٣٤



- مركـز الحضـارة العربيـة مؤسسـة ثقافيـة مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربيـة إلى التعـاون والتبـادل الثقـافى والعلمـى مـع مختلـف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسـات، والتفاعـل مـع كـل الـرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الـواردة بالإصـدارات تعبر عـن آراء كاتبيهـا، ولا تعـبر بالضـرورة عـن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات – القاهرة
تليفاكس (00202) 3448368
www.alhdara-alarabia.com
E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

الإهداء

إلى أساتذتي

الدكتور/ حسين نصار

الدكتور/ محمود مكي

الدكتور/ محمود حجازي

الدكتور/ عفت الشرقاوي



معايير ومصطلحات الضبط

١- معيار ومصطلح الحفظ

معيار الحفظ مع العقل

انتبه المحدثون إلى أهمية العقل ودوره فى فهم وتحصيل العلم. قال ابن الجوزى المحدث فى كتابه (الأذكياء): "إن أجل الأشياء موهبة العقل فإنه الآلة فى تحصيل معرفة الإله، وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب وتدرك الغوامض وتجمع الفضائل، ولما كان العقلاء يتفاوتون فى موهبة العقل ويتباينون فى تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم - أحببت أن أجمع كتابا فى أخبار الأذكياء الذين قويت فطنتهم وتوقد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم"[1]. وجاء فى ترجمة (أبو بكر بن أبى مريم) أنه "لم يتهمه أحد بكذب، إنما سرق له حُلىٌ فأُنكر عقله، وقد ضعفه غير واحد. قال أبو داود: سرق لأبى بكر بن أبى مريم حلى..."[2].

لقد انتبهوا إلى الفروق الفردية بين البشر فى الذكاء والتحصيل، وانتبهوا إلى أثر العوامل النفسية على الصحة الجسدية. وكانوا يستدلون على عقل الرجل من عدمه من أقواله جاء فى ترجمة (عمرو بن جابر أبو زرعة) أن ابن لهيعة قال فيه: "كان ضعيف

---

(١) الأذكياء لابن الجوزى ص ٥، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥ ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) الميزان ٤٩٨/٧.

العقل، يقول: على فى السحاب"(١)(*).

والحفظ والعقل لهما اتصال كبير بمبحث الاختلاط، فالراوى قد يصيبه فى عقله شئ ثم يشفى منه وقد يعاوده المرض مرة أخرى، جاء فى ترجمة (محمد ابن الفضل السدوسى) الملقب بعارم أن البخارى قال: "تغير عارم فى آخر عمره، وبلغنى أن عارما أنكر سنة (٢١٣) ثلاث عشر ومائتين، ثم راجعه عقله، ثم استحكم به الاختلاط سنة (٢١٦) ست عشر ومائتين(٢).

والثقات لم يسلموا من وصفهم بالضعف العقلى من المتشددين، قال صالح جزرة فى "محمد بن المثنى" الحافظ المتفق على توثيقه: "صدوق اللهجة، فى عقله شئ"(٣)(*).

وقال أبو داود فى (محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم): "لم يكن بمحكم العقل"(٤).

وقال الأزدى فى (فضالة الشحام): "لم يكن يعقل ما يحدث به"(٥). وقد بالغ المعتزلة فى تمجيد العقل، ولست ضدهم؛ لكنهم وضعوا أحاديث فى فضله، وانتبه المحدثون لهذه الموضوعات فجعلوا الرواية القادمة من منكرات (بشر بن عبيد الدارسى - غير المريسى)، الذى روى بسنده إلى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده حديث "ما عبد الله بشىء مثل العقل"(٦).

---

(١) مختصر الكامل ص ٥٣٨. ترجمة رقم ١٢٨٠.

(٢) الميزان ٧/٧.

(٣) السابق ٤/٢٤.

(*) وقال أسد بن شبل فى عمرو بن برق: "إنه عدا على كتاب لعكرمة فنسخه، وجعل يسأل عكرمة ففهم أنه كتبه من كتبه، وقال: علمت أن عقلك لا يبلغ هذا". الميزان ٢٩٥/٣.

(٤) السابق ٦٣٢/٣.

(٥) السابق ٣٩٤/٣.

(٦) السابق ٣٢٠/١، ١٥٧.

وجعلوا من منكرات (الفضل بن سلام) متن حـديث: "علـيكم بالحجامة يوم الخميس؛ فإنه يزيد فى الإرب. قيل: يا رسـول الله! فما الإرب؟ قال: العقل"[1]. إن الحجامة مفيدة للعقل نعم والصـحة بصفة عامة؛ لكن وضع حديث واختصاص الحجامة بأيام معينـة، وحبكة الوضع السابقة – يجعل الرواية منكرة وبخاصة إذا رواها الفضل[*] بسنده مرفوعةً. وهذا المعيار (عدم عقل الـراوى لمـا يحدث به) ليسٍ على إطلاقه فى الحكم على الرجال، فقـد يـرى المتشدد أن فلانًا ضعيف العقل كما مر فى ترجمـة (محمـد بـن المثنى) المتفق على توثيقه؛ فقد جاء فى ترجمة (على بن المبارك) أن ابن معين وأبا داود وثقاه، وقال الذهبى: "تناكد ابن عدى بإيراده فى الكامل، فذكر قول سفيان ابن حبيب فيه: لم يكن سديد العقـل". ووضع الذهبى أمامه علامتى (خ، ع) مما يدل على أنه متفق على توثيقه[2]. وخالف الذهبى صالح بن محمد جزرة الذى قـال فـى (بشر ابن الوليد الكندى الفقيه): "هو صدوق، ولكنه لا يعقل كان قد خرف". وخالف السليمانى الذى قال فيه: " منكـر الحـديث"؛ لأن الدارقطنى وثقه؛ لذلك وضع الذهبى علامة (صح) أمامه التى تدل على أنه موثق[3].

إن المحدثين مثلما تحدثوا عن العقل فى كتب الجرح والتعـديل تحدثوا عنه فى كتب الدراية، فأول تعريف وصلنا للحديث الصحيح كان للشافعى فى الرسالة قال: إن الحجة لا تقوم إلا بخبر العاقل[4].

---

(١) مختصر الكامل ص ٦٢٤ (١٥٦٢).
(*) لم يكن أهلا أن يحمل عنه "ضعفاء ابن الجوزى رقم: ٢٧٠٩.
(٢) الميزان ١٥٢/٣. وللمزيد على تطبيق هذا المعيار انظر الميزان ٩/٤ (٨٠٥٩)، ٨/٤(٨٠٥٧)، المجروحين لابن حبان ٢١/٣ وتذكرة الحفاظ ص ٤٨٥، الميـزان ١٩٣/٣، ٢٥٣/٢.
(٣) الميزان ٣٢٧/١.
(٤) الرسالة ص ٣٧٠.

وقال ابن حبان فى مقدمة المجروحين - وابن حبان شافعى المذهب-: "وذلك أن المسلمين قاطبة ليس بينهم خلاف أن الخبر لا يجب أن يسمع عند الاحتجاج إلا من الصدوق العاقل"(١).

وقال ابن الصلاح: " أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلاً... متيقظا غير مغفل..."(٢).

وتناول الدارسون المعاصرون قول النقاد (ما رأيت أعقل من فلان) و(فلان العاقل) بالدراسة وجعلوه فى المرتبة الأولى من مراتب التعديل، حيث جعلها الشيخ مصطفى إسماعيل من أعلى عبارات التعديل(٣).

وبذلك الانتباه إلى أهمية العقل فى الحفظ الذى تبلور فى قولهم (لم يكن يعقل ما يحدث به) السابق للأزدى فى (فضالة الشحام) - يكون المحدثون قد نبهوا إلى ما يدرسه علماء النفس المعاصرون فى معاملهم من أن هناك علاقة بين العقل والتذكر حيث عرفوا الأخير بأنه (العملية العقلية التى تمكن الفرد من استرجاع الصور الذهنية البصرية والسمعية أو غيرها من الصور الأخرى التى مرت به فى ماضيه إلى حاضره الراهن(٤).

---

(١) مقدمة المجروحين ١٧/١.

(٢) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص ١٣٦.

(٣) شفاء العليل ص٩٤. وانظر تهذيب التهذيب ٧٣/١٠، ١٣٢/٦ وسير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٢ وقارن بشفاء العليل ص ٤٢٠، ٤٦٣.

(٤) انظر ص ١٤٣ من (الأسس النفسية من الطفولة إلى الشيخوخة) للدكتور فؤاد البهى السيد، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة١٩٧٥م، وص ١٥٢ من التربية والطبيعة الإنسانية للدكتور حسن إبراهيم عبد العال، عالم الكتب، الرياض، ط١ (١٤٠٥ - ١٩٨٥م).

ومن الألفاظ التي تصور أهمية العقل في الضبط والفهم قولهم: "ما رأيت أحسن عقلاً من فلان"؛ قال ابن مهدى: "ما رأيت رجلا أحسن عقلا من مالك بن أنس ولا أعلم بالحديث من سفيان"(١).

وقد يقولون: "فلان عقله أكثر من علمه" يريدون بذلك فهمه وتيقظه ودرايته؛ قاله ثعلب في داود بن على الظاهرى(٢).

ومثلما يستخدم المحدثون العقل في الضبط والإتقان يستخدمونه في الدراية والنقد؛ نقل السيوطى في التدريب عن ابن الجوزى قال: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع"(٣). والجهل وغياب العقل هو الذى جعل الوضاعين يقولون: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له!. يقصد ابن كثير وضاعى الأحاديث في الفضائل(٤). وتحدث الذهبى عن الاستحالة والجواز في سياق حديثه عن انحراف بعض أهل السنة في حكمه على بعض المتصوفة(*)، مدافعًا عن التصوف المعتدل، ومنبها إلى أن الجرح والتعديل دخل من هذا الباب في بعض حالاته غير المنصفة فقال: "قال شيخنا ابن وهب - رحمه الله -: ومن ذلك: الاختلاف الواقع بين المتصوفة وأهل العلم الظاهر، فقد وقع بينهم تنافر أوجب كلام بعضهم في بعض. وهذه غمرة لا يخلص منها إلا العالم الوافى بشواهد

---

(١) تاريخ بغداد ١٧٠/٩.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ٥٧٢/٢.

(٣) الباعث الحديث للشيخ أحمد شاكر مع اختصار علوم الحديث لابن كثير، ص٦٥.

(٤) اختصار علوم الحديث ص٦٦.

(*) انظر في مدح التصوف من قِبَل الذهبى ترجمة أبى مسلم الخولانى الدارانى التابعى الجليل في ٧/٤-١٤ سير النبلاء، ومحمد بن واسع البصرى التابعى الجليل ١١٩/٦- ١٢٣ سير النبلاء، وأويس القرنى، السابق ١٩/٤ - ٣٣، وهم عنده زاهدون صالحون عندهم جذور ما يسمى عند المتأخرين بالتصوف الحق المعتدل.

الشريعة. ولا أحصر ذلك فى العلم بالفروع؛ فإن كثيرًا من أحوال المحققين من الصوفية، لا يفى بتمييز حقه من باطله علم الفروع، بل لابد من معرفة القواعد الأصولية، والتمييز بين الواجب والجائز، والمستحيل عقلاً والمستحيل عادة"[١].

إنه يرى أن الخلاف بين أهل الجرح والتعديل وغيرهم – كالمتصوفة – لابد من إعمال العقل فى بعض أحكامهم الجائرة فى حق بعضهم – بالرجوع إلى القواعد الأصولية وعرض أحوال المتصوفة وأحكام الجارحين عليها.

الحفظ والفقه:-

نبه المحدثون إلى أنه يجب على الحافظ أن يكون فقيها والعكس، ذكر ذلك ابن حبان فى مقدمة (المجروحين) له، وجعل لكل حالة جنسًا، قال فى الحالة الأولى: (الجنس الرابع: الثقة الحافظ إذا حدث من حفظه وليس بفقيه، لا يجوز عندى الاحتجاج بخبره؛ لأن الحفاظ الذين رأيناهم أكثرهم كانوا يحفظون الطرق والأسانيد دون المتون، ولقد كنا نجالسهم برهة من دهرنا على المذاكرة، ولا أراهم يذكرون من متن الخبر إلا كلمة واحدة يشيرون إليها، وما رأيت على أديم الأرض من كان يحسن صناعة السنن، ويحفظ الصحاح بألفاظها، ويقوم بزيادة كل لفظة تزاد فى الخبر ثقة، حتى كأن السنن كلها نصب عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة – رحمة الله عليه– فقط. فإذا كان الثقة الحافظ لم يكن فقيها وحدث من حفظه، فربما قلب المتن، وغير المعنى حتى يذهب الخبر عن معنى ما جاء فيه، ويقلبه إلى شئ ليس منه، وهو

---

(١) الموقظة ص٨٨-٨٩.

لا يعلم، فلا يجوز عندى الاحتجاج بخبر من هـذا نعتـه، إلا أن يحدث من كتاب، أو يوافق الثقات فيما يرويه من متون الأخبار"[1].

وقال فى الحالة الثانية: "الجنس الخامس: الفقيه إذا حدث مـن حفظه، وهو ثقة فى روايته لا يجوز عندى الاحتجاج بخبره، إلا إذا حدث من حفظه، فالغالب عليه حفظ المتون دون الأسانيد، وهكـذا رأينا أكثر من جالسناه من أهل الفقه، كانوا إذا حفظـوا الخبـر لا يحفظون إلا متنه، وإذا ذكروا أول أسانيدهم يكون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يذكرون بينهم وبين النبى ﷺ أحدًا. فـإذا حدث الفقيه من حفظه فربما صحف الأسماء وقلب الأسانيد، ورفع الموقوف، ووقف المرسل، وهو لا يعلم لقلة عنايته به، وأتى بالمتن على غير وجهه، فلا يجوز الاحتجاج براويته إلا مـن كتـاب، أو يوافق الثقات فى الأسانيد وإنما احترزنا من هذين الجنسين؛ لأنـا نقبل الزيادة فى الألفاظ إذا كانت من الثقات"[2].

والحق أنّ واقع المحدثين كان يشترط - وبخاصة فى العصور الأولى - الجمع بين "الحفظ والفقه والفهم، والعلم بالعلل، والرجال، والناسخ والمنسوخ؛ وأنّ منهم من مزج الحديث بالفقه والاجتهاد فى الأحكام. كما صنع البخارى فى تراجم وأبواب كتابه، والإمام مالك فى موطئه. والترمذى فى سننه. ومنهم من لم يصنع ذلك اقتصارًا على المتون والأسانيد لا عجزًا ولا قصورا فى الفقه والفهـم بـل

---

(١) مقدمة المجروحين لابن حبان ص ٩٣، تحقيـق محمـود إبـراهيم زايـد، ط٢ ١٤٠٢هـ - ومما تجدر الإشارة إليه أن الفقه فى اللغة معناه (الفهم والعلم)، انظر مادة فقه (المصباح المنير ص ٤٧٩)، لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) السابق ص ٩٣ - ٩٤.

اقتصارًا على الجمع، وذلك كما صنع الإمام مسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه. وغيرهم كثيرون[١].

وقد نبه المحدثون أيضًا إلى خطر عدم اشتغال بعض المحدثين بالفقه، قال الخطيب البغدادى: "..... وأهل العلم فى حفظه متقاربون، وفى استنباط فقهه متباينون، ولهذا قال النبى ﷺ: (نَضرَ الله امرءًا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، أو رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[٢]. فأخبر ﷺ أنه قد يحمل الحديث من يكون له حافظا، ولا يكون فيه فقيها، وأكثر كتبة الحديث فى هذا الزمان[٣]. بعيد من حفظه، خال من معرفة فقهه، لا يفرقون بين معلل وصحيح، ولا يميزون بين معدل من الرواة ومجروح، ولا يسألون عن لفظ أشكل عليهم رسمه، ولا يبحثون عن معنى خفى عنهم علمه، مع أنهم قد أذهبوا فى كتبه أعمارهم، وبعدت فى الرحلة لسماعه أسفارهم، فجعلوا لأهل البدع من المتكلمن، ولمن غلب عليه الرأى من المتفقهين - طريقا إلى الطعن على أهل الآثار، ومن شغل وقته بسماع الأحاديث والأخبار، حتى وصفوهم بضروب الجهالات، ونبزوهم بأسوأ المقالات، وأطلقوا ألسنتهم بسبهم، وتظاهروا بعيب المتقدمين وثلبهم وضربوا لهم المثل بقول الشاعر:

زوامل للأسفار لا علم عندهم	***بجيدها إلا كعلم الأباعر***
لعمرك ما يدرى المطىُّ إذا غدا	***بأحماله أو راح ما فى الغرائر***

---

(١) الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ص٢١، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م. ط عالم المعرفة، جدة.

(٢) قال محققه: إسناده صحيح.

(٣) توفى الخطيب سنة ٤٦٣هـ.

كل ذلك لقلة بصيرة أهل زماننا بما جمعوه، وعدم فقههم بما كتبوه وسمعوه، ومنعهم نفوسهم عن محاضرة الفقهاء، وذمهم مستعملي القياس من العلماء، لسماعهم الأحاديث التي تعلق بها أهل الظاهر في ذم الرأى والنهى عنه، والتحذير منه، وأنهم لم يميزوا بين محمود الرأى ومذمومه[١]؛ بل سبق إلى نفوسهم أنه محظور على عمومه، ثم قلدوا مستعملي الرأى في نوازلهم، وعولوا فيها على قولهم ومذاهبهم، فنقضوا بذلك ما أصلوه، واستحلوا ما كانوا حرموه، وحق لمن كانت حاله هذه أن يطلق فيه القول الفظيع، ويشنع عليه بضروب التشنيع"[٢].

وهذه الرؤية النظرية انعكست على تراجم الرجال الذين حفظوا أو فقهوا فقالوا بتعديلهم وبوّؤهم أعلى المراتب وأعطوهم أفضل وأعلى ألفاظ التعديل، قالوا في (محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم): "الإمام الحافظ فقيه عصره"[٣]. وقالوا في "الكوسج": "الحافظ الإمام الفقيه"[٤]. وقالوا في (الزعفراني): الحافظ الفقيه الكبير"[٥]. وقالوا

---

(١) شهادة حق من إمام منصف، اعتدل في حكمه، ولم ينحرف عن الصواب، ومع أن الكتاب الذى ذكر فيه الخطيب هذا الكلام يسمى (الفقيه والمتفقه) إلا أنه محدِّث فيه بنسبة مائة في المائة، وكان عليه أن يسميه (الحديث والمحدثون) فكل شيء فيه من وجهة نظر المحدثين بدليل أنه قال: "...اهتماماً لأمرين: أحدهما: "...متقدمي أئمة أهل الحديث، القائمين بحفظ الشريعة، لأنهم رأس مالي، وإلى علمهم مآلي، وبهم فخرى وجمالي نحو: مالك، والأوزاعي، وشعبة والثورى ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدى، وعلى ابن المديني، وأحمد بن حنبل، وابن معين، ومن خلفهم من الأئمة الأعلام. "الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى" ٢/١٤٠ ودافع عن المحدثين لا الفقهاء في ٢/٤٩: .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/١٩٣-١٤٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ص٥٤٦.

(٤) السابق ص٥٢٤.

(٥) السابق ص ٥٢٥.

فى "عمرو الناقد": ثقة فقيه صاحب حيث من الحفاظ المعدودين[١].

معايير ومصطلحات الحفظ والفهم والذكاء والعمر العقلى:

التعليم عند سقراط هو (تذكر متجدد). والتذكر فى جزء منه تذكر لمحفوظ؛ لكن سقراط يرى أن على المعلم - وجزء من عمله تحفيظ التلاميذ - أن يكون كالقابلة، يجعل تلميذه يلد المعارف وذلك عن طريق الحوار والأسئلة[٢].

وعند أفلاطون لابد من استخدام القسوة المعتدلة مع التلاميذ أثناء تعليمهم، "ويبدأ تدريس الثقافة فى وقت مبكر عبر القصص التى يرويها الأهل لأولادهم، ويعلق أفلاطون أهمية كبيرة على محتوى تلك القصص؛ لأن تلك الانطباعات الأولى تشكل نفس الولد اللينة وتحدد طبعه"[٣]. وهل يتم هذا إلا بالتلقين الواعى المنظم؟! ويشدد أفلاطون كثيرًا، ومرات عديدة، على الرقابة، التى لا يفلت منها حتى هوميروس"[٤].

وفى سن السادسة يدخل الأولاد إلى المدرسة، حيث يبدأون أولاً بتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب. وفى سن العاشرة، يخصص للولد ثلاث سنوات للدروس الأدبية؛ وحين يبلغ الثالثة عشرة من عمره، يكون الوقت قد حان للشروع فى دراسة القيثارة،

---

(١) السابق ص ٤٤٦ وللمزيد انظر السابق ص ٥٠ ترجمة ٢٩، ص٥١ ترجمة ٣١، ٥٤ ترجمة ٣٨، ص١٠٧ ترجمة ٩٦، ص١٢٩ ترجمة ١١٦، ص١٨٣ ترجمة ١٧٨، ص٢٠٧ ترجمة ١٩٩، ص٢١٢ ترجمة ١٩٩، ص٤١٧ ترجمة ٤٢٣، ص٤٨٢ ترجمة ٤٩٧.

(٢) ص١٨٤ من (مفكرون من أعلام التربية) جـ٢، مطبوعات اليونسكو، مكتب التربية الدولى، المجلد الرابع والعشرون، ط ١٩٩٤م.

(٣) السابق ص ١٨٧.

(٤) السابق: نفسه.

وهى دراسة تفرد لها ثلاث سنوات، وفى سن الثانية عشرة، يدعى الناشئة إلى الانصراف كليا للتمارين الرياضية أو العسكرية، وهذا ما يقابل سن البلوغ التقليدية.

فى سن العشرين، تبدأ الدراسات العليا للذين تم اصطفاؤهم لمتابعتها؛ استنادًا إلى نتائجهم السابقة[1].

أى أن الذين تقع عليهم هذه التربية يعتمدون على الحفظ المنظم، والتلقين الواعى الهادف فى مرحلة من مراحل عمرهم ثم تبدأ مرحلة جديدة وهى مرحلة إنتاج المعرفة، حيث إن "طلاب أفلاطون لا يقبلون على دراسة الفلسفة أو الجدل إلا فى سن الثلاثين[*].

ويشابه هذا ما حدث مع المحدثين، بقصد، أو دون قصد، لماذا؟ لأن حفظ القرآن أولى وأهم من حفظ الحديث، فشاءت إرادة الله أن يقبل طلاب الحديث عليه وهم فى سن كبير، فى مرحلة الوعى؛ لذلك ليس عجبًا أن يقول ابن خلاد وغيره: "ينبغى للشيخ أن لا يتصدى للحديث إلا بعد استكمال خمسين سنة. وقال غيره: أربعين سنة وقد أنكر القاضى عياض ذلك؛ بأن أقواما حدثوا قبل الأربعين، بل قبل الثلاثين، منهم: مالك بن أنس، ازدحم الناس عليه وكثير من مشايخه أحياء".

لقد تسلم المحدثون طالب العلم كبيرًا بعد حفظ القرآن وشئ من الفقه الذى يتعبد لله به، ربما يقسو محفظو القرآن على التلاميذ الصغار- مما دعا المربين المعاصرين إلى التنبيه إلى الرفق بهم، وهذا أمر نبه إليه ابن خلدون لأن القسوة على الطفل قد تعلمه

---

(١) السابق ص ١٨٨.

(*) نقل إخوان الصفا عن أفلاطون قوله: "العلم تذكر والجهل نسيان": رسائلهم ٢٩٣/٣، المطبعة العربية، أربعة أجزاء ١٩٢٨م.

الجبن والكذب[*]، والقسوة المعتدلة أمر اشترك فيه اليونانيون مع المسلمين و"قبل المدرسة، تقع تربية الأولاد على عاتق الأهل (فى الجمهورية تتم تربيتهم جماعيا دون أن يعرف الولد والديه) الذين يتعين عليهم معاملتهم بقسوة معتدلة؛ لأن "الرخاوة تجعل طبع الولد صعبا سريع الانفعال وعرضه لبوادر غضب عنيفة لأسباب تافهة، كما أن فرض قيود قاسية وشديدة تجعل منهم أشخاصا خنوعين أذلاء، مبغضين للبشر، وغير مهيأين للحياة الاجتماعية"[١]. والحق أنّه ينبغى أن تكون قسوة ذات هدف ولها غاية ومعتدلة كما سبق.

قال ابن خلدون – واصفًا للواقع التربوى الإسلامى-: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار أصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات؛ وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه"[٢].

وقد نبه علماء الصحة النفسية إلى ما نبه إليه اليونانيون والمحدثون، قالوا: "يجب أن نجنب الأطفال الكسل والبطالة والدعة والراحة؛ لأن أروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس. السعادة فى الدنيا والسعادة فى العقبى لا يوصل لها إلا على جسر من التعب... فإذا رأى الوالدان أن الطفل حسن الفهم، صحيح

(*) المقدمة ص ٥٤٠ ط دار الشعب، الفصل الحادى والثلاثون.

(١) مفكرون من أعلام التربية، ص ١٨٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٥ ط دار الشعب.

الإدراك، جيد الحفظ واع فهذه من علامات قبوله وتهيؤه للعلم، وإن رأى الوالد خلاف ذلك فعليه أن يحول طاقاته إلى أمور حرفية أخرى يجد فيها الطفل متنفسًا لتوظيف هذه القدرات(١).

وممن شارك برأيه فى اشتراط صفة الوعى فى طلب العلم- الفارابى، حيث أشار إلى خصال يجب أن تتوفر فى الرئيس، رئيس المدينة الفاضلة يمكن إيجازها فيما يلى:

أن يكون تام الأعضاء، سليم الجسم، وأن يكون جيد الفهم والتصور، وأن يكون جيد الحفظ لما يفهم ولما يراه ويسمعه، وأن يكون جيد الفطنة ذكيا، إذا رأى الشىء بأدنى دليل فطن له، وأن يكون محبا للتعليم والاستفادة، وأن يكون معتدلاً فى طلب الملذات، وأن يكون محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله(٢).

وممن شارك الجميع الجاحظ المعتزلى، قال: "قالوا الحفظ عدو الذهن؛ ولأن مستعمل الحفظ لا يكون إلا مقلدًا، والاستنباط هو الذى يفضى بصاحبه إلى برد اليقين وعز الثقة، والقضية الصحيحة أنه متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط، ومتى أهمل النظر لم تسرع إليه المعانى، ومتى أهمل الحفظ لم تعلق بقلبه، وقل مكثها

---

(١) د. سيد صبحى، الإنسان وصحته النفسية ط ١٤٠٧هـ- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ط المطبعة التجارية الحديثة ص١٨٥. ومن الطريف أنه نقله من المحدث (ابن القيم) من تحفة المودود بأحكام المولود عن ص ١١ من ط١ ١٩٧٩، دار الكتاب العربى بيروت.

(٢)عادل الأشول، علم النفس الاجتماعى ص ٣٥٢ - ٣٥٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٨٧م. وفى أهمية الحفظ وأن يروى الصبى الرجز ثم القصيد انظر ص ٢٣٠ من التربية فى الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، ط دار المعارف.

فى صدره، وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط"[١]. والجاحظ يدعو إلى تكامل الحفظ والفهم معًا.

كما أن الفراعنة نبهوا إلى أهمية الحفاظ قال أساتذة تاريخ التربية والتعليم: "غلب على تعليم القراءة والكتابة استخدام الأشكال التقليدية فى التدريس، وأهمها التقليد والتكرار، وخاصة إذا علمنا صعوبة تعلم اللغة المصرية القديمة،... وأما الأدب فكان يعلم بطريقة الحفظ والاستظهار، وخاصة الأدب الدينى، وأما مناقشة النصوص الدينية وشرحها فكانت حقا قاصرا على كبار الكهنة، ولذلك فقد اعتمدت طريقة تدريسها على الحفظ الآلى، وقد أدى هذا النوع من الثبات فى التقاليد المصرية القديمة والحياة الاجتماعية، ووقع العقل أسيرًا لقدسية الكلمات التى لو أخطأ المصرى القديم فيها حقت عليه لعنة الآلهة وغضبها..."[٢].

وإذا كان اليونانيون بنوا طريقة الحفظ فى مراحل الطفولة على الحفظ الواعى والحوارات - حوارات أفلاطون - فإن علماء الحديث نبهوا إلى مثل هذه الأشياء من مثل:

الحفظ مع الفهم:

أشار علماء التربية إلى أن المعرفة التى يحصلها الإنسان صنفان كبيران، الأول: معرفة عن الشىء Knowledge about،

---

(١) مجموعة رسائل الجاحظ تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، رحمه الله، جـ٣، ص ٢٩-٣٠، القاهرة، ١٩٧٩. وفى جهود المعتزلة فى التربية انظر "مدارس التربية فى الحضارة الإسلامية، دراسة وتطبيق" د. حسان محمد حسان ود. نادية جمال الدين، دار الفكر العربى ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. ص٢٨.

(٢) تاريخ التربية والتعليم، د. سعد مرسى أحمد، د. سعيد إسماعيل على، عالم الكتب، ١٩٨٠، ص٣٣، القاهرة.

والثانى: تعرف بالشىء Knowledge of acquaintance[1]. وقد انتبه علماء الحديث إلى مثل هذه الأمور، فقاموا بتقسيم علم الحديث إلى جانب تطبيقى هو (علم الرواية) وآخر نظرى (علم الحديث دراية)، وسبق أن اعترضت على هذا المسمى فى رسالتى للماجستير وقلت: إنه علم له أصول ومباحث ومسائل وليس علوما، وليس هناك علم رواية وآخر علم دراية، فهو مثل كل العلوم له قواعده وأصوله ثم تطبيقاته، والمقصود بالدراية قواعد وأصول هذا العلم التى تجعل (الراوى) على دراية بما يروى: هل هو صحيح أم باطل؟ وشروط التحمل والأداء... الخ. وقد تحدثنا فى مباحث الدراية عن علم الحديث الذى يضطلع بتفسير الألفاظ العربية والمعانى الصعبة؛ لأنهم أدركوا أن لهذا الشرح والتفسير أثرًا كبيرًا فى سرعة الحفظ.

وخير شاهد على التطبيق والتنظير هو النصوص، تلك الأدلة المادية، التى تقنع طلاب العلم وأساتذته:

قال الحاكم فى "معرفة علوم الحديث" - الجانب التنظيرى-: "إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط، وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع؛ وليس لهذا النوع من العلم أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث، فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة فى كتابى الإمامين البخارى ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علته"[2].

---

(١) التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجى د. سيد أحمد عثمان، ص١٦٥، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م. الأنجلو المصرية.

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٥٩، مكتبة المتنبى، حققه الدكتور السيد معظم حسين.

وانعكس اشتراط الفهم مع الحفظ على أحكامهم على الرواة، قال الذهبى فى التذكرة: "يحيى بن بكير، قال أبو حاتم: كان يفهم هذا الشأن[١]. وقال حماد بن زيد فى حجاج بن أرطأة: كان أفهم لحديثه من سفيان[٢]. وقال ابن عدى: " قال أبو حاتم الرازى: ما خلفت بعده مثله: علما وفقها وصيانة وصدقا، وهذا ما لا يرتاب فيه، ولا أعلم من المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله، ولقد كان من هذا الأمر بسبيل) [٣]. وقال ابن يونس فى (نعيم بن حماد): كان يفهم الحديث[٤].

وروى الخطيب البغدادى فى الفقيه والمتفقه[٥] بسنده مرفوعا إلى الرسول ﷺ: "كونوا دراة ولا تكونوا رواة، حديث تعرفون فقهه خير من ألف تروونه" أ.هـ. ومع أن الحديث مما عملته أيدى الرواة؛ لأن الرواية والدراية مصطلحات حادثة؛ إلا أننى أوردته للدلالة على أن المحدثين كانوا على وعى بعملية الدراية. والقراءة مع الفهم نبه إليها علماء الحديث - وإن كان السياق سياق حديث فى الآداب ومنها الشعر؛ روى الذهبى نقاشا حثد بين أبى بكر محمد بن داود بن على الظاهرى وابن سريج فقال: "... فغضب ابن سريج، وقال: أنت بكتاب (الزهرة)[*] أمهر منك بهذه الطريقة، وقال وبكتاب (الزهرة) تعيرنى؟ والله ما تحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم..."[٦].

---

(١) ص ٤٢٠، ٤٢٥ من تذكرة الحفاظ. وانظر الميزان ٣٩١/٤ نفس الترجمة.
(٢) الكاشف للذهبى ٢٠٥/١.
(٣) مختصر الكامل لابن عدى: ص٨٧.
(٤) الميزان ٢٧٠/٤.
(٥) الفقيه والمتفقه: ١٥٦/٢-١٥٧ وحكم محققه بضعفه ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الرياض، السعودية.
(*) ذكر الذهبى أن محمد بن داود الظاهرى له كتاب (الزهرة) فى الآداب والشعر (سير النبلاء: (١١٠/١٣).
(٦) السابق ١٠٩/١٣.

وانعكس شرط الفهم على ألفاظ الجرح والتعديل، فقد يقول أحدهم: "فلان من أهل الفهم والأمانة" قاله ابن خراش فى محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ(١).

ونقل الذهبى عن ابن حزم أنه جعل شرط "الدراية" من شروط العلماء فقال: "قال أبو محمد بن حزم فى بعض تواليفه: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها... قال: وما نعلم هذه الصفة - بعد الصحابة- أتم منها فى محمد بن نصر المروزى، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر، لما أبعد عن الصدق"(٢).

أما النص القادم فهو يحمل دلالة قطعية الثبوت على أن المحدثين ميزوا بين الحفظ فقط، والحفظ مع الفهم، جاء فى ترجمة (يحيى بن محمد بن صاعدين كاتب مولى أبى جعفر المنصور أنه الحافظ الإمام الثقة). وقال الدارقطنى: ثقة ثبت حافظ، وقال أحمد ابن عبدان - الشيرازى: هو أكثر حديثا من محمد بن محمد الباغندى، ولا يتقدمه أحد فى الدراية. قال أبو على النيسابورى: لم يكن بالعراق فى أقران ابن صاعد أحد فى فهمه، والفهم عندنا أجل من الحفظ، وهو فوق ابن أبى داود فى الفهم والحفظ"(٣).

وحذر المحدثون من عدم الفهم بالنسبة لبعض طلاب الحديث فقالوا: (سليمان ابن عبد الرحمن. قال أبو حاتم: سليمان أروى الناس عن الضعفاء، وعندى هو فى حد لو وضع له حديث لم

---

(١) شفاء العليل بألفاظ الجرح والتعديل للشيخ مصطفى إسماعيل ص٦٣، مكتبة ابن تيمية ،مصر، ط١ ١٤٠٠هـ - ١٩٩١م. وانظر أيضاً ص٣٣.

(٢) سير النبلاء ١٤/٠٤.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى: ٢/٧٧٦ ترجمة ٧٧١.

يفهم"[١]. وقالوا فى (محمد بن كثير المصيصى): "قال أبو داود: لم يكن يفهم الحديث"[٢].

ونبهوا إلى ما يسمى الآن بـ (أصحاب التربية الخاصة)، فاقدى بعض النعم كالسمع والنطق والرؤية، حيث تودعهم الدول المتقدمة الآن فى بيوت للرعاية الخاصة من مثل معاهد السمع والكلام ومدارس التربية الفكرية ذكروا أن (سليمان بن حرب) قال فى (عفان بن مسلم الصغار): "كان بطيئا، ردئ الحفظ بطئ الفهم. قال: والله! لقد دخل عفان قبره وهو نادم على رواياته عن شعبة[٣].

إن المحدثين بتنبيههم على الفهم بجانب الحفظ يكونون قد وافقوا - فى سبق لهم- علماء التربية المعاصرين، قال أحد رواد التربية، وهو الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى مسجلاً خلاصة آرائه فى العملية التعليمية: "ونحن نرى أن موازين الاختبار - تحصيل الطلاب- لا تعتمد على الذاكرة وحدها؛ بل على الفهم أيضا. فهى اختبار للذاكرة والذكاء معًا"[٤].

الحفظ والذكاء:-

انتبه المحدثون إلى أهمية الذكاء فى الفهم والتحصيل فمدحوا الرواة الذين جمعوا بين الذكاء والحفظ، ونبهونا إلى ذلك فى مواطن كثيرة، منها ما جاء فى ترجمة "محمد بن جرير الطبرى" من أنه "أكثر الترحال ولقى نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ٤٣٨.
(٢) الميزان ٤/١٨-١٩.
(٣) مختصر الكامل لابن عدى ص٦١٦رقم ١٥٥٠.
(٤) التربية فى الإسلام ص١٨٨ للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، ط دار المعارف، ١٩٨٣م.

علمًا وذكاءً، وكثرة تصانيف[1]. وما جاء فى ترجمة البخارى من أنه (شدا وصنف وحدث وما فى وجهه شعرة، وكان رأسا فى الذكاء، رأسًا فى العلم، ورأسا فى الورع والعبادة[2].

وجاء فى ترجمة (عبد الله بن مظاهر) أنه "الحافظ البارع، أحد الأذكياء الأفراد، أبو محمد الأصبهانى. بلغنا أنه حفظ المسند جميعه، ثم شرع فى حفظ أقوال الصحابة[3].

وقالوا بالذكاء فى النصوص التالية؛ لكنهم استعملوا مرادفات له، فأطلقوا الكياسة ومدحوا من توفرت فيهم هذه الصفة، مثلما جاء فى ترجمة (فطر بن خليفة الذى روى له البخارى ووثقه أحمد وغيره – وقال أحمد مرة: ثقة حافظ كيّس[4].

وقال العجلى: "معلى بن أسد العمّى: بصرى ثقة شيخ كيس وكان معلما[5]. وقال أيضا: "هشام بن إسماعيل العطار: ثقة، رجل صالح، شيخ كيس صاحب سنة"[6].

ونقل ابن عدى: "... قال أبو عروبة فى محمد بن يحيى بن كثير: كان كيسا من أهل الصناعة، ولم يأنف مشايخنا حين قدم إبراهيم بن سعيد الجوهرى أن خرجوا إليه، فكتبوا عنه: محمد بن يحيى بن كثير وابن شكام وغيرهما"[7]. وعد الشيخ مصطفى

---

(١) سير النبلاء: ٢٦٧/١٤.
(٢) تذكرة الحفاظ ص ٥٥٥.
(٣) سير النبلاء ٥٦٣/١٤.
(٤) الميزان ٣٦٤/٣.
(٥) ثقات العجلى ص ٤٣٥.
(٦) السابق ص ٤٥٦.
(٧) مختصر الكامل ص٨٩.

إسماعيل قولهم: "فلان فطن صحيح كيس" من ألفاظ التعديل الرفيعة جدًا التى يحتج بمن قيلت فيهم[١].

والحق أن المحدثين لم يكتفوا بالحكم على الرواة بالذكاء فى الكتب (الخالصة) لرواة الحديث فقط بل تعدى هذا الأمر إلى الحكم على غير المشتغلين به فى كتب التاريخ، والموسوعات التى صنفها المحدثون أنفسهم، قال الذهبى: "محمد بن زكريا. الرازى الطبيب صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه"[٢].

وجاء فى ترجمة محمد بن داود بن على الظاهرى أنه "يضرب المثل بذكائه"[٣]. ومع أن (الخبيث) (طاغية الزنج) - "على بن محمد بن عبد الرحمن العبدى، - افترى، وزعم أنه من ولد زيد بن على العلوى، وكان منجما طرقيا، وحروريا ماكرًا، وداهية منحلاً، على رأى فجرة الخوارج- كل هذا لم يمنع الذهبى من أن يقول: (كان ذكيا)[٤].

وجاء فى ترجمة فيلسوف الأندلس، أبو بكر، محمد بن يحيى بن الصائغ السرقُسطى الشاعر. أنه (كان يضرب به المثل فى الذكاء)[٥].

ونقل الذهبى عن ابن بَشْكُوال أنه قال فى (أبى الحسن على بن عبد الله ابن محمد بن سعيد بن موهب، الجذامى الأندلسى كان من أهل المعرفة والعلم والذكاء والفهم، حجة"[٦].

---

(١) شفاء العليل ص٤٥ وللمزيد من ورود كلمة (كيس) فى التراجم انظر ص٤٨٤، ٤٥٨ من تذكرة الحفاظ والميزان ٣٥/٢، ٢٥/٤، وهدى السارى لابن حجر ص ٥٧٠.

(٢) سير النبلاء ٣٥٤/١٤.

(٣) السابق ١٠٩/١٣.

(٤) السابق ١٢٩/١٣.

(٥) السابق ٩٣/٢٠.

(٦) السابق ٤٨/٢٠.

ومثلما قالوا بالذكاء والكياسة قالوا بتوقد الذهن، قالوا في "الضبي، أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي": "له ذهن وقاد"[١]. ولم يَنْسَ المحدثون تسجيل ظاهرة الذكاء التي لاحظوها على الرواة الذين اشتغلوا بغير الحديث وكانوا مقلين من الرواية، مما اضطرهم إلى تسجيل أسمائهم وما قيل فيهم في كتب الجرح والتعديل، لقد غلب عليهم الاشتغال بأحد العلوم مع الرواية القليلة، كباقي التراجم الستة السابقة فإنهم لم يكونوا رواة للحديث. جاء في ترجمة "عين القضاة: "عبد الله بن محمد" الذي له كلام في التصوف البدعي الفلسفي – أنه: أحد أذكياء بني آدم"[٢].

وجاء في ترجمة (السيف) الآمدي أنه "المتكلم صاحب التصنيف، على ابن أبي على قد نفي من دمشق لسوء اعتقاده، وصح عنه أنه كان يترك الصلاة، فنسأل الله العافية. وكان من الأذكياء"[٣].

وجاء في ترجمة (الشهاب السهروردي الفيلسوف"؛ أنه "قتل لسوء معتقده، وكان أحد الأذكياء"[٤]. و "محمد بن علي القاضي أبو الحسين البصري" هو شيخ المعتزلة، ليس بأهل للرواية... وله تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته"[٥].وعلى بن عقيل: "حنبلي، وأحد الأعلام، وفرد زمانه علمًا ونقلاً، وذكاءً وتفننا" ومع ذلك فقد (خالف السلف) ووافق المعتزلة في عدة بدع"[٦]. أما أبو

---

(١) السابق ١٤/٣٦١.

(٢) الميزان ٣/٣٢٠، وقد وردت كلمة (لبيب) في ترجمة ابن ماكولا (كان لبيباً حافظا عارفا يرشح للحفظ) تذكرة الحفاظ ص ١٢٠٤ وانظر شاهداً آخر على الذكاء في ص ٤٦١- ٤٦٢ من مختصر الكامل لابن عدى.

(٣) الميزان ٢/٢٥٩

(٤) السابق ٢/٢٨٢.

(٥) السابق ٣/٦٥٥.

(٦) السابق ٣/١٤٦.

الفرج الأصبهانى فهو: "صدوق، تصانيفه كثيرة سائرة. وكان سريع البادرة"(١).

وفى أثناء حكم النقاد على الرواة بأنهم حفاظ وفقهاء وأصحاب ذكاء قد يكون فى العقليات، أو الطب، أو أى مجال، قد يكون ذكاءً سياسيًا كما فى ترجمة (طاغية الزنج على بن محمد بن عبد الرحمن العبادى)، أى أن أفعال وأقوال وكل تصرفات الإنسان قد تدل على ذكائه أو غبائه، كما أشاروا فى اشتراطهم للفهم إلى أن بعض الرواة "بطئ الفهم" والفيصل فى الحكم على الرواة بالذكاء عندهم هو سرعة التحصيل، وقد وردت مشتقات لفظ" عندهم فى مواطن منها:

جاء فى ترجمة أحد الرواة: "قال عمر بن الحاجب: كان إماما ثقة حافظا مبرزًا فصيحا حصل ما لم يحصل غيره"(٢).

وجاء فى ترجمة أحدهم:"قال أبو محمد المنذرى يقال إنه لم يبلغ أربعين سنة، وكان فهما متيقظا محصلاً جمع مجاميع وكانت له همة جيدة"(٣).وجاء فى ترجمة أحدهم: "وسمع الحافظ عبد الغنى إذ ذاك المعجم الكبير وحصله"(٤). وجاء فى أخرى: "طوف أبو الوليد البلاد وحصل الأسانيد والغرائب"(٥).

---

(١) السابق ٣/١٢٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ص ١٤٠٤.

(٣) السابق ص ١٤٠٥.

(٤) السابق ص ٩١٧.

(٥) السابق ص (١١٥٥) ثم بعد جمع مادة كافية وجدت مصطلح (التحصيل) فى كتاب الشذا الفياح (مرجع قادم) ٤٠٨/١ فى مبحث (آداب طالب الحديث)، قال الأبناسى: "ويجتهد فى تحصيل الفائدة سواء وقعت له بعلو أو نزول".

أردت بسوق الأمثلة الاستدلال على أن المحدثين استخدموا مصطلح (التحصيل) بمشتقاته قاصدين به (الحفظ) من أجل الاستفادة بالمحفوظ واسترجاعه وقت الحاجة إليه. وقد نبه المحدثون إلى أن الحكم على الرواة أو النقاد بالفهم أو الحفظ، لا يكون إلا بالاختبار، قال الذهبي: "ومع كون ابن عجلان متوسطا في الحفظ، فقد ورد ما يدل على جودة ذكائه، روى أبو محمد الرامهرمزي بسنده إلى يحيى بن سعيد القطان، قال: قدمت الكوفة وبها ابن عجلان، وبها ممن يطلب العلم مليح بن وكيع، وحفص بن غياث، وابن إدريس، ويوسف السمتي، فقلنا: نأتي ابن عجلان، فقال يوسف: نقلب عليه حديثه حتى ننظر فهمه - قال: ففعلوا فما كان عن سعيد عن أبيه - فعن أبيه جعلوه، وما كان عن أبيه جعلوه عن سعيد، فقال يحيى: لا أستحل؛ فدخلوا فسألوه فمر فيها، فلما كان عند آخر الكتاب انتبه الشيخ، فقال: أعد، فعرض عليه، فقال: ما سألتموني عن أبيه فقد حدثني علي بن يوسف بن خالد فقال: إن كنت أردت شيني وعيبي فسلبك الله الإسلام..."[1]. ومثال آخر على الاختبار لمعرفة التحصيل والنجاح في الاختبار - ما هو مشهور في مبحث (المقلوب) من أن "البخاري قدم بغداد، فاجتمع قبل مجلسه قوم من أصحاب الحديث. وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ثم حضروا مجلسه، وألقوها عليه؛ فلما فرغوا من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة؛ التفت إليهم فرد كلَّ متن إلى إسناده، وكلَّ إسناد إلى متنه؛ فأذعنوا له بالفضل"[2].

---

(١) الميزان ٣/٦٤٥.

(٢) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح لبرهان الدين الأبناسي، ١/٢٣٠، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

مع ملاحظة أنَّ نوع القلب يؤثر فى الحكم على الراوى، لـذلك نبه المحدثون قائلين: "إذا كان السبب يرجع إلى الاختبار والامتحان نحو قصة العلماء مع البخارى فهذا أمر جائز..."[١].

وقد نبه المحدِّثون إلى أهمية (اختبار) عدالة الراوى وضـبطه، لمعرفة درجة مروياته من القبول - بدرجاته - والرد - بدركاته - (الدرجات السلبية). قال ابن حبان: "الحسن بن على بن زكريا، أبو سعيد العدوى، كان ببغداد فى أحياء أيامنا، فأردت السـماع منـه للاختبار... ثم تتبعت عليه ما حدث به فلقيته قد حدث عن الثقـات بالأشياء الموضوعات"[٢]. وقال: "آباء بن جعفر، أبو سعيد. كـان يقعد يوم الجمعة بحذاء مجلس الساجى فى الجامع ويحدث، ذهبت إلى بيته للاختبار، فأخرج إليه أشياء خرجها فى أبـى حنيفـة،... فرأيته قد وضع على أبى حنيفة أكثر من ثلاثمائة حديث"[٣].

وقال أيضا: "أحمد بن محمد بن حرب الملحمى أبـو الحسـن. أردت السماع منه للاختبار فأخذت بعض الأجزاء من بعض مَـن كان معنا بجرجان لأسمع منه بعض ما فيه، فرأيته حدث عن على بن الجعد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: "قال رسول الله ﷺ: ليس الخبر كالمعاينة، فعلمت أنه كذاب يضع الحديث فلـم أشتغل به، ولكنى ذكرته ليعرف اسمه لئلا يحتج بـه مخـالف أو موافق فى شئ يرويه"[٤].

---

(١) ص١٣٢ من كتاب الدكتور صبرى المتولى- وفقه الله- علم الحديث النبـوى، ط مكتبة زهراء الشرق، ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م. مع ملاحظة أن القلب إذا كـان لغير الاختبار صار خطأ من الراوى يخل بضبطه إذا كان عن غير عمد، وسرقة إن كان عامدا.

(٢) المجروحين ٢٤١/١.

(٣) نقله الذهبى فى الميزان ١٧/١، وانظر المجروحين ١٨٤/١.

(٤) المجروحين ١٥٤/١.

وقال الذهبي: "أحمد بن محمد بن الصلت... كذاب وضاع". ونقل عن ابن حبان قوله: "راودني أصحابنا على أن أذهب إليه، فأسمع منه، فأخذت جزءًا لأنتخب منه، فرأيته حدث عن يحيى بن سليمان بن نضلة، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر- مرفوعا: رَدُّ دانق من حرام أفضل عند الله من سبعين حجة مبرورة. ورأيته حدث عن هناد، عن أبي أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: رد دانق من حرام أفضل عند الله من مائة ألف تنفق في سبيل الله. فعلمت أنه يضع الحديث، فلم أذهب إليه، ورأيته يروى عن جماعة ما أحسبه رآهم[1].

وطريقة "الاختبار" السابقة إذا كان الراويان متعاصرين، أما إذا تأخر الناقد زمنيا، أو لم يرحل إليه، بل وصلته مروياته وجادة، فإن "السبر" و(التتبع) و(التفتيش)... الخ تكون هي الطرق المثلى لمعرفة ضبط الراوي وعدالته.

قال أبو حاتم: "سبرتُ أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرا، فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفي عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات به"[2].

وقال ابن حبان: "الهذيل بن الحكم أبو المنذر. منكر الحديث جدا، فلست أدري السبب الموجب للمناكير في حديثه كان منه أو من عبد العزيز بن أبي رواد؟ لأن عبد العزيز ليس في الحديث بشيء، وإذا روى رجل مجهول لم يعرف بالعدالة عن ضعيف شيئًا

---

(١) الميزان: ١/١٤٠.

(٢) المجروحين لابن حبان: ١٢/٢.

منكرًا لا يتهيأ إلزاق القدح بأحدهما دون الآخر إلا بعد السبر، على أن مجانبة ما روى أحرى حتى توجد له رواية عن الثقات بما يوافق الأثبات متعرية عن المناكير"[١].وقد وردت كلمة (السبر) عند المحدثين عدة مرات غير ما سبق[٢].

أما لفظتا (تبحرت) و(فتشت) فقد وردتا عندهم مرات[٣]. ووردت لفظة (يتتبع خطأه)[٤]. مرة، ووردت كلمة (تدبرت)[٥] مرة واحدة. وقد أطلق ابن عدى ألفاظا من مثل: "ذهبت إلى الكرخ - أسيد بن زيد بن نجيح - ونزل فى دار الحذائين، فأردت أن أقول له: يا كذاب! ففرقت من شفار الحذائين. وقال النسائى: متروك الحديث. وقال ابن عدى: وأسيد هذا يتبين على رواياته الضعف، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه"[٦]. وقال فى موضع آخر، فى أحد التراجم: "أتيته إلى مكتبه"[٧]. ونقل الذهبى عن ابن عدى قوله فى على بن الجعد، الذى روى له البخارى: "لم أر فى رواياته حديثا منكرا إذا حدث عنه ثقة"[٨].

واستخدم ابن عدى لفظ (الاستقصاء) فى ترجمة "سعيد بن كثير بن عفير أبو عثمان البصرى". والنص نقله ابن حجر عن ابن عدى

---

(١) السابق ٩٥/٣.

(٢) انظر للمزيد ٢٧/٣ (السابق)، ١٢٣/٢، ٧٣/٢، ٢٤٠/١، ٤٣/٢، ٣١٤/١.

(٣) انظر فى (تبحرت) مقدمة تحقيق مختصر الكامل لابن عدى. وص١٨، ٣٠١، ٦٤٢/٣ ميزان وص ٣٠٢، ص١٦٣. وانظر فى "فتشت" نفس مواضع (تبحرت) بالإضافة إلى ٤٨/٧من سير النبلاء.

(٤) الميزان ١٨٤/٣.

(٥) تذكرة الحفاظ ص ١٦٧.

(٦) مختصر الكامل ص١٧٠.

(٧) السابق ص١٥٥.

(٨) الميزان ١١٦/٣ - ١١٧.

فقال: "وأورده ابن عدى فى الكامل ونقل عن الدولابى عن السعدى، قال: سعيد بن عفير فيه غير لون من البدع، وكان مخلطا غير ثقة، ثم تعقب ذلك ابن عدى فقال: هذا الذى قاله السعدى لا معنى له، ولا بلغنى عن أحد فى سعيد كلامٌ، وهو عند الناس ثقة ولم ينسب إلى بدع ولا كذب، ولم أجد له بعد استقصائى لحديثه شيئا ينكر عليه سوى حديثين رواهما عن مالك فذكرهما، وقال: لعل البلاء فيهما من ابن عبيد الله لأن سعيد بن عفير مستقيم الحديث"(١).

وقال الحاكم: "محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق... مرض فى الآخر، وتغير بزوال عقله سنة أربع وثمانين، وعاش بعدها ثلاث سنين قصدته فيها فوجدته لا يعقل"(٢). وقال ابن حبان فى أحد التراجم (ذاكرته) (٣). وقال - أيضا - فى موضع آخر: "خرجت إلى قريته فكتبت عنه - أحمد بن محمد بن الفضل القيسى- شبيها بخمسمائة حديث كلها موضوعة"(٤).

ومن طرق الاختبار (الإدخال) على الراوى، وبعدها يتم تحديد: هل هو ممن يقبل التلقين والإخال أم لا؟ روى ابن حبان: "سمعت هارون بن عيسى بن المسكين ببلد الموصل قال: سمعت أحمد بن منصور الرمادى يقول: كنا عند أبى نعيم نسمع من أحمد بن حنبل ويحيى بن معين؛ قال: فجاءنا يوما يحيى ومعه ورقة قد كتب فيها أحاديث من أحاديث أبى نعيم، وأدخل فى خلالها ما ليس من حديثه، وقال: أعطه بحضرتنا حتى يقرأ. وكان أبو نعيم إذا قعد فى تلك الأيام للتحديث كان أحمد على يمينه ويحيى على يساره، فلما

---

(١) هدى السارى لابن حجر ص ٥٧١.
(٢) الميزان ٤/٩.
(٣) السابق ١/١٣٠- ١٣١.
(٤) السابق ١/١٤٨.

خف المجلس ناولته الورقة فنظر فيها كلها ثم تأملنى، ونظر إليها ثم قال - وأشار إلى أحمد-: أما هذا فآدب من أن يفعل مثل هـذا، وأما أنت فلا تفعلن، وليس هذا إلا من عمل هذا، ثم رفس يحيى رفسة رماه إلى أسفل السرير، وقال: على تعمل! فقام إليه يحيى وقبله وقال: جزاك الله عن الإسلام خيرًا. مثل من يحدث إنما أردت أن أجربك"[1]. والتجريب هنا له معنى غير التجريب عند علماء الكيمياء.

والذى يقبل التلقين يفشل فى اجتياز الاختبار ويحكم عليه بالجرح، وفقد الضبط، جاء فى ترجمة (أحمد ابن إسماعيل، أبو حذافة السهمى راوى الموطأ عن مالك، أنه (أدخلت عليه أحاديث فى غير الموطأ فرواها"[2]. وبذلك يكون المحدثون قد نبهوا إلى ما يدعو إليه علم النفس الحديث، مع الفارق الزمنى والفارق فى الظروف والملابسات، ودقة المنهج الأول تعتمد على الملاحظة، والثانى يعتمد على الأجهزة العلمية بحسب تقدم التكنولوجيا. حيث دعا علماء النفس إلى ما يسمى (بالمقابلة) وهى: محادثة منظمة ذات هدف تتم بين فرد هو الباحث - الناقد هنا - وفرد آخر- الراوى - وهى تستهدف تحقيق عدة أهداف من بينها: الحصول على بعض المعلومات عن موضوع معين - درجة الراوى قبولا وردا[*] - أو إجراء اختبار[3].

---

(١) المجروحين لابن حيان: ٣٣/١.

(٢) الميزان ٨٣/١ وانظر أيضا: ٨٢/١ن ص ٢٣٥ من شفاء العليل، ص١٤١من تذكرة الحفاظ والميزان ٥٩/٣، ٦٩.

(*) الجمل الاعتراضية فى هذا النص من عندى.

(٣) سيكولوجية النمو للدكتور نبيل حافظ وآخرين ص ٢٢، محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا، جامعة عين شمس سنة ١٩٩٣م. لا ناشر.

كذلك نبه المحدِّثون إلى ما توصل إليه علماء النفس الآن من أن "الذكاء هو قدرة الفرد على التعلم" وهذا التعريف لكلفن Golvin. وتعريف يوسف مراد للذكاء بأنه (حدة الفهم الفطرية التى تهيئ الإنسان لاكتساب أكبر قدر من المعارف فى أقصر مدة ممكنة[1]. ونبهوا إلى ما توصلوا إليه من (أن معنى الذكاء لا يقتصر على سرعة الفهم، بل يشمل أيضا القدرة على تحصيل المعلومات، والفارق هنا بين متوسط الذكاء وبين النابغة-هو السرعة فى التحصيل من جهة وكثرة ما يحصل من جهة أخرى؛ ولذلك كثيرًا ما تسمى اختبارات الذكاء العام باختبارات الاستعداد المدرسى؛ لأن صدقها يتحدد فى العادة فى ضوء محكات التحصيل الأكاديمى[2].

كما أن الذكاء تكوين فرضى، فهو لا يشير إلى شئ مادى ملموس يمتلكه الشخص ولا يلاحظ ملاحظة مباشرة، ومن ثم لا يقاس قياسًا مباشرًا، ولذلك نستدل عليه عن طريق آثاره أو النتائج المترتبة عليه، وتتلخص هذه الآثار والنتائج فيما سبق من تعريفات للذكاء[3].

وإذا كان واقع المحدثين لنقد المرويات واختبار ضبط الرواة قد نبه إلى ما دعا إليه علماء النفس- فى بعض منه-؛ فإن ابن الجوزى المحدث، تناول هذا الأمر بالدراسة فى كتاب "أخبار الأذكياء" حيث ذكر: "إذا كان حد الفهم أو تعريفه هو العلم بمعنى القول عند سماعه؛ فإن حد الذكاء هو: سرعة الفهم وحدته، وقد يقصد به كمال الفطنة وتمامها"[4].

---

(١) علم النفس التعليمى ص ٢٠٠ للدكتور سيد محمد خير الله وآخرين، ١٩٨٤-١٩٨٥، مطبوع على نفقة وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية جامعة عين شمس.

(٢) السابق ص٢١٠.

(٣) السابق ص ٢١٢.

(٤) أخبار الأذكياء لابن الجوزى، ص ١٠-١٢، تحقيق: محمد مرسى الخولى، القاهرة مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠م.

إن الذين قاموا بدراسات عن الذكاء عند الطلبة الذين وصفوا بأنهم (موهوبون) أو (متفوقون عقليا) أو (مبتكرون)- أثبتوا أن هناك علاقة بين الذكاء والتحصيل؛ ففى "دراسة أجراها محمد نسيم رأفت وعبد السلام عبد الغفار وفيليب صابر (١٩٦٧) ومحمد على حسن (١٩٧٠) وأديب الخالدى (١٩٧٢)" توصلوا إلى أن "الطالبة المتفوقة تحصيليا والطالب المتفوق تحصيليا عن العادية والعادى من بين تلميذات وتلاميذ المدارس الثانوية العامة بمصر - تميزوا بارتفاع مستوى الذكاء والمثابرة والتصميم والاكتفاء الذاتى[١].

وقال الدكتور عبد السلام عبد الغفار- تحت عنوان "التحصيل الدراسى": "ليس هناك مبالغة فى القول بأن مجال التحصيل الدراسى يعتبر من أهم المجالات التى تعبر عن التفوق العقلى للطفل- خاصة إذا كنا بصدد دراسة التفوق العقلى بين تلاميذ المدارس. بل إن هناك من الباحثين من استخدم التحصيل المدرسى كمحك بديل فى دراساته فى مجال التفوق العقلى (محمد نسيم رأفت ١٩٦١، عبد السلام عبد الغفار، فيليب صابر ١٩٦٥، ومحمد على حسن ١٩٧٠"[٢].

المحدثون والعمر العقلى:-

فى قيام التربويين بإعداد اختبارات الذكاء - قالوا إنه (لايمكن قياس الذكاء بمعزل عن معرفة الإنسان، ففى اختبارات الذكاء لا نقيس المعرفة لدى الإنسان، وإنما نقيس قدرته على تحصيلها وتطبيقها، فالذكاء هو استخدام للمعرفة أكثر مما هو امتلاك لها.

---

(١) التفوق العقلى والابتكار ص ٣١ للدكتور عبد السلام عبد الغفار، ط١ دار النهضة العربية، ١٩٧٧م.

(٢) السابق ص١٠٩.

وقد بدأت أول محاولات لقياس الذكاء حين بنى العالم الفرنسى بنيه Binet مقياسا لقياس ذكاء الطلاب المتأخرين دراسيًا فى مدينة باريس، وقد استند هذا المقياس على فكرة العمر العقلى والعمر الزمنى فى العلاقة التالية:

$$\text{نسبة الذكاء} \; \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

ويحسب العمر العقلى من خلال قدرة المفحوص على الإجابة عن الاختبار المخصص لعمر معين. والعمر العقلى عندهم يعتمد على الذكاء لا على السن[١]. والمحدثون قاموا باختبار قدرة الرواة على التحصيل ووضعوهم فى مراتب ودرجات واختبروا تحصيلهم عن طريق مقارنة مرويات الراوى بمرويات أقرانه عن نفس الشيخ ثم قارنوا مروياته بمرويات شيوخه وتلامذته. روى ابن حبان قال: "سمعت محمد ابن إبراهيم بن أبى شيخ الملطى يقول: جاء يحيى بن معين إلى عفان ليسمع منه كتب حماد بن سلمة، فقال: والله لا حدثتك. فقال: إنما هو درهم، وأنحدر إلى البصرة وأسمع من التبوذكى. فقال: شأنك، فانحدر إلى البصرة، وجاء إلى موسى بن إسماعيل، فقال له موسى: لم تسمع هذه الكتب عن أحد؟ قال: سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفسا وأنت الثامن عشر. فقال: وماذا تصنع بهذا؟ فقال: إن حماد بن سلمة كان يخطئ، فأردت أن أميز خطأه من خطأ غيره، فإذا رأيت أصحابه قد اجتمعوا على شئ علمت أن الخطأ من حماد نفسه، وإذا اجتمعوا على شئ عنه، وقال واحد منهم بخلافهم علمت أن الخطأ منه لا

---

(١) أسس القياس السيكولوجي للدكتور سيد عبد العال جـ١/ ص١٦٦، ٣١١، ط١، ١٩٨٦م، لا ناشر.

من حماد، فأميز بين ما أخطأ هو بنفسه وبين ما أخطئ عليـــه"[١].

أردت من هذا النص أن أبين أن للمحدثين معايير تبلـــورت فـــى اختبار تحصيل الرواة، وأن لهم اختبارات مثل غيرهم من علمـــاء كل تخصص. أما تنبيههم لما يسمى عند المتأخرين مـــن علمـــاء النفس بـــ "العمر العقلى" فقد مارسوه عل المستوى التطبيقى فـــى جرح الرواة وتعديلهم.

وقد اعترف بفضل العرب فى إدراك هذه الظاهرة - الـــدكتور فؤاد البهى السيد، فقال: "وقديما فطن العرب إلى هذه الفكرة كمـــا يروى الجاحظ فى المحاسن والأضداد، قيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله ﷺ، قال: هو الأكبـــر منـــى وأنـــا ولـــدت قبله"[٢].

وجاء فى ترجمة "سفيان بن عيينة" أنه "ثقة حافظ، فقيه، إمام، حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عـــن الثقـــات. مـــن رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس فى عمرو بن دينار... وقال ابن المدينى: لم يكن فى أصحاب الزهرى أتقن منه، وقـــال العجلـــى كوفى ثقة ثبت فى الحديث. وقال بعضهم: هو أثبت الناس فى حـــديث الزهرى. وكان حسن الحديث، وكان يعد من حكماء الحديث.

وقال الشافعى: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وقيل لابن المبارك: هو إمام فى الحديث؟ فقال: هو إمام منذ أربعـــين ســـنة. وقال ابن وهب: ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعى أيضا: ما رأيت أحدًا أكف عن الفتيا منه. وقال أحمد بـــن حنبل: كان إذا سئل عن المناسك سهل عليه. وقال الـــذهبى: أحـــد

---

(١) المجروحين، المقدمة ص٣٢.

(٢) الذكاء للدكتور فؤاد البهى السيد ص ١٠٨، ط٥ دار الفكر العربى، مصر، ١٩٩٤م.

الثقات الأعلام. أجمعت الأمة على الاحتجاج به، وكان يدلس، لكن المعهود منه أنه لا يدلس إلا عن ثقة، وكان قوى الحفظ، وما في أصحاب الزهرى أصغر سناً منه، ومع هذا فهو من أثبتهم[1].

أى أن العبرة عند المحدثين ليست بكبر السن، بل بإتقان وضبط وتحصيل الراوى. وروى ابن أبى حاتم آراء شعبة في الجرح والتعديل فى تقدمته لكتابه، فقال فى ترجمة "عمرو بن مرة": "... نا بقية قال: قلت لشعبة: عمرو بن مرة؟ قال: كان أكثرهم علمًا... نا بقية قال: قلت لشعبة: لم تروى عن عمرو بن مرة وكان مرجئا؟ قال: كان أصغر القوم وأكثرهم علمًا[2].

وقد نبه المحدثون إلى أهمية العقل والتمييز لا السن فى مبحث (كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه فى النوع الرابع والعشرين، قالوا: (يصح تحمل الصغار الشهادة والأخبار، وكذلك الكفار إذا أدوا ما حملوه فى حال كمالهم، وهو الاحتلام والإسلام. وينبغي المبادرة إلى إسماع الولدان الحديث النبوى. والعادة المطردة في أهل هذه الأعصار وما قبلها بمدد متطاولة: أن الصغير يكتب له حضور إلى تمام خمس سنين من عمره، ثم بعد ذلك يسمى سماعا، واستأنسوا فى ذلك بحديث محمود بن الربيع: أنه عقل مجة مجها رسول الله ﷺ فى وجهه من دلو فى دارهم وهو ابن خمس سنين. رواه البخارى، فجعلوه فرقا بين السماع والحضور، وفى رواية: وهو ابن أربع سنين. وضَبَطَه بعض الحفاظ بسن التمييز. وقال

---

(١) انظر التبصرة والتذكرة للحافظ العراقى: ص٧١ - ٧٢ط ١٣٥٧هـ ط. فاس. والعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ٤/٥٩٠، لمحمد بن أحمد المكى الفاسى، ط السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٩هـ. وسير أعلام النبلاء ٨/٤٥٤، والميزان ٢/١٧٠ - ١٧١، تهذيب التهذيب ٤/١١٧.

(٢) الجرح والتعديل ١/١٤٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

بعضهم: أن يفرق بين الدابة والحمار. وقال بعض الناس: لا ينبغى السماع إلا بعد العشرين سنة. وقال البعض: عشر. وقال آخرون: ثلاثون. والمدار فى ذلك كله على سن التمييز، فمتى كان الصبى يعقل كتب له سماع قال الشيخ أبو عمرو - ابن الصلاح-: وبلغنا عن إبراهيم بن سعيد الجوهرى أنه قال: رأيت صبيا ابن أربع سنين قد حُمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر فى الرأى، غير أنه إذا جاع يبكى(١). أى أن العبرة عند المحدثين ليست بالسن وإنما بالتمييز، وهذا أمر يختلف من فرد لآخر.

ويؤكد ما ذهب إليه المحدثون من أن العبرة بالإتقان لا بالسن أن "الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى" قد رويا عن (مالك) وهما من شيوخه. وكذا روى عن عمرو بن شعيب جماعة من الصحابة والتابعين. قيل: (عشرون) ويقال: "بضع وسبعون"(٢).

وقد عقد المحدثون مبحثا لرواية "الأكابر عن الأصاغر" جعلوه المبحث الحادى والأربعين، وقالوا- وهو يخدم ما نحن فيه-: "ثم إن ذلك يقع على أضرب: منها: أن يكون الراوى أكبر سنا وأقدم طبقة من المروى عنه: كالزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى، فى روايتهما عن "مالك" وكأبى القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهرى-من المتأخرين، أحد شيوخ الخطيب- روى عن الخطيب، فى بعض "تصانيفه" والخطيب إذ ذاك فى عنفوان شبابه وطلبه. ومنها أن يكون الراوى أكبر قدرًا من المروى عنه، بأن يكون حافظا عالما، والمروى عنه شيخا راويا فحسب، كمالك فى روايته عن عبد الله ابن دينار، وأحمد وإسحاق بن راهوية فى روايتهما عن عبيد الله بن موسى، وأشياء من

---

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٩١.

(٢) السابق ص١٦٦.

ذلك كثيرة. أومنها أن يكون الراوى أكبر من الوجهين جميعا، وذلك كرواية كثيرة من العلماء والحفاظ عن أصحابهم وتلامذتهم: كعبد الغنى الحافظ فى روايته عن محمد بن على الصورى، وكرواية أبى بكر البرقانى عن أبى بكر الخطيب، وكذا رواية الخطيب عن أبى نصر بن ماكولا، ونظائر ذلك كثيرة"[١].

ويدخل فيه: "رواية أبى هريرة ومعاوية بن أبى سفيان وأنس بن مالك؛ فكلهم من الصحابة، ورووا عن كعب الأحبار[٢]. وقال ابن الصلاح معلقا على ذكر الروايات المختلفة فى السن الصحيح لتحمل الصبى: "اعلم أن طريق نقل الحديث وتحمله على أنواع متعددة، ولنقدم على بيانها بيان أمور: أحدها: يصح التحمل قبل وجود الأهلية فتقبل رواية من تحمل قبل الإسلام وروى بعده. ومنع من ذلك قوم. فأخطئوا؛ لأن الناس قبلوا رواية أحداث الصحابة: الحسن بن على، وابن عباس، وابن الزبير، والنعمان بن بشير" وأشباههم، من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وما بعده. ولم يزالوا قديما وحديثا يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع، ويعتدون بروايتهم لذلك.

الثانى: قال أبو عبد الله الزبيرى: يستحب كتب الحديث فى العشرين لأنها مجتمع العقل؛ قال: وأحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض.... قلت: وينبغى بعد أن صار الملحوظ إبقاء سلسلة الإسناد أن يبكر بإسماع الصغير فى أول زمان يصح فيه سماعه وأما الاشتغال بكتبه الحديث وتحصيله وضبطه وتقييده، فمن حين يتأهل لذلك ويستعد له. وذلك يختلف باختلاف

---

(١) الشذا الفياح ٢/٥٣٥-٥٣٦.

(٢) السابق: ٢/٥٣٦.

الأشخاص، ولن ينحصر فى سن مخصوص كما سبق آنفا عن قوم[1]. ثم زاد مؤكدًا على العقل والفهم وأنهما المعيار فى الحكم على تمييز الراوى وليس السن؛ فقال: "قلت: التحديد بخمس هو الذى استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين، فيكتبون لابن خمس فصاعدًا: سَمِع؛ ولمن لم يبلغ خمسا: حضر، أو: أُحضر. والذى ينبغى فى ذلك أن نعتبر فى كل صغير حاله على الخصوص؛ فإن وجدناه مرتفعا عن حال من لا يعقل فهما للخطاب وردا للجواب ونحو ذلك، صححنا سماعه وإن كان دون خمس، وإن لم يكن كذلك، لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس، بل ابن خمسين...... وأما حديث محمود بن الربيع الذى عقل مجة - فيدل على صحة ذلك من ابن خمس لمثل محمود، ولا يدل على انتفاء الصحة فيمن لم يكن ابن خمس، ولا على الصحة فيمن كان ابن خمس ولم يميز تمييز محمود رضي الله عنه[2].

والحق أنه ليس بعد النصوص السابقة دليل على أنهم كانوا يركزون على العقل والفهم والتمييز لا السن.

وبناء على فكرة الذكاء والتحصيل والفهم والتمييز قال يحيى القطان: "ما رأيت أحدًا أحفظ من سفيان الثورى، لو خالفه الناس جميعًا لكان القول ما قال سفيان"[3]. إن العبرة ليست بالعمر والسن بل بالتحصيل والضبط.

وقال ابن عدى فى ترجمة (جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدى): "هو من أجلة أهل البصرة ورفعائهم، حدث عنه الكبار؛

---

(١) الشذا الفياح ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٢) السابق ١/٢٧٦.

(٣) المجروحين لابن حبان، المقدمة ص٤٩.

وعنه: هو مستقيم الحديث، صالح إلا فى روايته عن قتادة، فإنه يروى عنه ما لا يرويه غيره، وهو من ثقات المسلمين". وممن روى عنه من الكبار (عبد الرحمن بن مهدى، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وهدبة بن خالد، وشيبان...."[1]. وقال الحافظ العلائى: "من رجال الصحيحين الأثبات"[2].

وكان المحدثون يحكمون على الراوى بالفطانة أو الذكاء من خلال قدرته على التحصيل وقدرته على حل المشكلات والمعضلات ومثال على ذلك ما جاء فى ترجمة (ربيعة بن أبى عبد الرحمن التيمى. المعروف بربيعة الرأى). لقد روى له الجماعة، أى أنه متفق على الاحتجاج به، وهو شيخ الإمام مالك وأحد أئمة الإسلام[3].

جاء فى كتاب الكواكب النيرات، أن والده -ربيعة- فرّوخ خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازيا، وربيع حمل فى بطن أمه، وخلف عندها ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وقد أنفقت المال عليه، ولما خرج إلى المسجد، وأبصر حلقة ابنه فيها أشراف أهل المدينة سر بذلك، وقال لها: إنك لم تضيعى المال. وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت أفطن من ربيعة. وقال عبيد الله بن عمر: هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: مكث دهرًا طويلاً يصلى الليل والنهار، ثم جالس القوم فنطق بلب وعقل. وكان القاسم بن محمد بن أبى بكر

---

(١) سير النبلاء: ٩٨/٤، تذكرة الحفاظ ٩٩/١، التهذيب ٦٩/٢، الكواكب النيرات ص ١١١ وما بعدها.

(٢) كتاب المختلطين ص١٦.

(٣) السابق ص ٣٢، والتقريب ٢٤٧/١.

الصديق إذا سئل عن شئ فإن كان فى كتاب الله، أو سنة نبيه، ﷺ - أخبرهم، وإلا قال: سلوا عن هذا ربيعة، أو سالما[١].

إن فطانة ربيعة راجعة إلى كونه سيدًا فى العلم يحيل حفيد أبى بكر الصديق السائلين عليه، وهو صاحب حل المعضلات والمسائل التى لا يجدون لها إجابة؛ شهد له بهذا يحيى بن سعيد القطان المتعنت فى نقد الرجال وحسبه هذه الشهادة.

الحفظ وعلاقته بالصحة والطعام:-

المخ فى أعلى الجسم، وخلاياه تحتاج إلى إطعام بوصول الدم إليه ليغذيها، وإهمال طالب العلم لطعامه وشرابه - إن وجد- قد يؤثر على التذكر والنسيان، وليس المقصود هنا بعملية الطعام، الإسراف فيه، بل المقصود الاعتدال؛ لأن التفريط فى هذا الأمر قد يؤدى إلى فقد العقل جزئيا أو كليا نبه إلى هذا الأمر المحدثون، جاء فى ترجمة، "ابن عطاء، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل، الزاهد المتعبد المتأله أنه فقد عقله ثمانية عشر عاما، ثم ثاب إليه عقله، قال الذهبى: "ثبت الله علينا عقولنا وإيماننا، فمن تسبب فى زوال عقله بجوع أو رياضة صعبة، وخلوة فقد عصى وأثم، وضاهى من أزال عقله بعض يوم بسكر، فما أحسن التقيد بمتابعة السنن والعلم"[٢].

وقال - أيضا - فى ترجمة محمد بن على بن محمد الحاتمى الذى ادعى الزواج من الجن، بعد أن ذكر أقوال معاصريه فى هذا الأمر حيث قالوا بالرفض لأن هذا محال بسبب كون "الإنس جسم

---

(١) الكواكب النيران ص ١٦٣وما بعدها.

(٢) سير النبلاء ٢٥٥/٤.

كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف". وعلق الذهبى على هذا قائلاً (قلت نقله لى بحروفه ابن رافع من خط أبى الفتح، وما عندى أن محيى الدين تعمد كذبا، لكن أثرت فيه تلك الخلوات والجوع فسادًا وخيالاً وطرف جنون"[١]. ونظرًا لما سبق اهتموا بالأطعمة والأدوية التى تعين على الحفظ.

قال الذهبى فى الطب النبوى له: "وإذا مُضغ -اللبان- بصعتر، نفع من اعتقال اللسان، ويذكى. وبخوره نافع من الوباء.... ويزيد فى الحفظ، ويقطر عليه من الزبيب الأسود وقلب الفُستق فيورث الذكاء"[٢].وقال: "وعن على أنه شكا إليه رجلٌ النسيانَ، فقال عليك باللبان فإنه يشجع القلب"[٣].

وقال: "وعن ابن عباس: أخذ مثقال سكر ومثقال كندر يسفه الرجل أسبوعا على الريق جيد للبول والنسيان"[٤].

ومع أنه انتقد فى الميزان رواية (أطعموا حبالاكم اللبان، فإن يكن فى بطنها ذكر يكن ذكى القلب، وإن يكن أنثى يحسن خَلقُها، ويَعْظُمُ عَجِيْزَتُها"، وقال فى رواية: (محمد بن عكاشة): كذاب[٥].- إلا أنه رواها بصيغة الشك، "رُوى" ولم ينقدها صراحة فى كتاب الطب النبوى[٦](*).

---

(١) الميزان ٣/٦٥٩

(٢) الطب النبوى للذهبى ص٧٩.

(٣) السابق ص٧٩.

(٤) السابق ص ٨٠.

(٥) الميزان ٣/٦٥٠.

(٦) الطب النبوى ص٨١.

(*) كتب الموضوعات فى حاجة إلى دراسة مضامين مروياتها؛ لأنه والحق يقال، فيها من الفكر الصحيح وخبرة المسلمين: فيها طب وسياسية واجتماع؛ حيث جعلوا الرواية -المكذوبة من وجهة نظر المحدثين- مطية إلى التنفيس عما فى

صدورهم، والتعبير عما فى المجتمع من قلاقل ونظريـــات وأخلاقيـــات ومثـــل واعتراض على الحكام... كما أن فيها الحس والوجدان الشـــعبى الـــذى يمثـــل - أحيانا- الرأى العام، على سبيل المثال: يجاء بالإمام الجائر فتخاصـــمه الرعيـــة فيفلجوا عليه، فيقال له: سد عنا ركنا من أركان جهنم: الميـــزان ٢٧٤/١. وإنمـــا أهلك من كان قبلكم أن عظموا ملوكهم بأن قاموا لهم وقعدوا" (الميزان ٢٨٨/١).
وفى هذا اعتراض على حاكم الجور فى الإسلام وأنها لابد من الخلافـــة القائمـــة على الشورى والديمقراطية، وهذا يؤيد ما قاله الدكتور محمود مكى- حفظـــه الله ورعاه- "وعلى الرغم من هذا التدهور السياسى فقد ظلت الحركة الفكرية نشيطة قوية والدراسات الدينية متزايدة متنامية، وهنا لا نملك إلا أن نوجه جانبا من اللوم إلى رجال الدين والفقهاء الذين أوتى الكثيرون منهم عقليات تشـــريعية ممتـــازة، مكنتهم من تأليف مدونات فقهية ضخمة، فى محاولة لتنظيم حياة الرعية وعلاقـــة أفرادها بعضهم ببعض فى معاملاتهم وأحوالهم الشخصية... صحيح أن كثيراً منهم لم تنقصهم الجرأة فى مواجهة الحاكم والدفاع عن مصالح الرعية، ولكـــنهم لـــم يترجموا ذلك إلى تشريع يحقق الشورى التى دعا إليها الإسلام".
انظر ص ٢٤٩ من كتاب الأدب العربى تعبيره عن الوحدة والتنوع لمجموعة من أساتذة الجامعات العربية، مطبعة مركز دراسات الوحدة العربيـــة، ط١ بيـــروت مارس ١٩٨٧.

وعلى الجانب المقابل كان الملوك والظلمة يبررون أفعالهم بأحاديث منسوبة، أشار إلى ذلك الدكتور مكى، قال: "وسلمت جماهير المسلمين الأمور لبنى أمية لا حبـــا لهم، وإنما اتقاء ما هو شر من ذلك، وهو الصـــراع الدموى بين الفرق السياســـية المذهبية، وذلك فى ظل الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليـــه وســـلم: "الإمام الجائر خير من الفتنة وفى بعض الشر خيار (السابق: نفسه). وفى الميزان ٢٦٢/١) حديث عن إمام السوء.... إلخ من مضامين فى حاجة إلى بحوث مـــن المتخصصين فى الاجتماع والسياسة والطب والأدب الشعبى وغيرها.

كما أن ظاهرة (الشعوبية) انعكست على الوضع فى المرويات "من غش العرب لم يدخل شفاعتى، ولم تنله مودتى (الميزان ٥٥٣/١) و (١٠٣/٣). وامتد هذا إلـــى العصور الصليبية، عندما كانوا فى الشام، وصنعوا أحاديث فى فضل (عســـقلان وعبادان) (السابق ص ٢٧٨، ٣٥٦). وأثر الاقتصاد على الوضع (لا تشاور من ليس فى بيته دقيق) ص ١٠ من الجزء الثالث من الميزان. وقد وصل بهم الأمر إلى درجة أن عاشوا فى زمان وضعوا فيه رواية: "عشنا إلى زمـــان لا نعشـــق فيه.بما يدل على الاغتراب والوحشة وتأثير كل العوامل الســـيئة علـــى القلـــب وانشغاله بلقمة العيش والهم والحزن.

النسيان"[١].وقال: "ومما يحدث النسيان حجامة النقرة، وأكل الكزبرة الخضراء أو التفاح الحامض، وكثرة الهم، وقراءة ألواح القبور، والنظر في الماء الواقف.....الخ"[٢].

وقال في اللبن الحليب: "يقوى الحفظ"[٣].

ونقل عن الزهرى قوله: "من أحب أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب". ثم قال: "وكان الزهرى يأكله-أى الزبيب- ولا يأكل التفاح الحامض، وغذاء الزبيب أصلح من غذاء التمر، ومن أخذ من الزبيب وقلب الفستق وحصا اللبان كل يوم على الريق قوى ذهنه"[٤].

لكن ابن القيم أشار إلى قضية هى من الخطورة بمكان سبق بها كل علماء النفس وهى "الحديث عن الذاكرة "طويلة المدى" و "قصيرة المدى".

روى ابن القيم رأى أنس: "أنه شكا إليه رجل النسيان، فقال: عليك بالكندر[*]، وانقعه من الليل، فإذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق: فإنه جيد للنسيان". ثم قال: "ولهذا سبب طبيعى ظاهر؛ فإن النسيان إذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ؛ فلا يحفظ ما ينطبع فيه- نفع منه اللبان. وأما إذا كان النسيان لغلبة شئ عارض: أمكن زواله سريعا بالمرطبات. والفرق بينهما أن اليبوسى يتبعه سهر وحفظ للأمور الماضية دون الحالية، والرطوبى بالعكس"[٥].

---

(١) الطب النبوى ص٨٠.
(٢) السابق ص٨٠.
(٣) ص٨١.
(٤) ص٥٧.
(*) هو اللبان:
(٥) الطب النبوى لابن القيم ص٣٠٢ ط الحلبى بتحقيق الدكتور عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة د.ت.

وسر إصابة رأى ابن القيم يكمن في الكلمات: (يغلب) و(عارض) و(الماضية) و(الحالية).

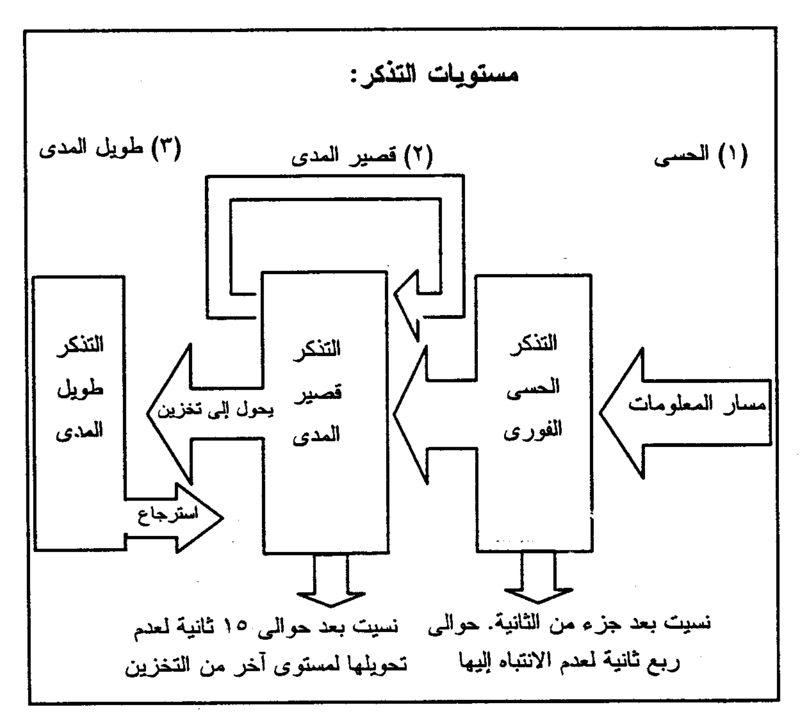
دراسة رأى ابن القيم(**)

توصل ابن القيم إلى هذه النتيجة ببصيرته وإخلاصه فى طلب العلم، وغالب السلف حاولوا، قدر استطاعتهم أن يكونوا مخلصين، والفارق بينه وبين المعاصرين من علماء النفس أنهم اعتمدوا على التجربة والمعامل- بمعنى التجريب -؛ لكنه اعتمد على الممارسة والخبرة والتجربة بالمعنى العام لا الإصطلاحى.

قال علماء النفسى: للتذكر مستويات؛ مع مراعاة التفاعل داخل كل مستوى، وقالوا: بأن المستوى الأول هو: التذكر الفورى أو الحسى، وهو يقابل فى جزء منه المرويات المتواترة التى تنتهى إلى الحس كالبصر، وقالوا بمثال: "فنحن إذا استمعنا إلى معلم يذكر مستوى إنتاج البترول فى كل من المملكة العربية السعودية، والكويت.... نحن عندئذ سنقوم بترميز الأصوات التى نسمعها، أى نحولها إلى كلمات ذات معنى، ثم نحولها إلى مستوى التذكر قصير المدى[1].

(**) ابن القيم تلميذ ابن تيمية، ومن أقران ابن كثير، عاش فى عصر الذهبى والمزّى، وكلهم من حفاظ الشام (دمشق) له كتاب "المنار المنيف فى الصحيح والضعيف"، قام فيه بالتنظير المزّى لجهود المحدثين فى دراسة ظاهرة الوضع وسن القوانين النظرية لمعرفة الموضوع، والكتاب لم يدرس من وجهة نظر منهجية حتى الآن، وله كتاب قام فيه بتهذيب سنن أبى داود والرجل من نقاد المرويات المحققين، بمعنى أنه لا ينقل فقط بل يراجع ويناقش كل أصوله ومصادره قدر استطاعته.

(١) انظر علم النفس العام ص ٢٩٧، أعده قسم علم النفس بجامعة القاهرة، ط٣، ١٩٩٠م، مكتبة غريب، مصر. بحث الدكتور عبد الحليم محمود السيد وعنوانه "التذكر والنسيان".



شكل يوضح مسارات المعلومات الجديدة خلال مستويات التذكر(*)

وسبب أخذ الأدوية التى تعين على الحفظ أن المحدث منهم أمامه كم كبير من المرويات هذا فى الطهارة، وهذا فى الصوم، وهذا فى الصلاة... إلخ. وأشار علماء النفس إلى كثرة التحصيل وأثره على الذاكرة فقالوا: "تتعرض حواسنا دائما لوابل من المعلومات الهائلة. فإن كنت تقرأ الآن هذا الفصل وأنت جالس على مكتبك؛ فإن عينيك تتلقى معلومات من الكلمات المكتوبة على الصفحات...الخ تلقى المعلومات من السمع والجلد والأنف واللسان

(*) الرسم البيانى نقلا عن ص ٢٩٨ من علم النفس العام، المرجع السابق.

والبصر... ويطلق علماء النفس على تذكر هذا الانطباع الذى يرتسم لدينا بفعل تنبيه حسى، ثم يبدأ فى التلاشى - اسم: التذكر الحسى، أو التذكر الفورى؛ لأنه يبدأ فورًا عقب تقديم التنبيه الحسى. وقد أوضح بعض الباحثين حديثا أن معالجة المعلومات التى تتم بسرعة شديدة بين أقل من [٠,٢٥، ٠,٥٠] من الثانية تتم معا بالتوازى. أما معالجة المعلومات التى تتم فى وقت أطول فتتم فى مراحل متعاقبة(١). كذلك يسمح لنا التذكر الحسى السمعى بالاستدعاء الفورى لما نسمع(٢).

وتحدثوا عن (مصير المادة المختزنة فى مستوى تذكر (الصور الحسية) فقالوا بأن "بعض الدراسات أوضحت أن الصور الحسية تبقى ماثلة أو مختزنة، حوالى ربع ثانية، ثم تبدأ تتلاشى مع مرور الوقت إلا أنه يمكن أن يمتد بقاء المعلومات المستمدة من الحواس على الأقل لفترة أخرى محددة إذا انتبه الشخص إليها، أو إذا قام بتفسيرها أو إضفاء معنى عليها. وهذا الانتباه أو التفسير- فى ضوء الخبرات السابقة، المختزنة فى مستوى التذكر طويل المدى - هو الذى يؤدى إلى تحويل المادة بطريقة آلية إلى مخزن التذكر قصير المدى. ويطلق علماء النفس على هذا النوع من التحويل اسم: الاسترجاع من مستوى التذكر الحسى(٣).

وهنا يشير الباحثون إلى مفهوم الانتباه الانتقائى الذى يبدو فى قدرة الشخص على تركيز انتباهه فى رسالة معينة، من بين عدة رسائل توجه إليه من الآخرين أو عدة تنبيهات، حيث يفترض الباحثون وجود

---

(١) السابق ص٢٩٩.

(٢) السابق: نفسه.

(٣) السابق ص ٣٠٢.

مرشحات للانتباه وهى أقرب إلى المحددات الداخلية للانتباه تسمح، بعد تلقى التنبيهات الحسية، لقناة معينة أن تمر إلى مستويات أعلى للمعالجة، على حين تمنع باقى القنوات أو التنبيهات الحسية[1].

وقالوا بـ (**المستوى الثانى: التذكر قصير المدى**) وهو ما يقابل ما لاحظه ابن القيم وسماه (حفظ الأمور الحالية) وذكروا فيه أنه: مركز الوعى أو الشعور، حيث يصور الباحثون هذا المستوى من التذكر على أنه مركز الوعى لأنه يتضمن كل الأفكار والمعلومات والخبرات التى يكون الشخص على وعى بها فى أى لحظة زمنية معينة. ويستقبل مخزن مستوى التذكر قصير المدى كمية محدودة من المادة لفترة مؤقتة (حوالى ١٥ ثانية عادة)، ويمكن الاحتفاظ بالمعلومات داخل نطاق التذكر قصير المدى عن طريق التسميع الذاتى تساعد على إبقاء المادة فى مستوى التذكر قصير المدى، إلا أن الدلائل التجريبية توحى بأن المعلومات اللغوية المسموعة تتلاشى أو تفقد بعد مدة تتراوح بين ١٥، ٣٠ ثانية[2].

ولهذا المستوى وظائف منها: تخزين المادة المستمدة من المستوى الحسى وإدخال المعلومات إلى مستوى ثالث من التذكر - هو مستوى التذكر طويل المدى، واستخراج البيانات من مستوى التذكر طويل المدى أو ما يطلق عليه أحيانا اسم "مخزن المعلومات طويل المدى"[3].

---

(١) السابق ص ٣٠٣، وللمزيد من المراجع انظر (سيكولوجية ذوى الاحتياجات الخاصة للدكتور عبد المطلب أمين القريطى) ص١١٧، ١١٠ ط دار الفكر العربى. ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. وانظر ص ١١٠من كتاب (الاضطرابات المعرفية لـ(ر.و.بين) R.W. Payne ترجمة د.محمد نجيب الصبوة، مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) السابق ٣٠٤.

(٣) السابق نفسه.

كذلك يمكن عند اللزوم تنشيط المعلومات الموجودة فى مخزن التذكر طويل المدى، وتحويلها إلى مستوى قصير المدى[١].

ويستدل على وجود الذاكرة قصيرة المدى من الدراسات الإكلينيكية التى توضح وجود حالات إصابات عضوية بالمخ، ترتبط باضطراب فى مستوى التذكر قصير المدى، مع عدم اضطراب مستوى التذكر طويل المدى، كما تؤدى بعض الإصابات العضوية بالمخ إلى اضطراب مستوى التذكر طويل المدى[٢].

ويرتبط اضطراب الذاكرة طويلة المدى بالإصابة العضوية لبعض أجزاء الجهاز الطرفى بالمخ وخاصة قرن آمون، الذى تؤدى إصابته العضوية إلى اضطراب الذاكرة طويلة المدى إذا كانت الإصابة بالشق الأيسر، أو غير اللفظية إذا كانت الإصابة بالشق الأيمن من المخ[٣]. وكل هذا يعنى أن للسلوك – ومنه الحفظ والتعلم – أسسًا فسيولوجية. وقد راعى ابن القيم والذهبى كل هذه الأمور فى مؤلفاتهم، قال ابن القيم: "والمداومة[*] عليه –اللبن– تحدث ظلمة البصر والغشاء– الغشاوة، ووجع المفاصل،.....الخ وإصلاحه بالعسل –النحل– والزنجبيل[٤]. ولا يخفى أن ظلمة البصر تؤثر على إدراك طالب العلم وتؤثر على انتباهه وعملية التلقى عنده.

وقال فى السواك: "ومتى استعمل باعتدال: جلى الأسنان، وقوى العمود، وأطلق اللسان ومنع الحفر[**] وطيب النكهة ونقى الدماغ،

---

(١) السابق ٣٠٤.

(٢) السابق ٣٠٥.

(٣) هامش ص ٣٠٥.

(*) الإسراف فيه.

(٤) الطب النبوى ص ٣٠٠.

(**) صفرة على الأسنان

وشهى الطعام"[١]. وقال فيه: "يسهل مجارى الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم"[٢].

وقال فى مبحث (العدس): "وهـو مُولـد للسـوداء، ويضـر بالماليخوليا ضررًا بينًا، ويضر بالأعصاب والبصر"[٣]. وقـال إن "إدمانه يظلم البصر"[٤].

وقال فى (عود الطيب): "ينفع الدماغ، ويقوى الحواس"[٥]. وقـال فى موضع آخر: "وأربعة أشياء تُمرض الجسم: الكلام الكثير[*]: يقلل مخ الدماغ ويضعفه، ويعجل الشيب. والنوم الكثير: يصـفر الوجـه، ويعمى القلب، ويهيج العين، ويكسل عن العمل، ويولد الرطوبات فـى البدن، ويرخى العصب، ويورث السدد؛ ويعم ضرره جميـع البـدن، ونخص الدماغ لكثرة ما يتحلل منه: من الروح النفسانى"[٦].

وقال بأن من مظلمات البصر: "النظر فى الخط الدقيق"[٧]. وقال أيضًا: "أربعة تضر بالفهم والذهن: إدمان أكل الحامض، والفواكه، والنوم على القفا، والهم والغم. وأربعة تزيد فى الفهم: فراغ القلب، وقلة التملى من الطعام والشراب، وحسن تدبير الغـذاء بالأشـياء الحلوة والدسمة، وإخراج الفضلات المثقلة للبـدن. وممـا يضـر

---

(١) السابق ص٢٤٩.
(٢) السابق نفسه.
(٣) ص٢٦٧.
(٤) ص ٢٦٧.
(٥) ص٢٦٦.
(*) الإسراف فيه وقد نقل قول جالينوس: "كل كثير معاد للطبيعة" ص ٣٢١.
(٦) ص٣٢١.
(٧) السابق ص ٣٢٣.

بالعقل: إدمان أكل البصل والباقلا والزيتون والباذنجان، وكثرة الجماع، والوحدة، والأفكار، والسكر، وكثرة الضحك، والغم"(١).

وقال فى العنبر: "مقو للقلب والدماغ، والحواس وأعضاء البدن، نافع من الفالج(*) واللَّقوة(**)... وإذا تُبخر به: نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة"(٢).

وأشار علماء النفس المعاصرون إلى أن من أهم وظائف مستوى التذكر قصير المدى – حل المشكلات التى تواجه الشخص فى حياته اليومية... ونقل الأخبار المهمة، ويتم فى هذا المستوى من التذكر قصير المدى ثلاث وظائف أساسية هى:

١- التخزين المؤقت، لكمية محددة من المادة، لفترة مؤقتة حوالى ١٥ ثانية عادة ويمكن الاحتفاظ بالمعلومات والخبرات داخل نطاق التذكر قصير المدى لفترة أكثر عن طريق التسميع الذاتى أو التكرار.

٢- تحويل الخبرات والمعلومات إلى مستوى ثالث، وهو مستوى التذكر طويل المدى، لتسجيله تسجيلاً أكثر دوامًا.

٣- استرجاع أو استخراج الخبرات والبيانات من مستوى التذكر طويل المدى(٣).

وتحدثوا عن أهم أسباب النسيان (أو فقدان ما سبق تحصيله) فى مستوى التذكر قصير المدى وقالوا: "لا يمكن استرجاع المعلومات

---

(١) ص٣٢٣.

(*) الفالج: الشلل النصفى وهو يعالج الآن من خلال جراحات المخ ثم العلاج الطبيعى.

(**) داء يعرض للوجه يَعْوَج منه الشدق، وسببه الأمراض العصبية والنفسية.

(٢) ص٢٦٥.

(٣) علم النفس العام ص٣٠٦.

من مستوى التذكر قصير المدى بعد فترة تتراوح من حوالى ١٥ إلى ٢٠ ثانية، ما لم يتم تسميعها ذاتيا أو تحويلها إلى مستوى التذكر بعيد المدى... ويساعد التسميع الذاتى على حفظ المادة فى المستوى قصير المدى لمدة أطول. وتحدثوا عن النسيان بتأثير التداخل، وقالوا: "إن التداخل يؤدى إلى سرعة النسيان أو إلى نقص مدة التخزين فى مستوى التذكر قصير المدى. والتداخل بين المواد فى الذاكرة قصيرة المدى أنواع منها: الكف السابق: وهو مصطلح يطلقه علماء النفس على تعطيل المعلومات القديمة التى سبق تعليمها للمواد الجديدة[١]. وتحدثوا عن الكف اللاحق (أو الرجعى)، وهو مصطلح يطلقه علماء النفس على تعطيل المعلومات الجديدة للمعلومات القديمة، أو الأثر الرجعى للمعلومات الجديدة والتى تتداخل مع المعلومات القديمة وتعطل أثرها.

وضربوا أمثلة على هذه الظاهرة منها: "عدم القدرة على تسميع إحدى سور القرآن إذا انشغل الشخص بعد الحفظ بمعرفة معانى المفردات الصعبة[٢]. وتحدثوا عن الكف الاستجابى وهو عبارة عن ميل لانخفاض مستوى الاستجابات نتيجة النشاط المجهد، وهو يترتب على طول مدة التدريب وكثرة المحاولات السابقة، فمثلا تنخفض كفاءة تلميذ فى أداء نفس المستوى من العمل المطلوب حفظه (مثل تسميع بيت الشعر بعد الاستماع إليه)؛ لأن كثرة الجهد المتواصل المبذول تؤدى إلى انخفاض الكفاءة، والميل إلى عدم إصدار الاستجابة أو خمودها بطريقة تشبه آثار التعب حيث يتمثل هذا التعب فى نقصان القدرة على أداء العمل الذهنى أو البدنى نتيجة للجهد المبذول فى

---

(١) السابق ص٣٠٨.

(٢) السابق ص٣١٠.

أعمال سابقة[1]. ونبهوا إلى أهمية تفوق التمرين الموزع على فترات متباعدة يفصل بين كل منها فترة للراحة، على التمرين المتجمع الذى يؤدى إلى هذا النوع من الكف للاستجابة[2].

ومثلما تحدث علماء النفس عن (سيكولوجية الإحساس) ودرسوا "الإحساس وطبيعته" و(عمليات الإحساس وخطواته) و(أعضاء الحس: الإبصار، والسمع والشم، والذوق، والجلد من أجل معرفة العلاقة بين العمليات الحسية والعمليات الإدراكية والعمليات المعرفية"[3]. وقاموا برسم الأشكال البيانية التى هى محصلة لما تم فى علم التشريح، وبينوا بالأدلة علاقة الأعصاب بالعين[4]. وأعصاب الأذن وعلاقتها بعملية السمع[5]. وعلاقة الأعصاب بالشم[6].

ومثلما قسموا كلا من شقى المخ إلى أربعة أقسام تشريحية هى: الفص الصدغى، وهو يشتمل على المراكز الرئيسية للسمع. والفص المؤخرى (القفوى). وهو يشتمل على المراكز الرئيسية للإبصار، والفص الجدارى، وهو يتضمن أنواعا من الوظائف الحسية والحركية، ثم الفص الجبهى حيث مراكز الكلام ووظائف التفكير[7].

ومثلما تحدثوا بالتفصيل عن الجهاز العصبى المحيطى (الطرفى) وقسموه إلى ثلاث مجموعات من الأعصاب،

---

(١) السابق ص٣١١.
(٢) السابق ٣١١- ٣١٢.
(٣) علم النفس العام ص ١٢١ وما بعدها، بحث للدكتور محمد نجيب أحمد الصبوة مرجع سابق.
(٤) السابق ص ١٣١.
(٥) ص ١٥٣.
(٦) ص ١٥٨.
(٧) ص٩٩.

والأعصاب الدماغية، والأعصاب النخاعية الشوكية، والأعصـــاب اللا إرادية[1]. وقالوا بأنها – أى الأعصاب – تخدم بصفة رئيســية العمليات الحسية مثل الشم والذوق واللمــس والســمع والإبصـــار والحساسية الباطنية (الاتزان، والوضع.... الخ"[2].

ومثلما تكلموا عن علاقة القلب بما سبق[3]، وتحدثوا عن علاقة كل ما سبق بتخزين المعلومات (قرن آمون) [4]– اجتهد الذهبى فى التنبيه إلى مثل هذه الأمور؛ قال: "واعلم أن الله سبحانه وتعـــالى، وله الحمد، ركب أبدان الحيوان من أعضاء كثيرة. وجعل العظـــم عمد البدن ولم يجعل ما فى البدن عظما واحدًا بل عظاما كثيـــرة للحاجة إلى اختلاف الحركة، فلو كان البدن عظما واحدًا لامتنع من الحركة المختلفة، وأوصل سبحانه، وله الحمد، كل عظمين بجســـم يسمى الرباط، وجعل سبحانه فى آخر طرف العظم زائـــدة ناتئـــة وفى الطرف الآخر نقرة موافقة لدخول تلك الزائدة، فالتأمت بذلك هيئة الخلقة وتسهلت الحركات، وجعل سبحانه وتعالى الدماغ مبدأ الحس والحركة وأنبت منه الأعصاب لتؤدى إلى كل عضو الحس والحركة، وبعث سبحانه، وله الحمد، من هذه الأعصاب قسما إلى العين يسمى العصب النورى به يتم البصر، وقسما آخر إلى الأذنين به يتم السمع. وقسما آخر إلى المنخرين به يتم الشم، وقسما آخـــر إلى اللسان به يتم الذوق، وجعل سبحانه وتعالى حركات الأعضاء بالآت تسمى العضل، وزاد سبحانه وتعالى وثاق الأعضاء بـــآلات تسمى الوتر، ولما كان أسافل البدن فيه بُعد ما عن الـــدماغ جعـــل

---

(١) ص ١٠٣.

(٢) ص١٠٣.

(٣) ص ١٠٣.

(٤) ص١١٤.

الخالق سبحانه وتعالى فى مؤخر عظم قحف الدماغ ثقبا يخرج من النخاع يمتد فى خرز الظهر يعطى أسافل البدن الحس والحركة. وحصن سبحانه وتعالى الدماغ بعظم القحف والنخاع بخرز الظهر، كما حصن القلب والكبد بعظام الصدر فإن هذه الأعضاء شريفة فحصنت بالعظام لتكون أبعد عن قبول الآفات، وجعل سبحانه وتعالى الدماغ ثلاث بطون: البطن المقدم الأول للتخيل، والثانى المتوسط للفكر، والمؤخر الثالث للذكر... وكما يخرج من الدماغ أعصاب توصل للأعضاء الحس والحركة يخرج من القلب شريانات نابضة توصل للأعضاء مادة الحياة، ولما كان القلب مستوقد الحار الغريزى، والحرارة إن لم تتروح انطفأت، جعل الله سبحانه وتعالى آلات النفس الفم والأنف والمنخرين...الخ"[١].

يعلم الله – وأشهده تعالى على ما أقول – أن كتابى الطب النبوى للذهبى والآخر لابن القيم فيهما إشارات كثيرة لما يسمى بالصحة النفسية وعلم نفس التعلم وعلم نفس النمو...الخ من فروع علم النفس.

المستوى الثالث: التذكر طويل المدى:

وهو يقابل ما سماه ابن القيم بحفظ الأمور الماضية. وتحدث علماء النفس عن مراحله وذكروا أنها: الترميز والتسجيل، ثم الاسترجاع من الذاكرة طويلة المدى) وتحدثوا فى الترميز والتسجيل عن كون الحواس طرقا متخصصة للمعلومات، وقالوا يبدو أننا نقوم بتسجيل المعلومات البصرية من خلال صور بصرية والمعلومات السمعية من خلال صور سمعية وهكذا[٢].

---

(١) الطب النبوى للذهبى ص١٥١، ١٥٢.

(٢) علم النفس العام ص ٣١٢.

وتحدثوا عن النسيان فى مستوى التذكر طويل المدى و"أرجعوا سببه إلى الشرود بحيث لا يحول الشارد الكلمات المفردة التى لا تقدم إلى مادة ذات معنى، أى لا يقوم بترميزها بطريقة ملائمة؛ لذلك لا تتحول هذه الكلمات – عندئذ – إلى مستوى التذكر طويل المدى[١].

وبعد دراستهم للتذكر وأسبابه وعكسه وهو النسيان نبهوا إلى (طرق تحسين التذكر طويل المدى). حيث نبهوا إلى عملية (الانتباه) و(التنظيم) وهو يساوى عندهم إعطاء معنى للمحفوظ[٢].

و(من أهم الطرق التى تستخدم لتحسين التحصيل الدراسى من خلال المشاركة الفعالة فى عملية التعلم والتى ثبتت قيمتها تجريبيا، الطريقة ذات الخطوات الخمس التالية:

أ- **إلقاء نظرة عامة وشاملة فى البداية:** حيث تبين أن إلقاء نظرة عامة على التخطيط العام لموضوعات فصول أحد الكتب وعناوين فقراته الرئيسية- يؤدى إلى الإحاطة بما يتوقع معالجته؛ مما يجعل الشخص يستعد لمعرفة كيف تم تجميع الوقائع مع بعضها البعض، لإحداث نوع من التكامل بين هذه المادة الجديدة وما لديه فعلا من معلومات مختزنة فى ذاكرته طويلة المدى.

والحق أن العلماء فى شتى تخصصاتهم يقدمون – فى الغالب – لمؤلفاتهم بمقدمات نظرية منهجية يوضحون فيها الهدف من تأليفها والخطوات الإجرائية التى ساروا عليها. لقد رتب المحدثون أسماء الرجال بحسب ترتيب الحروف العربية ليسهل حفظ أسماء الثقات والضعفاء، ورتبوا كتب العلل بحسب أبواب الفقه وغيرها من

---

(١) ص٣١٥.

(٢) السابق ص ٣١٧ – ٣١٨.

تفسير ورقائق...الخ، وقد شارك المحدثون غيرهم فى هذا الأمر، انظر مقدمة صحيح مسلم التى تحدث فيها عن صفات من يؤخذ بحديثهم، وانظر مقدمة الكامل فى الضعفاء وعلل الحديث لابن عدى، ومقدمة (الثقات) و(المجروحين) لابن حبان، وأحيانا كانوا يفردون هذه المقدمات المنهجية بالرسائل، وممن جمع هذه المقدمات فى كتاب واحد (ابن الصلاح) فى علوم الحديث، وسماها بالمقدمة. وانظر ابن حجر فى (هدى السارى) قدم فيه لكتابه (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) والحق أن علماء الحيث فى هذا الأمر لم يكونوا متفردين بهذا الأمر.

ب- السؤال والجواب:

يتذكر الأشخاص بطريقة أفضل المادة التى يطلب منهم تعلمها؛ إذا سألوا أنفسهم أسئلة تتصل بالمعالم الأساسية للمادة وحاولوا الإجابة عن هذه الأسئلة. إذ إن هذا من شأنه أن يساعد على تركيز الانتباه والتفكير فى المعلومات المبهمة وتعميق معالجة هذه المادة[1].

وقد مارس علماء الحديث هذه الطريقة فى تحصيل العلم الخاص بنقد الرواة فكان التلميذ يسأل أستاذه عن الراوى جرحا وتعديلاً فيجيبه ثم دونت هذه الإجابات وصارت فى مؤلفات منها:

- سؤالات ابن الجنيد ليحيى ابن معين، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف[2].
- سؤالات الآجرى لأبى داود فى الجرح والتعديل، تحقيق محمد على العمرى[3].

---

(١) علم النفس العام ص ٣٢١.

(٢) ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مكتبة الدار، المدينة المنورة السعودية.

(٣) ط الجمعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- سؤلات البرقانى للدارقطنى فى الجرح والتعديل، تحقيق عبد الرحيم القشيرى[1].
- سؤلات الحاكم للدارقطنى فى الجرح والتعديل، تحقيق: موفق عبد الله عبدالقادر[2].
- سؤالات محمد بن عثمان بن أبى شيبة لعلى بن المدينى، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر[3].

وقد أورد ابن عبد البر فصلاً كاملاً أورد فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى (وعيد من سئل عن العلم فكتمه)[4]. ومثلما مدحوا السؤال من أجل التعلم، ذموا المراء والجدال غير الهادف[5].

وروى الخطيب بسنده إلى إبراهيم بن سعد، قال: قلت لأبى: بم راقكم الزهرى؟ قال: كان يأتى المجالس من صدورها، ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقى فى المجلس شاب إلا ساءله، ولا كهل إلا ساءله... ولا فتى إلا ساءله، ولا عجوز إلا ساءلها ولا كهلة إلا ساءلها، حتى يحاور ربات الحجال"[6].

وعقد ابن عبد البر بابا عنوانه "باب فى ابتداء العالم جلساءه بالفائدة وقوله: سلونى، وحرصهم على أن يأخذ ما عندهم"[7].

---

(١) ط. باكستان.
(٢) ط المعارف، الرياض.
(٣) المعارف، الرياض.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٤ وما بعدها، من الجزء الأول، نشر دار الفتح، بجوار الأزهر. مصر.د.ت.
(٥) السابق ١٠٧/١.
(٦) الفقيه والمتفقه ٣٣٥/٢.
(٧) جامع بيان العلم ١١٣/١-١١٨.

وعقد بابا آخر سماه (باب طرح العالم المسألة على المتعلم)[1]. وسمى آخر بـــ(باب فتوى الصغير بين يدى الكبير بإذنه"[2].

جـــ - القراءة بتركيز[3].

نبه علماء الحديث إلى أهمية خلو الذهن من أى شواغل لحظـــة تحصيل العلم، ونصحوا طلاب العلم بنصائح تفيد هنا منها ما ذكره الخطيب البغدادى فى (باب القول فى التحفظ وأوقاته وإصلاح مـــا يعرض من علله وآفاته... اعلم أن للحفظ ساعات، ينبغى لمن أراد التحفظ أن يراعيها. وللحفظ أماكن ينبغى للمـــتحفظ أن يلزمهـــا. فأجود الأوقات: الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعـــدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار. قيـــل لبعضهم: بم أدركت العلم؟ فقال: بالمصباح، والجلوس إلى الصباح" وقيل لآخر؛ فقال: بالسفر، والسهر، والبكور فى السحر"[4]. هـــذا فيما يتعلق بالزمان أما المكان فقالوا: "وأجود أماكن الحفظ: الغرف دون السفل، وكل موضع بعُد مما يلهى، وخلا القلب فيه مما يقرعه فيشغله، أو يغلب عليه فيمنعه، وليس بالمحمود أن يتحفظ الرجـــل بحضرة النبات والخضرة، ولا على شـــطوط الأنهـــار ولا علـــى قوارع الطرق، فليس يعدم فى هذه المواضع غالبا ما يمنع من خلو القلب وصفاء السر"[5].

ثم نبه إلى أن البطنة لها تأثير على تحصيل العلم فقال: "أوقات الجوع أحمد للتحفظ من أوقات الشبع. وينبغى للمتحفظ أن يتفقد من

---

(١) السابق: (١/١١٩-١٢٠).
(٢) السابق ١/١٢٠.
(٣) علم النفس العام ص ٣٢١.
(٤) الفقيه والمتفقه: ٢/٢٠٧.
(٥) السابق ٢/٢٠٨.

نفسه حال الجوع، فإن بعض الناس إذا أصابه شدة الجوع والتهاون لم يحفظ،، فليطفئ ذلك عن نفسه بالشيء الخفيف اليسير كمص الرمان وما أشبه ذلك، ولا يكثر الأكل[١].

وذكر العجلي في ترجمة (عَفّان بن مسلم الصفّار) أنه كان يذهب برقاع المسائل إلى الموضع البعيد، فجاء يوما إلى معاذ بالرقاع وقد تلطخت بالناطف، فقال له: أي شئ ذا؟ قال له: إني أذهب إلى المواضع البعيدة، فيصيبني الجوع فأخذت ناطفا بجعلته في كمي وأكلته"[٢]. إنه يذهب إلى مكان بعيد كي يفرغ ذهنه من أي شئ عدا الرقاع التي فيها المسائل التي سوف يحكم فيها؛ لأنه كان على مسائل معاذ ابن معاذ[٣]. وهذه النصائح تتعلق بطالب العلم والأستاذ والفقيه فعليه" إذ أراد - أي الفقيه- الخروج إلى أصحابه، ليذكر لهم دروسهم فينبغي له أن يتفقد حاله قبل خروجه، فإن كان جائعا أصاب من الطعام ما يسكن عنه فورة الجوع وإن كانا حاقنا قضى حاجته، وإن كان ناعسًا لأمر أسهره، أخر تدريسه في تلك الحال، وأخذ حظه من نومه[٤].

وعليه ألا (يخرج إلا طيب النفس فارغ القلب من كل ما يشغل السر، فإذا صار إلى مجلسه، واجتمع إليه أصحابه، فلا يخلو من أن يكون عادته أن يذكر للجماعة دروسا مختلفة، لكل طائفة منها درسا، أو يذكر لجميعها درسا واحدًا هم فيه مشتركون، وعلى اختياره متفقون، فإن كانت دروسهم مختلفة، قدم من كان السبق له.

---

(١) السابق: نفسه.

(٢) تاريخ الثقات: ص ٣٣٧.

(٣) السابق: نفسه.

(٤) الفقيه والمتفقه ٢/٢٤٧.

فإن كان الأصحاب فى السبق متساوين، قدم ذا السن منهم[١]. وإن كان ما يذكره درسا واحدًا لجميعهم، فإنه يأمرهم بأن يتحلقوا، ويجلس فى وسطهم بحيث يبرز وجهه لكلهم[٢]. وإذا جلسوا حوله فليستعملوا الوقار والصمت[٣].

إنه – الخطيب البغدادى– نبه إلى ما يدعو إليه علماء النفس من قطع كل الشواغل التى تشتت الانتباه والإدراك فى عملية التعلم.

ولا يخفى أن المحدثين جعلوا الوهم والغفلة من عوامل جرح ضبط الراوى؛ قال الذهبى فى (محمد بن الحسن الأستراباذى العطار): "أمى غافل لا يدرى ما الحديث[٤]. وقال ابن حبان فى (بكر بن الأسود): (غلب عليه التقشف حتى غفل عن تعاهد الحديث، فصار الغالب على حديثه المعضلات[٥].

كما أنهم جعلوا لفظ (مغفل لا يحسن قبيله من دبيره) من ألفاظ الجرح الشديد بحيث تترك رواية من ورد فيه هذا اللفظ وتُرد[٦]. وجعلوا أيضا (فلان يحدث كما يجئ على قلبه) من ألفاظ الجرح الشديد حيث تترك رواية من يقال فيه هذا اللفظ.، وهذا دليل على الغفلة الشديدة وأنه يحدث بالحديث على وجوه متعددة غفلة ووهما[٧].

---

(١) السابق ٢/٢٥٠.
(٢) السابق ٢/٢٥١.
(٣) السابق ٢/٢٥٢.
(٤) المغنى فى الضعفاء: ٢/٥٦٧.
(٥) الميزان ١/٣٤٢-٣٤٣.
(٦) شفاء العليل ص٢٠٨.
(٧) السابق ص ٢٠٦، والميزان ٣/٤٤١، وانظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى: ٢٢٨/٣/٢ (٣٨٩٠)، ٢٢٨/٣/٢ (٣٨٩٠)، ٢٢٧/٣/٢ (٣٨٨٤)، ١٦٠/٣/٢ - (٣٥٢٠).

إن ما اهتدى إليه المحدثون قديما أثبته علماء النفس بالدراسات والبحوث بحسب ما توفر لهم فى العصر الحديث من أساليب إجرائية وبحوث منهجية لم تتوفر للسابقين. لقد أثبت علماء النفس أن هناك "علاقة بين العمليات الحسية والعمليات الإدراكية، والعمليات المعرفية... وتوصلوا إلى أنه من الصعوبة بمكان - إن لم يكن مستحيلاً - عزل العمليات الحسية عن العمليات الإدراكية لأنها سلسلة متلاحقة من الخطوات[١]. وعند بحث كل الجوانب الإدراكية ثبت بالقطع صعوبة عزل العمليات الحسية عن العمليات الإدراكية[٢].

وفى مبحث الانتباه أكد علماء النفس على المحددات الداخلية له، وذكروا أن هناك عوامل داخلية مختلفة، مؤقتة أو دائمة، تهيئ الفرد للانتباه إلى موضوعات خاصة دون غيرها، فمن أهم هذه المحددات الداخلية للانتباه: الدوافع: حيث إن لدوافع الإنسان وحاجاته ورغباته المختلفة أهمية كبيرة فى توجيه انتباهه إلى الأشياء والمواقف والأحداث الملائمة لإشباعها. وتحدثوا عن الجوع وأثره على الانتباه[٣]. وهذه أمور نبه إليها الخطيب البغدادى كما سبق. وتحدثوا على التهيؤ (أو الوجهة الذهنية). والحق أن المحدثين - مارسوا هذا الأمر، انظر ما كتبه الخطيب آنفا، وما قاله ابن كثير: "وليكن المسمع على أكمل الهيئات، كما كان مالك رحمه الله: إذا حضر مجلس التحديث، توضأ وربما اغتسل، وتطيب ولبس أحسن ثيابه، وعلاه الوقار والهيبة وتمكن فى جلوسه، وزجر من يرفع صوته[٤].

---

(١) علم النفس العام ص١٦٤.

(٢) السابق ص ١٦٥.

(٣) السابق ص ١٨٢.

(٤) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ١٢٦.

ومن المواطن التى نبه علماء الحديث فيها إلى أهمية القـراءة بتركيز، مبحث المختلطين الذين لا يميزون بين مروياتهم ومرويات غيرهم، فهم لا يعرفون شيئا مما يقرا عليهم، جاء فى لسان الميزان أن "أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، أبـو بكـر القطيعـى أن الذهبى قال: صدوق فى نفسه مقبول، تغير قليلا، وقال الحاكم: ثقة مأمون، وقال الخطيب: لم نر أحدًا ترك الاحتجاج به، وقـال أبـو عمرو بن الصلاح: اختل فى آخر عمره، حتى كان لا يعرف شيئا مما يقرأ عليه، ذكر هذا أبو الحسن ابن الفرات"(١).

وجاء فى "المختلطين" للحافظ العلائى فى ترجمة (هشـام بـن عمار المقرى) أنه: (روى عنه البخارى فى صحيحه. وقال أبـو حاتم: لما كبر تغير، وكل ما وقع إليه قرأه، وكل ما لُقـن تلقـن، وكان قديما أصح، وهو صدوق"(٢).

إنه بسبب الاختلاط لا يقرا قراءة واعية بحيث يميز المقبول من المردود، ولا يوثق المرويات بنسبتها الصحيحة إلى قائلهـا، فقـد يرفع الموقوف أو يوقف المرفوع ويحدث بالموضوعات والأحاديث الضعيفة.

وإذا كان قد صرحوا فى الروايتين السابقتين بأنـه (لا يعـرف شيئا مما يقرأ عليه)، و(كل ما وقع إليه قرأه)، فإنهم فـى أحكـام أخرى على الرواة يكتفون بقولهم (لقن). والتلقين يعنى عدم التركيز لغياب العقل أو ضعف البصر، جاء فى الميزان للذهبى أن "يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ المدنى الشجرى، قال العقيلـى: فـى حديثه مناكير وأغاليط، وكان ضريرا فيما بلغنى يُلقن"(٣).

---

(١) لسان الميزان ١/١٥٤.

(٢) كتاب المختلطين ص ١٢٦.

(٣) الميزان ٤/٤٠٦.

وأحيانا تزداد درجة الاختلاط لدرجة أنه لا يميز ويدعى الرواية عمن لم يرهم، والحق أن هذا فى مبحث الاختلاط ينقل الراوى من درجة الرد والترك التى يسكنها الوضّاعون الذين يتعمدون الكذب ويصير فى درجة الشواهد والمتابعات أو الترك بسبب الغفلة الشديدة لا لتعمد الكذب فهو متروك (ضبطا) لا (عدالة). انظر فى هذا ترجمة (يحيى بن إبراهيم بن أبى زيد الأندلسى البيار المقرى"[1].

وقد أفراد ابن حبان لهذه الظاهرة نوعًا جعله "النوع الرابع عشر" من أنواع الضعفاء والمتروكين فقال: "ومنهم من امتحن بابن سوء أو وراق سواء كانوا يضعون له الحديث، وقد أمن الشيخ ناصيتهم، فكانوا يقرعون عليه ويقولون له: هذا من حديثك فيحدث به، فالشيخ فى نفسه ثقة إلا أنه لا يجوز الاحتجاج بأخباره، ولا الرواية عنه؛ لما خالط أخباره الصحيحة الأحاديث الموضوعة"[2].

وعدم التمييز بعد (إدخال الرواة عليه) أو (التلقين)- تحدث عنه ابن حبان فى النوع الخامس عشر[3].

د- **الحفظ:**

ذكر علماء النفس أن من المهم بعد القراءة المستوعبة، استدعاء المعلومات العامة بصوت مسموع أو كتابتها بعد إغلاق الكتاب. ويحتفظ معظم الأشخاص بقدر أكبر من المادة عند تقسيم الوقت المخصص للاستذكار، بين القراءة والحفظ؛ لأن الشخص إذا راجع

---

(١) السابق لسان الميزان (٦/٢٤٠) والصلة لابن بشكوال (٢/٦٣٣-٦٣٤)، الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال (٤٩٤-٥٧٨) نشر مكتبة الخانجى، بالقاهرة.

(٢) مقدمة المجروحين ص٧٧.

(٣) السابق ص٧٨.

نفسه وسمّع لنفسه تأكد من مستوى حفظه مما يساعد على استعادة ما يحتاج إلى مزيد من الاستذكار أو الفهم[1].

وبالنسبة للشق الثانى من وسائل الحفظ وهو كتابة العلم؛ فقد عقد ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله بابا سماه (باب ذكر الرخصة فى كتابة العلم)[*]

وذكر مرويات عن السلف فيه منها: "ودخل على إبراهيم النخعى شئ فى حفظه لتركه الكتاب"[2]. وروى بسنده إلى منصور قال كان إبراهيم يحذف الحديث فقلت له: إن سالم بن أبى الجعد يتم الحديث قال له إن سالما كتب وأنا لم أكتب[3].

وذكر مرويات عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين فى تقييد العلم[4]، وروى لشعبة قوله: إذا رأيتمونى أشج الحديث فاعلموا أننى تحفظته من كتاب[5]، وذكر قول المبرد: قال الخليل بن أحمد: ما سمعت شيئا ولا كتبته إلا حفظته ولا حفظته إلا نفعنى[6].

هـ- التدريب الموزع:-

وذكروا أن من الطرق العملية التى تساعد على تحسين التذكر طويل المدى - التدريب الموزع وذكروا أن من أهم مزاياه: أن مادة التعلم إذا تم توزيعها على عدة أسابيع، تزداد فرص زيادة

---

(١) علم النفس العام ص ٣٢١.

(*) ١/٧٠-٧٧.

(٢) جمعى بيان العلم ١/٧٠.

(٣) ١/٧٠-٧٧.

(٤) السابق: نفسه. وللخطيب البغدادى كتاب (تقييد العلم) حققه يوسف العش.

(٥) السابق: نفسه. ١/٧٤-٧٥ (والمعنى: أصب الكلام صبا).

(٦) السابق ١/٧٧.

الانتباه والتنظيم والمشاركة الفعالة وزيادة تأكيد التعليم والتمـــرين مما يزيد من فرص الحصول على درجة أكبر[١].

ويقصد بالتدريب الموزع- الذى يقابل التدريب المركز- ذلـــك التدريب الذى يتم فى فترات متباعدة تتخللها فترات من الراحة أو عدم التدريب. ولقد وُجِدَ أن التدريب المركز يؤدى إلـــى التعـــب والشعور بالملل. كما أن ما يتعلمه الفرد بالطريقة المركزة يكـــون عرضة للنسيان؛ وذلك لأن فترات الراحـــة التـــى تتخلـــل دورات التدريب الموزع تؤدى إلى تثبيت ما يتعلمه الفرد. هذا إلى جانـــب تجدد نشاط المتعلم بعد فترات الانقطاع وإقباله على التعلم باهتمام أكبر. فقصيدة الشعر التى تريد أن تحفظها والتى يحتـــاج حفظهـــا منك إلى تكرار ما نحو خمس ساعات تســـتطيع أن تقـــوم بهـــذا التدريب بالطريقة المركزة دفعة واحدة، كما تستطيع أن توزع هذه الساعات الخمس على خمسة أيام وبذلك تتبـــع مـــنهج التـــدريب الموزع. وقد أجريت بعض التجارب التـــى أثبتـــت أن التـــدريب الموزع خير من التدريب المتصل[٢].

والحق أن المحدثين انتبهوا إلى هذا الأمر؛ قـــال برهـــان الـــدين الأبناسى فى مبحث معرفة آداب الحديث: "وليكن تحفظه للحديث على التدريج قليلا قليلا مع الأيام والليالى، فذلك أحرى بأن يمتع بمحفوظه. وممن ورد ذلك عنه من حفاظ الحديث المتقدمين: "شعبة، وابن عُليّة، ومعمر". وروينا عن (معمر) قال: "سمعت الزهرى يقول: من طلـــب

---

(١) علم النفس العام ص ٣٢٢ وقارن بـــ ص ١٤٩ من سيكولوجية الـــتعلم، أعـــده أعضاء قسم علم النفس التربوى بجامعة عين شمس، كلية التربية.

(٢) انظر: ص ١٤٠ من كتاب معالم علم النفس للدكتور عبد الرحمن عيسوى، نشر دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

العلم جملة، فاته جملة. وإنما يدرك العلم حديثا وحديثين"[١].

وزاد فى موضع آخر من نفس المبحث: "... على التدريج قليلاً قليلاً، أى: فلا يكلف نفسه حفظ ما لا يطيقه، ففى الحديث الصحيح: خذوا من الأعمال ما تطيقون". وعن الثورى قال: "كنت آتى الأعمش ومنصورًا فأسمع أربعة أحاديث، خمسة، ثم أنصرف كراهية أن تكثر وتفلت... وعن الزهرى أنه قال: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة له غلبك ولكن خذه مع الليالى والأيام أخذًا رقيقًا تظفر به"[٢].

وعقد ابن عبد البر بابا فى جامع بيان العلم وفضله عنوانه (باب كيفية الرتبة فى أخذ العلم). ذكر فيه أن ابن شهاب قال ليونس: "لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالى ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشىء بعد الشىء مع الأيام والليالى[٣].

وكانوا بعد الانتهاء من التحديث يروحون عن أنفسهم بالملح والنوادر والشعر؛ قال حماد بن زيد: كان الزهرى يحدث ثم يقول هاتوا من أشعاركم هاتوا من أحاديثكم فإن الأذن مجاجة وإن للنفس حمضة[٤]. وروى بسنده إلى على رضى الله عنه: "اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف فإنها تمل كما تمل الأبدان[٥]. وذكر مرويات تدل على أن السلف تناولوا قضايا من مثل (ملل) و(سآمة)

---

(١) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ٤١١/١.
(٢) السابق ٤١٥/١- ٤١٦.
(٣) جامع بيان العلم ١٠٤/١.
(٤) السابق ص١٠٤.
(٥) السابق ١٠٥.

طالب العلم[1]. وعقد الخطيب البغدادى- المحدث- بابًا فى كتابه (الفقيه والمتفقه) سماه بـ (ذكر مقدار ما يحفظه المتفقه) ذكر فيه: "... من الناس من يحفظ عشر ورقات فى ساعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة فى أيام، فإذا ذهب الذى مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبها بغيره لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسى ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع. فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار يبقى فيه ما لا يستفرغ كل نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعلم من الذهن الجيد والمعلم الحاذق"[2]. ونقل عن بعض الحكماء قوله: "إن لهذه القلوب تنافرًا كتنافر الوحوش، فألِّفوها بالاقتصاد فى التعليم، والتوسط فى التقويم، لتَحْسُنَ طاعتها، ويدوم نشاطها[3].

ونبه إلى علاقة الراحة والهمة بتثبيت المحفوظ فقال: "ينبغى للمتعلم أن يجعل لنفسه حداً، كلما انتهى إليه وقف عنده، حتى يستقر ما فى قلبه، ويريح بتلك الوقفة نفسه، فإذا اشتهى التعلم بنشاط عاد إليه، وإن اشتهاه بغير نشاط لم يعرض له... وإذا اشتهى مع نشاط ثبت فى قلبه ما يسمعه وحفظه، وكان ذلك بمثابة رجل يشتهى الطعام، ولا تكون معدته نقية، فإذا أكل ضره ولم يَسْتَمْرِه، وإذا اشتهى والمعدة نقية، استمرأ ما أكل وبان على جسمه[4].

وشَبّه الذى يأخذ العلم بالتدريج بالبناء الجيد المواصفات فقال: "وينبغى أن يجعل لنفسه مقدارًا، كلما بلغه وقف وقفة أياما لا يريد تعلما، فإن ذلك بمنزلة البنيان: ألا ترى أن من أراد أن يستجيد البناء،

---

(١) السابق: نفسه.
(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٢١٥.
(٣) السابق ٢/٢١٦.
(٤) السابق ٢/٢١٨.

بناه أذرعا يسيرة، ثم تركه حتى يستقر، ثم يبنى فوقه، ولو بنى البناء كله فى يوم واحد لم يكن بالذى يستجاد، وربما انهدم بسرعة"[١].

ونبه إلى أهمية الراحة فى تحصيل العلم بعد التعب فقال: "ويستصلح المتعلم نفسه ببعض الأمر من أخذه نصيبا من الدعة والراحة واللذة فإن ذلك يعقبه منفعة بينة[٢].

ونبه إلى أن التعليم المركَّز يؤدى إلى الملل والأضرار الكثيرة فقال: "ولا ينبغى أن يُمْرِجَ[*] نفسه فيما يستفرغ مجهوده، وليعلم أنه إن فعل ذلك فتعلّم فى يوم ضِعف ما يحتمل أضرّ به فى العاقبة؛ لأنه إذا تعلم الكثير الذى لا طاقة له به، وإن تهيأ له فى يومه ذلك أن يضبطه، وظن أنه يحفظه، فإنه إذا عاد من غد وتعلم نسى ما كان تعلمه أولاً وثقلت عليه إعادته، وكان بمنزلة رجل حمل فى يومه ما لا يطيقه فأثر ذلك فى جسمه... فينبغى للمتعلم أن يشفق على نفسه من تحميلها فوق طاقتها، ويقتصر من التعليم على ما يبقى عليه حفظه، ويثبت فى قلبه[٣].

وهذه الطريقة فى التدرج ينبغى أن يلتزم بها الأستاذ حيث إنه ينبغى عليه أن "يذكر لهم الدرس على تمكث وتؤدة، ومن غير إسراع وعجلة[٤]. وينبغى أن يكون فيما يذكره مقتصدًا، ويتجنب الإطالة، لئلا يؤدى إلى الضجر والملالة[٥].

---

(١) السابق ٢/٢١٧.
(٢) السابق ٢/٢١٩.
(*) يخلط كما قال محققه.
(٣) السابق ٢/٢١٦.
(٤) السابق ٢/٢٥٥.
(٥) السابق ٢/٢٥٦.

و- زيادة تأكيد التعليم بتكراره:-

ذكر علماء النفس أن من الطرق التى تساعد على تحسين عملية التذكر طويل المدى - زيادة تأكيد التعليم بتكراره. والحق أن المحدثين نبهوا إلى أهمية المذاكرة فى تثبيت المحفوظ، قال الأبناسى: "ثم إن المذاكرة بما يتحفظه من أقوى أسباب الإمتاع به. روينا عن (علقمة النخعى) قال: "تذاكروا الحديث؛ فإن حياته ذكره". وعن (إبراهيم النخعى، قال: من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به.... وليشتغل بالتخريج والتأليف والتصنيف إذا استعد لذلك وتأهل له؛ فإنه كما قال الخطيب الحافظ: يُثبت الحفظ ويذكى القلب ويشحذ الطبع، ويجيد البيان ويكشف الملتبس، ويكسب جميل الذكر، ويخلده إلى آخر الدهر. وقل ما يمهر فى علم الحديث ويقف على غوامضه ويستبين الخفى من فوائده، إلا من فعل ذلك"(١).

إنه ينبه هنا إلى أهمية ربط المحفوظ (النظرى) بالتطبيق العملى فهو خير وسيلة لتثبيت المحفوظ وينبه إلى المذاكرة التى تعنى التدريب والمران، فكل هذا يؤدى إلى مهارة طالب العلم فى تخصصه.

وذكر فى موضع آخر مرويات أخرى منها: "قول على رضى الله عنه: تذاكروا الحديث؛ فإن حياته مذاكرته.. ونحوه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ وابن عباس. وعن الخليل بن أحمد أنه قال: ذاكر بعلمك تذكر ما عندك". وعن عبد الله ابن المعتز قال: "من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم"(٢).

وقد نبه الخطيب البغدادى إلى ضرورة مراعاة طالب العلم للمحفوظ وتعاهده؛ فقال: (ينبغى أن يراعى ما يحفظه، ويستعرض

---

(١) الشذا الفياح ١/٤١١.

(٢) السابق ١/٤١٦.

جميعه كلما مضت له مدة، ولا يغفل عن ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا علم إنسانا مسألة من العلم، سأله عنها بعد مدة، فإن وجده قد حفظها علم أنه محب للعلم، فأقبل عليه وزاده، وإن لم يره قد حفظها، وقال المتعلم: كنت قد حفظتهُا فأُنسيتُها أو قال كتبتُها فأضعتُها أعْرَضَ عنه ولم يعلّمه، وينبغي ألا يسأل الفقيه أن يذكر له شيئا إلا ومعه سلامة الطبع، وفراغ القلب وكمال الفهم؛ لأنه إذا حضره ناعسا أو مغموما، أو مشغول القلب، أو قد بطر فرحا، أو امتلأ غضبا لم يقبل قلبه ما سمع، وإن ردد عليه الشيء وكرر، فإن فهم لم يثبت فى قلبه ما فهمه حتى ينساه، وإن استعجم قلبه عن الفهم، كان ذلك داعية للفقيه إلى الضجر، وللمتعلم إلى الملل، وكلما ذكرت أنه يلزم المتعلم افتقاده من نفسه، فإن على الفقيه مثله، إلا أن المتعلم يحتاج من ذلك إلى أكثر مما يحتاج إليه الفقيه؛ لأنه يريد أن يسمع ما لم يكن سمعه من قبل، فيريد أن يتعرفه وأن يتحفظه، والفقيه فهم لما يريد أن يلقيه، حافظ لما يقصد أن يحكيه، فإذا كان الفقيه من الحفظ والمعرفة على ما ذكرت ويلزمه من افتقاد نفسه ما وصفت، والمتعلم يريد أن يلقى إلى قلبه ما لا يعرفه، وقلبه نافر عنه، ونفسه تستثقل التعب، والإكباب على الطلب فهو يحتاج من فراغ القلب إلى أكثر مما يحتاج إليه الفقيه، ويحتاج إلى صبر شديد على الاستذكار والترديد، ولهذا قال الشافعي: "والناس طبقات فى العلم، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم فيه، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله فى إدراك علمه نصا واستنباطا والرغبة إلى الله فى العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه"(١).

---

(١) الفقيه والمتفقه: ٢٠٣/٢.

وأورد قول إبراهيم بن سيار النظام: "العلم: شـــئ لا يعطيـــك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك، من إعطائه البعض على خطر"(١).

إن التكرار يزيد فى قوة الانتباه، فما يفوت الذهن والذاكرة فـــى أحد المرات يحصله فى مرة أخرى؛ لذلك نبه نقاد المرويات إلـــى هذا الأمر، قال أبو حاتم– ابن حبان–: "فهذا كان دأب شعبة فـــى تفتيش الأخبار والبحث عن سقيم الآثار، ولم يكن يعد السماع مـــن الشيخ إلا بعد أن يسمعه مرارًا، وكذلك كان زائدة بـــن قدامـــة إذا سمع الحديث مرة لم يجز عليه فإذا سمعه مرة أخرى لم يجز، فإذا سمعه ثالثة أجاز عليه، وقال: قد صح"(٢).

إن الناقد يسمع من الراوى الذى يريد الإجازة مـــرة ومـــرتين وأكثر حتى يتأكد من أن الراوى أدى المـــروى بطـــرق التحمـــل والأداء المتفق عليها، ثم يختبر قراءته للتأكد من مدى ضبطه؛ لأن ما يخفيه الممتحن مرة سوف يظهر فى أخرى، وهذا فيه من الدقة فى إعطاء (الإجازات) ما ليس بعده من إعمال للضـــمير العلمـــى الذى لا يعطى الطالب أكثر أو أقل مما يستحق، وهذه قيمة تربوية هادفة، ينبغى تطبيقها فى كل عصر لتقييم طلاب العلم ووضـــعهم فى الدرجات والمراتب اللائقة بهم حتى لا يوسد الأمر لغير أهله.

وعلم المحدثون أن للدوافع والهمة أكبر الأثر فى تحصيل العلم؛ فقال الخطيب البغدادى: " ليعلم طالب العلم أن شـــهرة الســـماع لا تنتهى، والنهمة من الطلب لا تنقضى، والعلم كالبحـــار المتعـــذر كيلها، والمعادنِ التى لا ينقطع نيلها، فلا ينبغى له أن يشتغل فـــى الغربة إلا بما تَستحق لأجله الرحلة"(٣).

---

(١) السابق: نفسه.

(٢) المجروحين، المقدمة ص٣١.

(٣) الشذا الفياح ١/٤٠٦.

إن للرحلة فى طلب الحديث علاقة كبيرة بهمة طالب العلم وشهوته فى طلب الحديث. إن هذه الشهرة هى التى جعلت ابن معين يقول فى مرض موته، بعد أن سئل: "ما تشتهى؟ فقال: بيت خالى، وإسناد عالى"[١].وعلق ابن كثير على هذا القول: "ولهذا تداعت رغبات كثير من الأئمة النقاد، والجهابذة الحفاظ، إلى الرحلة فى أقطار البلاد، طلبا لعلو الإسناد وإن كان قد منع من جواز الرحلة بعض الجهلة من العباد، فيما حكاه الرامهرمزى فى كتابه "الفاصل". ثم إن علو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله. وقال بعض المتكلمين: كلما طال الإسناد كان النظر فى التراجم والجرح والتعديل أكثر، فيكون الأجر على قدر المشقة[٢].

ولا يخفى أن للهمة والدوافع والرغبات أكبر الأثر فى تحمل المشاق فى تحصيل العلم، لذلك قال يحيى بن أبى كثير: "لا ينال العلم براحة الجسد"[٣].

وعن الشافعى أنه قال: "لا يطلب هذا العلم من يطلبه بالتملك وغنى النفس، فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وذلة، أفلح"[٤]. والمحدثون فى أمر الهمة والدوافع والبذل والتضحية فى طلب العلم استفادوا من خبرات الأمم السابقة، نقل الخطيب البغدادى قول أفلاطون، الذى رواه بسنده إلى أبى بكر بن دريد؛ قال: سأل شابٌ جاهل أفلاطون: كيف قدرت على كثرة ما تعلمت؟ قال: لأنى أفنيت من الزيت أكثر مما شربت أنت من

---

(١) اختصار علوم الحديث ص١٣٦.

(٢) السابق: ص١٣٦.

(٣) الشذا الفياح ١/٤٠٤.

(٤) السابق: نفسه.

الشراب". وقال: بلغنى أن رجلاً قال لأفلاطون. ألم نكن جميعًا فى مكتب واحد؟ قال: بلى. قال: كيف صرت تعلو منبر التعليم وحظى من العلم ما تراه؟ قال: ذلك لأن دينارى كان محمولاً إلى الزيات، ودينارك كان محمولا إلى الخمار[١].

وفى كتب الجرح والتعديل أوردوا روايات تفرد بهـا بعـض الرواة المجروحين تدل على أنهم رأوا أن هناك علاقة بين الهموم والشواغل والتذكر والنسيان، بغض النظر عن كونها صحيحة إلى النبى ﷺ أم لا، العبرة هنا بالمضمون لا التوثيق. ذكر الذهبى فـى ترجمة (زكريا بن يحيى بن الحارث) أنـه (ضـعفه الـدارقطنى. وروى بسنده إلى أنس - مرفوعا: يا على، اتق الدنيا، فمن كثـر نشبه كثر شغله، ومن كثر شغله اشتد حرصه، ومن اشتد حرصـه كثر همه، ومن كثر همه نسى"[٢].

ونقلوا قول ابن دريد؛ قال: "قال أفلاطون: محب الشرف هـو الذى يتعب نفسه بالنظر فى العلم"[٣].

وقد ضرب المحدثون المثل فى الرحلة وتحمل المشاق فى طلب العلم، قال ابن شهاب: "ما استودعت قلبى شيئا قط فنسيته، قلنـا: وحسبك بهذا عناية وتوفرًا. وكان ابن شهاب لا يأكل التفاح، وعند الأطباء أن التفاح يملأ المعدة لزوجات تشغل وتنسى، وكان يشرب العسل ويقول: إنه يذكى[٤].. وذكر لنا أن ابن الأنبارى كان يـؤتى

---

(١) السابق: نفسه.

(٢) الميزان ٢/٧٩-٨٠.

(٣) الفقيه والمتفقه ٢/٢٠٥.

(٤) الحث على طلب العلم والاجتهاد فى جمعه ص٦٦ لأبى هلال العسكرى وقد كان محدثاً واشتهر فى الآفاق بالرواية والإتقان، وانتهت إليه الرياسة فـى التحـديث، والكتاب حققه الدكتور عبد المجيد دياب، دار الفضيلة مصر، ط١، ١٩٩٨م. انظر فى اشتغال أبى هلال بالتحديث والبروز فيه مقدمة المحقق الكتاب.

بالرطب فيوضع بين يديه فلا يمسه! ويقول له: ما أطيبك وأحلاك، وللعلم أطيب منك وأحلى! ولا ينال منه"[١]. وقد تحملوا كل المصاعب فى طلب العلم؛ قال عبد الرحمن ابن حرملة: "قد شجنى سعيد بن المسيب فى العلم مرتين. وقال الأعمش: الحبر فى ثياب صاحب الحديث، أحسن من الخلوق فى ثوب العروس. وقال ابن عباس ﷺ: ذللت طالبا فعززت مطلوبا[٢]. ونحو هذا قول شعبة وقد قيل له: ما بال حديثك نقيا: قال: لتركى العصائد بالغدوات. وسئل شريك عن حديث، فقال: هذا ما فتتنا فيه العصائد"[٣]. وكانوا يشبهون فوات العلم فكانوا يقولون: "من غاب خاب، وأكل نصيبه الأصحاب"[٤]. يقصدون أخذوا نصيبه من العلم.

وقد سئل ابن المبارك: إلى كم تكتب الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التى انتفع بها لم أسمعها بعد. وقال سفيان: من ترأس سريعا أضر بكثير من العلم، ومن لم يترأس طلب وطلب حتى بلغ[٥]. وقال الشعبى: "رحل مسروق فى آية إلى البصرة، فسأل عن الذى يفسرها، فأخبر أنه بالشام، فتجهز إلى الشام، حتى سأل عنها. قال: وما رأيت أحدًا أطلب للعلم فى الآفاق من مسروق. وقال سعيد بن المسيب: "إنى كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد"[٦]. وقال ابن سيرين: "قدمت الكوفة، فوجدت بها أربعة آلاف شاب يطلبون الحديث. قال: ومازال قتادة متعلما حتى مات"[٧].

---

(١) السابق: نفسه.
(٢) انظر فى كل ذلك السابق: نفسه.
(٣) السابق ص ٦٥-٦٦.
(٤) السابق ص٦٥.
(٥) السابق ص٦٢.
(٦) السابق ٦٣.
(٧) السابق ص٦٤.

ومما يتصل بالهمة التبكير إلى طلب العلم والحرص والصبر فى تحصيله، قال أبو هلال العسكرى - وهو ممن اشتغلوا بالتحديث-: "وقيل لبزر جمهر: بم جمعت هذا العلم الكثير؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار"[(١)].

والنهوض المبكر فى الصباح بانتظام مما حرص عليه علماء النفس[(٢)]. ومثلما درس النفسيون المعاصرون (التسميع الذاتى) تحت مبحث (شروط التعلم الجيد)، وقالوا إنها عملية يقوم بها الفرد محاولا استرجاع ما حصله من معلومات، أو ما اكتسبه من خبرات ومهارات، وذلك أثناء الحفظ وبعده بمدة قصيرة" وبينوا أهميتها بأن لها (فائدة عظيمة إذ تبين للمتعلم مقدار ما حفظه وما بقى فى حاجة إلى مزيد من التكرار حتى يتم حفظه. وإلى جانب هذا فعن طريق عملية التسميع يستطيع الفرد أن يجد الحافز على بذل الجهد وعلى مزيد الانتباه فى الحفظ، فما شعر به الحافظ من متعة النجاح ومن ألم الخيبة - يدفعه إلى إجادة عملية الحفظ. ومن البديهى أنه لا ينبغى أن يبدأ المتعلم فى عملية التسميع إلا بعد فهم المادة واستيعابها، إذ التعجل فى عملية التسميع مدعاة إلى شعوره بالفشل والإحباط"[(٣)].

إنه مثلما نبهوا إلى هذا الأمر، نجد أن المحدثين مارسوا ما دعوا إليه عمليا، ودعوا إليه طلاب العلم، قال أبو هلال العسكرى المحدث[(*)]-: "وينبغى للدارس أن يرفع صوته من درسه حتى

---

(١) السابق ص٦٥.

(٢) انظر: عادات الاستذكار ومهاراته السليمة، ص ٣٣ للدكتورة سناء محمد سليمان، مكتبة النهضة المصرية، ط١٩٨٩م.

(٣) معالم علم النفس للدكتور عبد الرحمن عيسوى ص١٤٢، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط ١٩٩٦م.

(*) وهو لغوى، وناقد للشعر، ومن علماء البلاغة، لكن غلب عليه فى هذا الكتاب العمل بالتحديث، يظهر هذا لمن يقرأ أصوله ومصادره.

يسمع نفسه، فإن ما سمعته الأذن رسخ فى القلب؛ ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لم يقرؤه، وإذا كان المدروس مما يفسح طرق الفصاحة، ورفع به الدارس صوته زادت فصاحته. وحُكى لى عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت فى بعض قرى النبط فتى، فصيح اللهجة. حسن البيان، فسألته عن سبب فصاحته، مع لُكنة أهل جلدته؟ فقال: كنت أعمد فى كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأرفع صوتى بها فى قراءتها، فما مر لى إلا زمان قصير، حتى صرت إلى ما ترى. وحكى لى أبو حامد[*] أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم. فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم.

وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم، وكان بعضهم يقرأ الكتاب، ثم يذاكر به حرفا حرفا، كأن قارئا يقرؤه عليه فيفسره له[١].

٢- معيار ومصطلح ثبات الحفظ:-

تتضح أهمية دراسة هذا المعيار بدراسة ضده - إذ بضدها تتميز الأشياء- وهو التغير والاختلاط، وسيأتى فى موضعه. قال ابن المبارك فى هشيم بن بشير: "من غير الدهر حفظه فلم يغير حفظ هشيم"[٢].

ولهذا المعيار المتبلور فى لفظ (ثبت) علاقة بمعايير من مثل (الضبط) و(الحفظ) و(الإتقان)؛ لأن كلمة ثبت أعلى من متقن ومتقن أعلى من حافظ، وحافظ أعلى من ضابط.

(*) قال محققه: " هو أبو حامد بن الشرقى" كان أحمد بن خزيمة يقول: حياة أبى حامد تحجز بين الناس والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم " ا.هـ. والقوم كانوا لا يعرفون الفصل بين العلوم.

(١) الحث على طلب العلم ص٧٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢٤٩.

إن الإتقان يشعر بمزيد الضبط، والحفظ يطلق على الضبط: أى ضبط الفؤاد، ويطلق على ضبط الكتاب، ويطلق على كثرة العلوم وسعة الحصيلة – وإن لم يكن الراوى ضابطا – فلهذا نزل الحفظ عن درجة الإتقان وهو أعلى من الضبط. جاء فى ترجمة أبى موسى المدينى أنه "حصل من المسموعات بأصبهان ما لم يحصل لأحد فى زمانه وانضم إلى ذلك الحفظ والإتقان"(١).

أى أن الراوى لو كان واسع الحصيلة مع ضبطه لروايته، فهو أعلى من مجرد الإتقان لمن هو دونه فى العلوم. أما الثبت فهو الذى تطمئن النفس إلى روايته، وهذه الألفاظ لا يلزم منها ثبوت العدالة، والنفس لا تطمئن إلا لرواية العدل الضابط، لكن عند عدم ظهور قرينة تدل على عدم العدالة حملنا رواية هؤلاء على الصحة والاستقامة، أى أنه يؤخذ بالتفصيل فيها(٢).

إن أهمية دراسة هذا المعيار (بألفاظه) تتجلى فى تحديد الدلالة الدقيقة للفظ ثبت، حيث وجدت أنهم يأخذون بالتفصيل فيه، يدل على هذا أن قولهم (ثقة ثبت) معناه أنه من ألفاظ التعديل الرفيعة جدًا، إلا أنه لا يلزم منه أن الراوى لا يوجد فى حديثه بعض الاختلاف، قال عبد الرحمن بن مهدى فى الحكم بن عتيبة: "ثقة ثبت ولكن يختلف" يعنى حديثه، كما فى الجرح والتعديل، وقال ابن أبى مريم، نقلاً عن ابن معين، فى ترجمة حبيب بن أبى ثابت قيس بن دينار: (ثقة

---

(١) السابق ص ١٣٣٥ رقم ١٠٩٥.

(٢) إتحاف النبيل ص١٨٧ – ١٨٨.

حجة)، قيل له: ثبت[*]؟ قال نعم إنما روى حديثين، قال: أظن يحيى يريد منكرين حديث (المستحاضة) وحديث (القبلة للصائم)، وفيه دليل على أن قولهم: (ثبت) لا ينفى النادر من الوهم[١].

وقولهم: " فلان أحد الأعلام الأثبات" فيه تفصيل أيضا؛ لأن قولهم: (أحد الأعلام) فقط لا ينفى اللين فى الحديث كما فى الميزان فى ترجمة نعيم بن حماد الخزاعى[٢]. وتراجم كثيرة فى تذكرة الحفاظ تدل على هذا؛ لأنه يقصد أن يقول إنه مشهور والشهرة أمر نسبى وهى حكم وصفى لا قيمى.

والأصل فى هذا المعيار أن الذى يقال فيه (ثبت) يكون فى أعلى مراتب التعديل[٣]. ويدل على التفصيل أيضا قول العجلى فى (عبد السلام بن حرب بن سلم): "وهو عند الكوفيين ثقة ثبت، والبغداديون يستنكرون بعض حديثه، والكوفيون أعلم به"[٤].

وهنا ينبه العجلى إلى شئ مهم جدًا فمثلما تؤثر مناهج النقاد من حيث التشدد والتساهل والاعتدال، ومثلما تؤثر المعاصرة فى الحكم

(*) العجلى فى الثقات من أكثر المحدثين تطبيقا لهذا المعيار، كما فى تاريخ الثقات، جاء فى ترجمة (يحيى بن آدم مولى خالد بن سعد بن العاص) أنه (كوفى) ثقة، وكان جامعاً للعلم عاقلاً ثبتا فى الحديث، ص٤٦٧ بتحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى. وانظر أيضا ص ٤٧١، ٤٥٨، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٣٦، ٣٢٩، ٣٧٠، ٣٦٣، ٣٥٨، ٣١٨، ١٢٢، ١١٥، ٨٧، ٦٤، ٢٤٩، ١٩٧، ١٦٤، ١٣٤، ٣٠، ١٢٦، ١٢٢، ١١٥، ١٠٥، ٩٤، ٨٧، ٤١٤، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٠، ٣٧٧، ٤٨١، ٤٧٢، ٤٦٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٢٠، ٢٧٥.

(١) شفاء العليل ص٢٧-٢٨ وانظر النبلاء ٣٥٥/١٠، الميزان ٢٠٨/١.

(٢) الميزان ٢٦٧/٤ وشفاء العليل ص٣٠.

(٣) تاريخ الثقات للعجلى ص٣٠٣.

(٤) تاريخ الثقات للعجلى ص٣٠٣.

على الرواة، كذلك ينبغى النظر إلى بلد الناقد والراوى المجروح أو المعدّل. لابد من معرفة هل الناقد بلدىُّ الراوى المترجم له، أو أنه غريب عنه؟ فإن كلام البلدى مقدم على كلام الغريب، فلعل الغريب قد رأى حديثا صحيحا من الرجل فوثقه، أو لعل الغريب رأى حديثا ضعيفا من الرجل فأنكره، وضعفه. إن بلدى الرجل أعرف به[١].

٣- معيار ومصطلح الإتقان:-

نبه المحدثون إلى أن (الحفظ هو الإتقان لا الكثرة[*]). وعَدّ ابن أبى حاتم قولهم: "متقن" فى ألفاظ المرتبة الأولى من مراتب التعديل، الذين تقبل مروياتهم ويقبل كلامهم فى الرواة[٢]. والإتقان عند علماء نفس التعلم مهم جدًا فى عملية التعليم، ذكروا هذا فى سياق حديثهم عن مبادئ التعلم المبنية على نظرية الجشطلت، قالوا هذا منبهين إلى أهمية التكرار والإعادة والتمرين والفهم مع الحفظ غير الآلى[٣]. وقد انتشر هذا المعيار فى كتب الجرح والتعديل وشغل مساحة كبيرة من نقد المحدثين للرجال. جاء فى ترجمة (ابن أبى داود) أنه "الحافظ العلامة قدوة المحدثين قال صالح بن أحمد الهمدانى الحافظ: كان ابن أبى داود إمام أهل العراق ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان فى وقته بالعراق مشايخ أسند منه ولم يبلغوا فى الآلة والإتقان ما بلغ هو"[٤].

---

(١) إتحاف النبيل ص٤٦-٤٧.

(*) تذكرة الحفاظ ص١٩٨ (ترجمة سليمان بن إبراهيم بن محمد سليمان).

(٢) تاريخ ابن معين ص ٩٠ للدكتور أحمد محمد نور سيف.

(٣) علم نفس التعلم للدكتور محمد عبد القادر عبد الغفار، ص٥٠١، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٩٦م.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٧٦٨- ٧٦٩.

ومما يدل على صدق تصور ابن أبى حاتم وأن المتقن يقبل قوله فى الجرح والتعديل أنهم قرنوا الإتقان بأوصاف مثل الفهم والبصر والحذق والإمامة... إلخ قال ابن مردويه فى ترجمة العسال - أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم-: "أحد الأئمة فى علم الحديث فهما وإتقانا وأمانة... وقال أبو نعيم: أبو أحمد من الكبار فى المعرفة والإتقان والحفظ"(١).

وجاء فى ترجمة ابن ماكولا أن شيرويه الحافظ قال فى طبقاته: كان حافظًا متقنًا عُنى بهذا الشأن"(٢).

وفى ترجمة (الطلمنكى) أنه (كان ذا عناية تامة بالحديث ومعرفة الرجال حافظا للسنن"(٣).. وفى ترجمة (الحسكانى) أنه "شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث"(٤).

ومن الألفاظ التى تدل على ما رآه ابن أبى حاتم قولهم: "ما رأيت مثله فى اختلاف الحديث والإتقان(*)". وقولهم: (كان لا مزيد

---

(١) السابق ص٨٨٦ - ٨٨٧.
(٢) السابق ص ١٢٠٣.
(٣) السابق ص ١٠٩٩
(٤) السابق ص ١٢٠٠.
(*) للمزيد من تطبيق هذا المعيار انظر تنكرة الحفاظ للذهبى ص ٥٦٦ ترجمة رقم (٥٩١)، ص ٥٧١ (٥٩٥)، ٥٧٠ (٦٩٤) ٥٧٤ (٥٩٨)، ص٥٩٤(٦١٧)، ٦٠٧ (٦٣٢)، ٦٢٦ (٦٥٣)، ٥٠٨ (٥٢٣)، ٥١١ (٥٢٦)، ٥١٥ (٥٣١)، ٥٢٣ (٥٣٩)، ١٦٢ (١٥٧)، ١٤١٧ (١١٣٥)، ٤١١ (١١٣٢)، ١٤١٢ (١١٣٣)، ٣٠٠ (٢٨١)، ١٢٧٠ (١٠٧٠)، ١٢٧٦ (١٠٧٤)، ١٢٨٢(١٠٧٦)، ١٢٩٠(١٠٧٩)، ١٣٠١ (١٠٨٢)، ١٣٠٧(١٠٨٤)، ١٣١٠ (١٠٨٧)، ١٣١٤(١٠٨٩)، ١٣٢١ (١٠٩٢)، ١٣٢٤ (١٠٩٣)، ١٣٣٠(١٠٩٤)، ١٢٣٢ (١٠٤٨)، ١٢٤٦ (١٠٥٤)، ١٢٥٤ (١٠٥٩)، ١٢٥٥(١٠٦٠)، ١٢٦١ (١٠٦٤)، ١٢٦٣ (١٠٦٥)، ١٢١٣ (١٩٣٨)، ١٢١٦ (١٠٤٠)، ١٢٢٢(١٠٤٢) وغيرها كثير.

عليه فى الحفظ والإتقان)[١]. وقولهم: "فلان بصير بالحديث متقن يشبه الناس"[٢]. وقولهم: "كان فلان متقنا عجبا أو غاية فى الإتقان"؛ الذى جاء فى ترجمة أبى نعيم الفضل بن دكين[٣].

وهناك ألفاظ أخرى يكمن وراءها معيار الإتقان من مثل (كان فلان مليًا) نقله النووى عن سليمان بن موسى قال: "لقيت طاوسا فقلت: حدثنى فلان كيت وكيت، قال: إن كان صاحبك مليا فخذ عنه". وقال النووى – فى شرحه على مسلم-: "وقوله: "إن كان مليا يعنى ثقة، ضابطا، متقنا، يوثق بدينه، ومعرفته، ويعتمد عليه، كما يعتمد على معاملة الملى بالمال ثِقَةً بذمته...."[٤]. كما أنه يكمن خلف قولهم: "هو من أهل القناعة". فسره النووى بقوله: "أى الذين يقنع بحديثهم لكمال حفظهم، وإتقانهم وعدالتهم"[٥]. ويكمن خلف قولهم (أعدنا عليه ما سمعناه)؛ قاله إبراهيم بن أورمة فى أحمد بن سنان بن أسد، وقال الحافظ المزى: "يعنى لإتقانه وحفظه[٦]. ووراء قولهم: (فلان ما أشد تفقده أو تحريه)[٧]. وخلف (فلان مصحف)[٨]. وخلف "مجود"[٩].

---

(١) شفاء العليل ص ١٠٢.

(٢) السابق ص٣٨ وتهذيب التهذيب ٢٩١/٨.

(٣) شفاء العليل ص٩٩.

(٤) مقدمة النووى على مسلم ٨٥/١ وشفاء العليل ص٤٣.

(٥) اللفظ قاله مسلم، انظر السابق ١٢٤/١ وشفاء العليل ص٤٣.

(٦) تهذيب التهذيب ٣٤/١.

(٧) تاريخ بغداد ١٤٠/١٤.

(٨) تذكرة الحفاظ ١٥٤/١، ١٨٨.

(٩) سير النبلاء ٩٢/١٤ وانظر للمزيد السابق ١٥٢/١٤، ٣٠٥، ٤٠٣، ٤٥٥.

المحدثون وجوانب التعلم:-

للتعلم جوانب وصور عند التربويين هذه الصور هـــى: تعلـــم الحقائق (الوقائع) وتعلم المفاهيم، والمبادئ والعلاقـــات والقـــوانين والفروض والنظريات، والمهارات والجوانب الوجدانية. ويرون أنه من المفيد أن يوضحوا أهمية تحديد جوانب التعلم بالنسبة للمعلـــم. فتحديد هذه الجوانب عندهم يرتكز أساسا على تحليـــل المحتـــوى العلمى للمنهج أو للدرس، وقدرة المعلم على تحديد جوانب الـــتعلم أمر مهم لأسباب منها:

- يساعد المعلم على تحديد المرغوب أن يصل إليه التلاميذ.
- يساعد المعلم على تحديد مستوى الأولويات ومراتب الأهمية فى عملية التدريس.
- كل جانب من جوانب التعلم يتطلب أسلوبا معينا فى تعليمه[1].

الجانب المهارى:

وسوف أختار وأتناول فى السطور القادمة المهارات وهى تعـــد الوسيلة المباشرة للتفاعل بسهولة مع المواقف الحقيقية للحياة علـــى أساس أن المهارة تعنى السهولة والدقة فى إجراء عمل من الأعمال. وحتى بالنسبة للمواقف الجديدة التى يطلـــق عليهـــا أحيانـــا كلمـــة (مشكلات) والتى يعد التدريب على مواجهتها أحد أهداف التربية.

وتعرف المهارة بأنها (القدرة على القيام بعملية معينة بدرجـــة من السرعة والإتقان مع الاقتصاد فى الجهد المبذول[2].

---

(١) مبادئ التدريس ص٦٦، إعداد قسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية، جامعة عين شمس، ط١٩٩٨م.

(٢) السابق: ص٦٩.

والحق أن المهارة درجة يصل إليها طالب العلم بالتدريب والبحث والدراسة والمزيد من الإطلاع، وموسوعية الثقافة، وكل هذه أمور نبه إليها المحدثون؛ جاء فى ترجمة (عمر بن الحسن أبو الخطاب الدانى الكلبى)[*] أنه "كان موصوفا بالمعرفة والفضل؛ قاله ابن نقطة.. وقال ابن النجار:.... وكان حافظًا ماهرًا فى علم الحديث، حسن الكلام فيه، فصيح العبارة، تام المعرفة بالنحو واللغة وله كتب نفيسة، وقال فيه ابن الآبار: كان بصيرا بالحديث، معتنيا بتقييده، مكبا عليه، حسن الخط، معروفا بالضبط، له حظ وافر من اللغة، ومشاركة فى العربية وسواها، وله تواليف. وقال ابن الزبير: كان معتنيا بالعلم، مشاركا فى فنونه، ذاكرًا للتاريخ والأسانيد والرجال، والجرح والتعديل، سُنيّا مجانبا لأهل البدع، سريا نبيلا)... وكان شاعرا مطبوعا..."[١].

ولعل مهارته المشار إليها كان سببها اكتسابه لمعارف شتى كانت بمثابة الأدوات التى شكلت ثقافته وجعلته ماهرًا فى علم الحديث.

والحذق والمهارة أمور توفرت لبعض المحدثين الذين وصلوا لدرجة علمية عرضوا عليها مكانة البخارى، فاتضح لهم أنه ذو مكانة عالية بزتهم؛ قال ابن كثير فى سياق حديثه عن الحديث المقلوب، فى النوع الثانى والعشرين: "وكما ركب مهرة محدثى بغداد- حين قدم عليهم البخارى- إسناد هذا الحديث على متن آخر، وركبوا متن هذا الحديث على إسناد آخر... ولم يرج عليه موضع واحد مما قلبوه وركبوه، فعظم عندهم جدًا، وعرفوا منزلته فى هذا الشأن"[٢].

(*) المشهور بابن دحية الكلبى.

(١) لسان الميزان ٤/٢٩٢-٢٩٨، الميزان ٣/١٨٦ - ١٨٩.

(٢) اختصار علوم الحديث ص ٧٢-٧٣.

لقد نجح البخارى فى الاختبار وعلموا أنه ماهر مثلهم بل ربما أكثر منهم. وللمهارة عند المحدثين مرادفات أخرى منها (الحذق) و(البصر بالصناعة) و(الجهبذة). قال ابن كثير فى مبحث (المُعَل) من الحديث فى النوع الثانى عشر: "وهو فن خفى على كثير من علماء الحديث، وإنما يهتدى إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم، من يميز بين صحيح الحديث وسقيمه، ومعوجه ومستقيمه، كما يميز الصيرفى فى البصير بصناعته بين الجياد والزيوف، والدنانير والفلوس... ومنهم من يقف، بحسب مراتبهم وعلومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث.... يدركها البصير من أهل هذه الصناعة..."[1].

وقد ألح ابن حبان فى مواضع كثيرة من كتابه المجروحين على مصطلح صناعة، قال فى واحد منها: "ثم أخذ عن هؤلاء بعدهم الرسم فى الحديث والتنقير عن الرجال والتفتيش عن الضعفاء والبحث عن أسباب النقل جماعة منهم: عبد الله ابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدى، ومحمد ابن إدريس المطلبى الشافعى.... إلا أن من أكثرهم تنقيرا عن شأن المحدثين، وأتركهم للضعفاء والمتروكين حتى جعلوا هذا الشأن صناعة لهم لم يتعدوها إلى غيرها مع لزوم الدين والورع الشديد والتفقه فى السنن رجلين: يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن ابن مهدى"[2]. والحق أن هذا أمر نبه إليه التربويون المسلمون، قال ابن خلدون: "وتنقسم الصناعات أيضا: إلى ما يختص بأمر المعاش، ضرورى كان أو غير ضرورى، وإلى ما يختص بالأفكار التى هى خاصية الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة".

---

(١) السابق ص٥٣.

(٢) المجروحين ص ٥٢

إن ابن خلدون ينظر إلى (تعليم العلم) على أنه صناعة قائمة بذاتها، لها غرض اقتصادى معيشي وغرض فكرى إنسانى، وتعليم العلم هو من الصنف الثانى. إنه ينظر إلى هذه الصناعة كيف بدأت وكيف تطورت؟ إن من طبيعة الفكر الإنسانى الرغبة فى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، ولتحصيل هذه الإدراكات لابد أن يبحث عنها عند من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو بأخذ، من الأنبياء الذين تقدموه، والفكر الذى لا يفتر لحظة عن التفكير يتناول الحقائق واحدة واحدة ويربط بين هذه الحقيقة وبين ذاته. "ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له. فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا، وتتشوق نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويجئ "التعلم" من هذا"(١)(*).

وفى سياق حديث ابن خلدون عن (صناعة التعليم وملكته) فرق بين (التعليم) و(العلم) العلم واحد عند الجميع، وقابل لأن يدركه كل امرئ يرومه (لأنا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا فى ذلك الفن، وبين من هو مبتدئ فيه، وبين العامى الذى لم يحصل علما، وبين العالم النحرير"(**)(٢).

وقد نبه ابن خلدون إلى أمر آخر وهو أن (التعليم كغيره من الصنائع متى اكتسبه صاحبه وأصبحت لديه ملكة قل أن يجيد

---

(١) السابق ص ٦٥، ٦٦و (ص١٤٧) من قسم النصوص.

(*) معظم الكتب التى كتبت فى تاريخ التربية تناولت فكر ابن خلدون التربوى أذكر منها (تاريخ علم النفس اتجاهاته القديمة والحديثة للدكتور على عبد السلام على، ص٣٣ وما بعدها. ط١ بدار النهضة المصرية.

(**) العالم الحاذق فى علمه، انظر المعجم الوجيز، مادة (نَحَرَ).

(٢) السابق ص ١٤٨ قسم النصوص.

صاحبها ملكة أخرى"[1]. لأنه يرى أن صاحبها يكون قد تلون بها واكتسب لونها، فمن الصعب عليه التحول إلى لون آخر "لأن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة، ومن كان على الفطرة أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادًا لحصولها... فقل أن نجد صاحب صناعة يحكمها، ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معًا على رتبة واحدة من الإجادة"[2].

وما كتبه ابن خلدون متوفر فى نص ابن حبان والنصوص السابقة للمحدثين. والحق أن كل علماء السلف ساروا على منهج (الثقافة المتكاملة)؛ لكن الله أراد- سبحانه وتعالى- أن ينبغ كل واحد منهم فى تخصص ما، وجعل فروقا فردية بين الجميع والحمد له لأنه لو برع كل واحد فى كل التخصصات لما احتاج إنسان لغيره. إن الصناعة وإحكامها وإتقانها يأتى من المداومة عليها؛ قال ابن حبان: "... إلا أن من أورعهم فى الدين وأكثرهم تفتيشا على المتروكين وألزمهم لهذه الصناعة على دائم الأوقات منهم كان أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلى بن المدينى رحمة الله عليهم أجمعين"[3]. وهذا لا يتأتى إلا بالتعب والبحث والتفتيش ولم يتم هذا إلا لكونهم رحلوا فى جمع السنن إلى الأمصار وفتشوا المدن والأقطار وأطلقوا على المتروكين الجرح وعلى الضعفاء القدح وبينوا كيفية أحوال الثقات والمدلسين"[4].

والصناعة تكون لأنهم "أمعنوا فى الحفظ، وأكثروا فى الكتابة، وأفرطوا فى الرحلة وواظبوا على السنة والمذاكرة والتصنيف

---

(١) السابق ص ١٣٤ قسم النصوص.

(٢) السابق: نفسه.

(٣) المجروحين، المقدمة ص٥٤.

(٤) السابق: نفسه.

والمدارسة... حتى إن أحدهم لو سئل عن عدد الأحرف فى السنن لكل سنة منها عدها عدا، ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعا ولأظهرها ديانة ولولاهم لدرست الآثار واضمحلت الأخبـار"[١]. وقال: "ومن كانت همته فى هذا الشأن، مواظبته على هذه الصناعة بحسب ما ذكرت لم ينكر لواحد منهم أن يجرح الضعيف ويقدح فى الواهى من الرواة والمحدثين. ومن لم يطلب العلم من مظانـه ولا دار فى الحقيقة على أطرافه يعيبهم إذا قالوا: فلان ضعيف وفـلان ليس بشئ، لجهلهم بصناعة الأخبـار، وقلـة معـرفتهم بـالطرق للآثار"[٢]. والحق أن ابن حبان كان من أكثر علماء الحديث إلحاحا على مصطلح (الصناعة)[*]. قال فى سياق نقده - جرح وتعديل - لـ"عبد الرحيم بن حبيب": " لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثـه إلا للمتبحر فى هذه الصناعة[٣]. أى الذى صنعته النقد والتمييز بين المقبول والمردود.

ومصطلح الصناعة عنده يأتى أحيانا فى سياق الحـديث عـن أن على الناقد أن "يسير" مرويات الراوى قبل الحكم عليه، قال (يحيى بن زهدم): " له نسخة موضوعة لا يحل كتابتها إلا على جهة التعجـب ولا الاحتجاج به مما يحل لأهل الصناعة والسبر"[٤]. إن على الراوى العادى ألا يقترب من مروياته إنه لا يجوز دراستها إلا للمتخصصين كى ينبهوا العوام ويحذروهم منها. والتعجب هنا يعنى الاستنكار.

---

(١) السابق ص٥٨.

(٢) السابق ص٦٠.

(*) انظر السـابق ص١٧، ١/١٩٥، ١٩٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٦، ٢/٢٠، ٤٣، ٦٨، ١٣٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٧، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣/٣٥، ٦٣، ١١٦،١١٤،١١٠،٢٩٩، ٢٦٧، ٢٨، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣/٣٥، ٦٣، ٩٩، ١١٠، ١١٤، ١١٦.

(٣) السابق ٢/١٦٣.

(٤) السابق: ٣/١١٤.

٤- معيار ومصطلح النقد والدراية (لا الجمع والرواية فقط) وفوائده التطبيقية

أخطأ الذين فصلوا بين الرواية والدراية، لأنه لا يجوز لأى راوٍ كائنا من كان أن يروى حديثا ضعيفا، ومن أراد التأكد من صحة ما أقول فليقرأ مقدمة الكامل لابن عدى، ومقدمة المجروحين لابن حبان الذى روى بسنده إلى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ (نضر الله عبدًا سمع مقالتى فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..."الحديث[١].

وعلق عليه قائلاً: "...... بل لا يدخل فى ظاهر هذا الخطاب إلا من أدّى صحيح حديث رسول الله ﷺ دون سقيمه، وإنى خائف على من روى ما سمع من الصحيح والسقيم أن يدخل فى جملة الكذبة على رسول الله ﷺ إذا كان عالما بما يروى، وتمييز العدول من المحدثين والضعفاء والمتروكين بحكم المبين -أى الرسول ﷺ- عن الله تبارك وتعالى"[٢]. إن أول خطوات الرواية هو (الوعى) وهو يعنى الإدراك والتمييز، ويكفى الراوى تحذيرا وتنبيها هذا الحديث الصحيح.

يدل على ما سبق ألفاظ التعديل الآتية التى تبلورت فى أحكام النقاد نتيجة لتطبيق هذا المعيار يدل على هذا ما يلى:

- قولهم: "فلان الثقة الحافظ الناقد"[٣].

---

(١) المجروحين ١/٥. وانظر مقدمة صحيح مسلم أيضاً.

(٢) السابق ١/٦.

(٣) شفاء العليل ص٤٠.

- "فلان هو النقى الذى لم أر مثله"(١)، أى النقى فى حديثه، فلا يوجد فيه مخالفات لأحاديث الثقات.
- "فلان شيخ العلم والعدالة" أو "شيخ العدالة والتزكية فى عصره". أى أنه ينقد المرويات. قال الذهبى فى مقدمة تذكرة الحفاظ: "هذه تذكرة بأسماء مُعَدِّلِى حملة العلم النبوى ومن يرجع إلى اجتهادهم فى التوثيق والتضعيف والتصحيح والتزييف..."(٢)(*).
- "كان فلان مفيد الطلبة" أو "يدل الطلبة على الشيوخ" أو "جلس الأئمة يكتبون بإفاداته أو بانتخابه". أو "كان لا يدل على الشيوخ ببغداد مثلاً إلا هو". وهذا يدل على أنه بصير بمراتب الرواة وبالصحيح والسقيم(٣).
- وقولهم: "فلان كان ممن يفتخر بروايته لديانته ودرايته"(٤).
- وقولهم: "فلان هنئ مرئ من الرجال" بمعنى أنه يكفيك مؤنة البحث فيمن فوقه من الرجال وأن حديثه يتنافس فيه المحدثون؛ لأنه ينتقى الرجال ولا يحدث إلا عن ثقة(٥).
- "فلان أحاديثه كأنها الدنانير". فمعنى هذا أنه إسناد مسلسل بالمشاهير من الرجال، وأن متون أحاديثه لاشك فيها، قال أبو حاتم فى حديث مسدد عن يحيى بن سعيد عن عقبة عن نافع عن ابن

---

(١) السابق ص ٣٩ وتهذيب التهذيب ٩/٥٤.
(٢) ص١ وشفاء العليل ص٩١.
(*) تتجلى أهمية دراسة هذا المعيار فى تقديم مرويات وآراء من تقال فيهم ألفاظ هذا المعيار على غيرهم، وابن أبى حاتم قال: تقبل مروياتهم وآراؤهم فى الرجال أى نقدهم كما سيأتى.
(٣) السابق ص١٠٣.
(٤) السابق ص٤٣ والتهذيب ٤/١٩٧.
(٥) السابق ص٩١.

عمر: "كأنها الدنانير". وقال أيضا: "كأنك سمعتها من فى النبـــى - ﷺ- ووجهه أن الدينار لا يختلف فيه، ولا يشك فيه، فكذا حـــديث مسدد عن هؤلاء لتحريهم وانتقائهم، يدل على هذا قوله الثانى، أى أن من سمع هذه الأحاديث وإن كان من طريق الآحاد إلا أن اليقين يحصل بها لقوله: (كأنك سمعتها من فى النبى ﷺ"[1].

- وقولهم: (فلان أهل ألا ندع له شيئا)[2].
- وقولهم: "فلان يا لك من صحة حديث"[3].
- وقولهم: "فلان صحيح الكتاب" هذا معناه أنه يكثر فيـــه الـــنقط والعجم، وأنه يضرب على ما شك فيه من كتابه، وهذا يدل على أنه ضابط لكتابه[4].
- وقولهم: "فلان مستوى الحديث" أى أن حديثه مستقيم وموافـــق لحديث الثقات وليس مخالفا لهم، قال أبو حاتم فى عبد العزيـــز بن المختار: "مستوى الحديث ثقة[5].
- وقولهم: "فلان أكثر الناس عنه". وغالبا ما يكون لثقتـــه وصـــلاحه، ونحوه: (أكثر عنه الأئمة). قال ابن المنادى فى يحيى بن عبد الباقى بن يحيى الثغرى: "كتب عنه الناس فأكثروا لثقته وضبطه"[6].
- قولهم: "فلان صدوق نقى الحديث" أى أنه عدل فى دينه وحديثه سالم من الشذوذ والنكارة، وهذا وصف أهل الضبط[7].

---

(١) السابق ص٤١.
(٢) السابق ص ٤٣ والتهذيب ١٩٧/٤.
(٣) (شفاء العليل) ص٥٧.
(٤) السابق ص١٢٥- ١٢٦.
(٥) السابق ص١٣٠.
(٦) شفاء العليل ص١٢٦.
(٧) السابق ١٢٨.

- قولهم: "فلان من بنادرة الحديث". قال ابن الشرقى: "قيل لى: لِمَ لا ترحل إلى العراق؟ قال: قلت: ما أصنع بها وعندنا من بنادرة الحديث الذهلى وأبو الأزهر وأحمد بن يوسف. وبنادرة الحديث أى تجاره المكثرون منه، وقال المزى: نقاده كما فى حاشية تهذيبه. وقال الذهبى: والبندار: الحافظ. أما قول المزى فمعناه الفهم والنباهة فى تمييز الصحيح من السقيم[١].
- قولهم: "لا يفوته حديث جيد أو فرد". وهذا اللفظ بمفرده لا يدل على المدح، فقد يقال فى السارق؛ لكن إذا كان على جهة المدح فمعناه كثرة الحديث والاجتهاد فى الرحلة[٢].
- وقولهم: "رحم الله فلانا ما كان أضبطه وأشد تفقده". قاله أحمد فى يحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن سعيد أشهر من نار على علم، ولفظ أحمد صريح فى العدالة والضبط، أما العدالة فلقوله رحمه الله: "وأما الضبط والإتقان والتحرى فظاهر"[٣].
- قولهم: "فلان جهبذ العلماء"[٤].
- قولهم: (فلان ميزان)؛ قاله سفيان الثورى فى عبد الملك بن أبى سليمان[٥].
- قولهم: "فلان كبير من أهل الصناعة"[٦].
- قولهم: "فلان صحيح يفصل السماع من العرض والحديث من الحديث"[٧].

---

(١) السابق ص١٠٩ وقارن بتذكرة الحفاظ ٥٤٦/٢، وسير النبلاء١٤٤/١٢. ٣٦٥، ٥١٨.
(٢) السابق ص١١٠.
(٣) السابق ص٦٥.
(٤) السابق ص٩٣.
(٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٣٦٧/٣٦٦/٥.
(٦) تهذيب التهذيب ٤٦٧/٩.
(٧) شفاء العليل ص٣٤.

- قولهم: "فلان كان يميز ويضبط"[1].

- قولهم: "فلان ثقة نظيف الإسناد". أى ينتقى فى الرواية فلا يحدث عن المجهولين والمتروكين والضعفاء، والمحدث الذى ينتقى فى الروايات قد بلغ الدرجة العليا فى العدالة والفهم، أما من جهة العدالة: فتركه للرواية عن الضعفاء يدل على ورع عنده؛ لأن إظهار كثرة الروايات أمر محبب لدى نفوس المحدثين. ومن صبر على الرواية عن الثقات فقط لاشك أن حديثه لا يكثر جدا كما لو حدث عن كل أحد، وأما من جهة الفهم فإنه لا يترك الرواية عن الضعفاء إلا من كان له بصر وتمييز لأحوال ومراتب الرواة، ومن هذا حاله فإنه من أهل المرتبة العليا من مراتبه التعديل[2].

- قولهم: "فلان هو التقى النقى الذى لم أر مثله". "قاله أبو عمرو الخفاف فى البخارى، ومعناه التقى فى دينه، النقى فى حديثه، فلا يوجد فى حديثه مخالفات لأحاديث الثقات[3].

- قولهم: " كان المشار إليه فى علم صحيح الحديث وسقيمه"، قيل فى الضياء المقدسى؛ قاله الحافظ شرف الدين يوسف بن بدر الدين[4].

- "ثقة حلو الحديث" أى أنه يتحرى الصحيح من الضعيف فهو لا يقبل المرويات دون اختبار وتمحيص للرواة[5].

- "هو من أهل المعرفة بالحديث وقوانينه التى لا يعرفها إلا من طال اشتغاله به"[6].

---

(١) السابق ص١٠٥.

(٢) شفاء العيل ص٢٩.

(٣) السابق ص٣٩، تهذيب التهذيب ٥٤/٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢٩/٢٣.

(٥) الميزان ٧٣/٢وشفاء العليل ص٢٩-٣٠.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٨/١٩.

- "كان ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن"[١].
- (ثقة عارف أو يعرف الحديث) والمعرفة هنا هى معرفة أحوال الرواة وطرق الروايات وصحيحها وسقيمها[٢].
- (ثقة يعرف ما يخرج من رأسه) [٣].
- "ما خلق الله تعالى أحدًا أعرف بالحديث منه"[٤].
- "ثقة حافظ مليح الانتخاب خبير بالموافقات والمصافحات لا يلحق فى جودة الانتقاء"[٥].
- "كتب الناس بانتخاب فلان على الشيوخ وتخريجه". إن المحدثين منهم من يشترط على من يريد تحمل حديثه أن يتحمله كله ولا ينتخب. ومنهم من يسمح بالانتخاب من حديثه، والأولى لطالب العلم ألا ينتخب فى أول طلبه، فقد قالوا: إذا كتبت فقمش وإذا رويت ففتش، بمعنى أن الطالب عند الكتابة يكتب كل ما يقابله، فإذا أصبح ماهرًا فى العلم وأصبحت عنده القدرة على تمييز الصحيح من السقيم فلا يروى إلا الصحيح وينتخب على المشايخ وينتقى الأحاديث الصحيحة من جملة حديثهم، وقد يضطر الطالب إلى الانتخاب لاسيما إذا كان غريبا، ولو جلس

---

(١) لسان الميزان ٤٣٢/٣.
(٢) شفاء العليل ص ٥٣. تذكرة الحفاظ ٦٤/٢.
(٣) سير النبلاء ١١-٩٣.
(٤) تهذيب التهذيب١١/٢٨٠.
(٥) شفاء العليل ص١٠٥ - ١٠٦ والموافقة: هى الوصول إلى شيخ أحد المصنفين - كالبخارى مثلاً- من غير طريقه بعدد أقل مما لو روى من طريقه عنه. والمصافحة: هى استواء عدد الإسناد بعد الراوى إلى آخر مع إسناد تلميذ أحد المصنفين. (مفاتيح علوم الحديث ص١١٨) للدكتور محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن مصر، د.ت.

يكتب حديث الشيخ على الوجه لشق عليه، وليس كل محدث ينتخب من أحاديث الشيوخ بل يتصدى لهذا الأمر الجهابذة، أهل الشأن والمعرفة والخبرة بالراوى وما روى[١].

- "لا نعرف إمامًا من أئمة عصره إلا وله عليه انتخاب"[٢].
- جلس الأئمة يكتبون بإفاداته أو بانتخابه"[٣]. ولفهم دلالة ما سبق لابد من إيراد قول العجلى فى ابن معين: "ولقد كان يجتمع مع أحمد وابن المدينى ونظراتهما فكان هو الذى ينتخب لهم الأحاديث لا يتقدمه منهم أحد"[٤].
- قولهم "فلان من أهل الفهم والأمانة"[٥]. و"فلان من أهل الأمانة والمعرفة"[٦].
- (فلان صاحب حديث بحقه" أى أنه كثير الحديث وعدل فى دينه وبصير بالعلل وغير ذلك[٧].
- "صدوق من متيقظى الرواة". قيل فى خليفة بن خياط؛ قاله ابن عدى[٨]. واليقظة فى الحديث تدل على سرعة الحفظ ونباهة الفهم وصحة النقد للروايات، وهذا شأن الحفاظ[٩].

---

(١) شفاء العليل ص٩٨.
(٢) تذكرة الحفاظ ص١٠٢.
(٣) شفاء العليل ص١٠٢.
(٤) تهذيب التهذيب ١١/٢٨٨.
(٥) شفاء العليل ص٦٣.
(٦) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٢.
(٧) شفاء العليل ص٦٤
(٨) سير النبلاء ١١/٤٧٣.
(٩) شفاء العليل ص٦١

- "ما رأيت أصح حديثا من فلان ولا أصح رجالا"[1].
- "صيرفى الحديث" أو "من صيارفة الحديث"[2].أى نقاده.

والحق أن المحدثين نصوا صراحة على التفريق بين الدراية والحفظ، إن قولهم: "فلان يدرى" أعلى وأرفع من "فلان يحفظ"؛ لأنه لا يوصف بالدراية إلا من طال اشتغاله بهذا العلم، ومن كان هذا حاله فإنه يكون حافظا فى الغالب، أما من وصف بالحفظ فلا يلزم من ذلك أن يكون بصيرًا بالحديث وعلله وطرقه والصحيح من ذلك والسقيم والعالى والنازل والفرد والمشهور وغير ذلك بخلاف من وصف بالرواية؛ بل قد يطلقون الحفظ على كثرة الحديث وإن لم يكن المكثر ضابطا، فقد جاء فى (سؤالات السهمى للدارقطنى) قال السهمى: وسألت ابن عبدن عن ابن صاعد أهو أكثر حديثا أو الباغندى؟ فقال: ابن صاعد أكثر حديثا ولا يتقدمه أحد فى الدراية، والباغندى أعلى إسنادًا منه، قال: سمعت أبا بكر بن عبدان يقول: يحيى بن صاعد يدرى، ثم قال: وسئل ابن الجعابى - محمد بن عمر بن الجعابى - أكان ابن صاعد يحفظ؟ فتبسم وقال: لا يقال لأبى محمد يحفظ، كان يدرى، قلت لأبى بكر بن عبدان: إيش الفرق بين الدراية والحفظ؟ فقال: الدراية فوق الحفظ[3].

وبناء على المعايير السابقة كانت منهجية البخارى فى صحيحه حيث كان لا يقبل إلا الحديث الصحيح، وشاركه مسلم الذى نظر للمعيار السابق، قال - فى مقدمة صحيحه- أثناء حديثه عن أهمية التحديث عن الثقات، وأن هذا هو منهج السابقين عليه، قال:

---

(١) السابق ص ٣٨٩.
(٢) تذكرة الحفاظ ٧٤/١.
(٣) ص٣٦٠ وشفاء العليل ص٤٥٨ - ٤٥٩. وتذكرة الحفاظ ٧٧٦/٢.

"وأشياء ما ذكرنا من كلام أهل العلم فى متهمى رواة الأحاديث وإخبارهم عن معايبهم كثير، يطول الكتاب بذكره، على استقصائه. وفيما ذكرنا كفاية لمن تفهم وعقل مذهب القوم فيما قالوا من ذلك وبينوا. وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث، وناقلى الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا؛ لما فيه من عظيم الخطر؛ إذ الأخبار فى أمر الدين تأتى بتحليل، أو تحريم، أو أمر أو نهى، أو ترغيب، أو ترهيب، فإذا كان الراوى لها ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عن من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره، ممن جهل معرفته، كان آثما بفعله ذلك، غاشا لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها، أو يستعمل بعضها ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لها مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكبر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة، ولا مقنع ولا أحسب كثيرًا ممن يعرج من الناس على ما وصفنا من هذه الأحاديث الضعاف والأسانيد المجهولة، ويعتد بروايتها بعد معرفته بما فيها، من الوهن والضعف إلا أن الذى يحمله على روايتها والاعتداد بها، إرادة التكثير بذلك عند العوام؛ ولأن يقال: ما أكثر ما جمع فلان من الحديث، وألف العدد، ومن ذهب فى العلم هذا المذهب، وسلك هذا الطريق فلا نصيب له فيه، وكان بأن يسمى جاهلاً، أولى من أن ينسب إلى علم، وقد تكلم بعض منتحلى الحديث من أهل عصرنا فى تصحيح الأسانيد وتسقيمها بقولٍ؛ لو ضربنا عن حكايته وذكر فساد صفحا- لكان رأيا متينا، ومذهبا صحيحًا"[١].

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ١٣-١٤ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ط عيسى الحلبى.

وهذا نص قاطع الدلالة على أن أحاديث الترغيب والترهيب تتساوى مع أحاديث الأحكام؛ لأن الكل شرع، لها نفس أهمية التحليل والتحريم والأمر والنهى، لابد من نقدها، وقال ابن حبان فى مقدمة المجروحين: "ولسنا نستجيز أن نحتج بخبر لا يصح من جهة النقل فى شئ من كتبنا؛ ولأن فيما يصح من الأخبار بحمد الله ومنه ما يغنى عن الاحتجاج فى الدين بما لا يصح منها، ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر فى هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر فى سائر الأمم، وذلك أنه لم يكن أمة لنبى قط حفظت عليه الدين من التبديل ما حفظت هذه الأمة"[١]. إنَّ مسلمًا وابن حبان يريان ضرورة تقييم الرواة والمرويات والاحتجاج بالصحيح فقط وهو يشمل – عندهما – الحسن المحتج به، الذى يسميه المتأخرون، الحسن لذاته، وما عدا هذا فلا يحتج به – كما يريان – والحق أنهما أصابا جادة الصواب؛ ففى الحديث الصحيح غنية، يدل على ذلك أن الدراسة الموضوعية والإحصائية والمنهجية لجهود نقاد مرويات الوعظ والترغيب والترهيب والفضائل – تُبين أن فى الصحيح غنية، وأن على الناقد ألا يتساهل فى قبول المرويات فى أى موضوع – أحكام أو غيرها– على كل محدث أن يكون ناقدًا لما يرويه ويحدث به ولا يحدث إلا عن ثقة، وقياسًا على الاجتهاد والتقليد فى الفقه، ينبغى على الراوى الذى لا يعرف الصحيح من غيره أن يسأل أهل التخصص فيما لا يعرف درجته من القبول أو الرد، عليه أن يقلد المجتهدين فى تصحيحهم وتضعيفهم كابن المدينى والبخارى ومسلم وغيرهم من النقاد.

---

(١) المجروحين ١/٢٥.

إن وظيفة علم الحديث هى نقد المرويات لتمييز الصحيح من غيره، وتوثيق الروايات، وقبول الضعيف فى غير الأحكام - ينافى كل صغيرة وكبيرة من القواعد النظرية والإجرائية لهذا العلم.

وبعد عرض المعيار السابق، وإيراد نصى مسلم وابن حبان، لا يحق لأحد من علماء الحديث أن يورد رواية ضعيفة دون التنبيه إليها وإرشاد الناس إلى ضعفها، وعليه أن لا يحدث إلا بالصحيح، وفى هذا السياق لابد من التطرق إلى قضية العمل بالضعيف فى الترغيب والترهيب والفضائل ودراستها ومعرفة مدى صحتها.

الحديث الضعيف ومدى قبوله:

إن من يتطرق إلى قضية العمل بالصحيح فقط، لابد وأن يتطرق إلى هذه القضية.

يرى البعضُ - سامحهم الله وغفر لهم- العملَ بالضعيف فى فضائل الأعمال والتفسير والوعظ... لا فى الأحكام. قال السخاوى فى فتح المغيث: "التساهل والتشديد(*) منقول عن ابن مهدى، وغير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وابن معين، وابن المبارك، والسفيانين"[١].وقال العراقى: "أما غير الموضوع، فجوزوا التساهل فى إسناده، وروايته- من غير بيان ضعفه- إذا كان فى غير الأحكام والعقائد. بل الترغيب والترهيب، من المواعظ والقصص وفضائل الأعمال ونحوها. أما إذا كان فى الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرهما فلم يروا التساهل فى ذلك"[٢].

(*) التساهل فى الوعظ والتشدد فى الأحكام.

(١) فتح المغيث ٢٦٧/١.

(٢) شرح الألفية ٢٩١/١.

وعقد الخطيب البغدادى المحدث والأصولى والفقيه والمؤرخ "بابًا" فى "الكفاية" عنونه بـ(باب التشديد فى أحاديث الأحكام والتجوز فى فضائل الأعمال"[١].

والحق أن قول السخاوى: إن ابن معين ممن قبلوا العمل بالضعيف فى غير الأحكام مطلقا، يناقضه أن لابن معين قولاً آخر وهو أنه يأخذ بالتفصيل[٢]. إذن لابد من جمع الآراء فى المسألة الواحدة ثم دراستها لمعرفة الراجح والمرجوح. كذلك تناقض الخطيب البغدادى مع نفسه، فبعد الباب السابق عقد عدة أبواب كما يأتى:

- ترك السماع ممن اختلط وتغير، رد حديث أهل الغفلة، رد حديث من عرف بقبول التلقين، ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ، ورواية المناكير والغرائب. ترك الاحتجاج بمن كثر غلطه، ترك الاحتجاج بمن عرف بالتساهل فى سماع الحديث، ترك الاحتجاج بمن عرف بالتساهل فى رواية الحديث، ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية، وإن عرف بالصلاح"[٣].إن عناوين الأبواب تناقضت مع بعضها فالعنوان الأول القائل بالتساهل يتناقض تماما مع العناوين التى بعده فالعنوان الأول يبيح التساهل وما بعده يرده ويؤكد على أنه لابد من التشدد فى قبول الضعيف.

إن الأمثلة التى أوردها – الخطيب– فيمن يترك الاحتجاج بحديثهم لا تسعف بذلك بل تشير إلى أنه لا يفرق بين من يترك الاحتجاج بحديثه، وبين من يرد حديثه[*]. فقد ذكر – فى باب "من يترك

---

(١) الكفاية ص ٢١٣ وما بعدها.

(٢) يحيى بن معين وكتابه التاريخ ص ١٠٢، ١٠٦.

(٣) الكفاية ص ٢١٦-٢٤٧.

(*) ترك الاحتجاج غير الرد.

الاحتجاج بحديثه من أهل الصلاح والغفلة)- قول مالك: "لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سواهم، فذكر المبتدع والمعلن بالسفه والكذب، ومن لا يعرف ما يحدث به، وإن كان من أهل الصلاح". وقد جاءت التفرقة عن ابن أبى حاتم، وعن النقاد قبله. حيث ألف ابن المدينى كتابا فى ذلك سماه (من لا يحتج بحديثه ولا يسقط)[1][*].

لقد ذكر الخطيب فيمن يترك الاحتجاج بحديثه من عرف بالتساهل فى الرواية قولَ أبى بكر الطيب: "من عرف بوضع الحديث رد خبره، ومن عرف بكثرة السهو والغفلة وقلة الضبط رد خبره. وكذلك قول الحميدى فى ترك الاحتجاج بمن كثر غلطه وغلب عليه الوهم[2].

إن النص الذى أورده ابن أبى حاتم- وفهمه خطأ- لابن مهدى لابد من إيراده ودراسته على الوجه الصحيح له، تشير المراجع إلى أن ابن مهدى من القائلين بقبول الضعيف بإطلاق، إلا أن النصوص عنه لا تؤيد ذلك، بل تشير إلى أنه من القائلين بالتفصيل. قال ابن مهدى،: " لا يترك حديث رجل إلا رجلا متهما بالكذب، أو رجلا الغالب عليه الغلط[3]. ويقول: الناس ثلاثة: رجل حافظ متقن، فهذا لا يختلف فيه. وآخر يهم والغالب على حديثه الحفظ، فهذا لا يترك حديثه. وآخر يهم، والغالب على حديثه الوهم، فهذا يترك"[4].

---

(١) يحيى بن معين وكتابه التاريخ ص١٠٣. ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٧١.

(*) لأنه قد يصلح فى الشواهد.

(٢) الكفاية ص٢٤٧ ويحيى بن معين، السابق ص١٠٤.

(٣) المجروحين لابن حبان ١/٥٦وما بعدها.

(٤) الكفاية ص ٢٢٧.

وعلق الدكتور أحمد محمد نور سيف قائلاً: ونظرًا لأن ابن أبى حاتم يرى قبول النوع الثالث، وقال: يعمل به فى المغازى والآداب والترغيب والترهيب، فقد نقل هذا النص عن ابن مهدى، ثم فسر النوع الثالث بقوله: يعنى: لا يحتج به. وترك الآخر(*) الذى يرى فيه التشدد.

ومع هذا فإن سياق النص(**) الذى نقله لا يسعف بذلك، فقد قسم ابن مهدى الحديث إلى ما يحتج به وما لا يترك. وجاء عنه نص آخر وهو التشدد فى أحاديث الحلال والحرام، والتسامح فى أحاديث الفضائل. ولهذا عُدّ فى أرباب المذهب الأول[1]. وما دام الرجل له نصان فعليه أن يختار الأرجح منهما، وعلى فرض صحة الرأى القائل بالتساهل، فابن معين شيخ لك وجاء عنه النهى عن العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، لماذا لم تختره؟

ويرد رأى الآخذين بالرأى القائل بالتساهل فى الوعظ والتفسير والفضائل - أن أحمد بن حنبل قال رأيه هذا فى سياق حكمه على محمد بن إسحاق صاحب المغازى والسير. إن سياق النص عند الدورى جاء فى مناسبة سؤاله عنه فقال أحمد حاكمًا عليه: إذا جاء

(*) ترك النص الآخر القائل بالتشدد.

(**) هذا نص أسئ فهمه ويعلم الله أن هذا الفهم الخطأ هو السبب فى أن كثيرين- حتى من خريجى كليات الدعوة وأصول الدين وسمعت الشعراوى -رحمه الله بأذنى يتحدث عن مرويات فى حياة بعض الصوفيين لا يقبلها دارس لعلم الحديث.. والشيخ الألبانى قال فى مقدمة الصحيحة(التصفية قبل التربية). ويوازى ما نحن فيه أن للدكتور عبد الحيكم راضى بحثا سماه (سيرة حياة نص) ألقاه فى تأبين الدكتور يوسف خليف فى المجلس الأعلى للثقافة، نبه فيه إلى مصطلح بلاغى أسئ فهمه هو مصطلح (المحدث) من الشعر.

(١) يحيى بن معين ص ١٠٥.

الحلال والحرام أردنا قوما هكذا – وأشار بيده إلى أنهم في مقام الثقة – فمن كان عنده في منزلة محمد ابن إسحاق عنده تكتب عنه المغازي وما شاكلها، ولا يكتب عنه ما جاء في الحلال والحرام(١).

والحق أنه لا يمكن فهم كلام الإمام أحمد دون الرجوع إلى ترجمة ابن إسحاق. إن الإمام مسلم روى له في الشواهد والمتابعات وقد رأيت كثيرًا من المتأخرين يحسنون في أحوال كثيرة لمن يستشهد به مسلم(*) قال الذهبي: (فالذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث، صالح الحال صدوق، وما انفرد به ففيه نكارة، فإن في حفظه شيئا وقد احتج به أئمة"(٢).

إن الإمام مسلمًا لم يخرج له في الأصول مع أن ابن إسحاق محتج به عند غيره. قال الترمذي في حديث يتعلق بالمذي مضمونه (يكفيك أن تأخذ كفًا من ماء فتنضح به من ثوبك حيث ترى أنه أصابه)، قال: هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث ابن إسحاق، وقال الذهبي قبله: فهذا حكم تفرد به محمد. ولا يخفى على عاقل أن الحديث يتعلق بالطهارة التي تتعلق بالصلاة، أي أنه يتعلق بالأحكام... إن الواقع يخالف كلام أحمد، وعلى فرض أن الترمذي يتساهل في التصحيح كما يقولون فالحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته – إذا تشددنا – بدليل حكم الذهبي السابق على ابن إسحاق. والحديث ليس من منكرات ابن إسحاق. والذهبي هو المنظر

---

(١) يحيى بن معين وكتابه التاريخ ١/١٠٩.

(*) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/١٧٣ (ترجمة ١٦٧): "والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام، نعم ولا بالواهي بل يستشهد به" والحق أن الذهبي يحكي أقوال غيره. بدليل قوله السابق: (حسن الحديث). وهو يقصد بالاستشهاد مسلم الذي يساوي الاحتجاج عند غيره أحياناً.

(٢) الميزان ٣/٤٧٥.

والدارس لنظرية الاعتدال والداعى إليها، وقد وافق ابن عدى - السابق على الذهبى- الذى قال فيه: "قد فتشت أحاديث ابن إسحاق الكثير فلم أجد فى أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف. وربما وهم أو أخطأ كما يخطئ غيره، ولم يتخلف فى الرواية الثقات والأئمة، وهو لا بأس به.

وقال يعقوب بن شيبة سألت ابن المدينى عن ابن إسحاق، قال: حديثه عندى صحيح. قلت: فكلام مالك فيه؟ قال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه، وأى شئ حدث بالمدينة؟ قلت: فهشام بن عروة قد تكلم فيه؟ قال: الذى قال هشام ليس بحجة، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها، وإن حديثه ليتبين فيه الصدق... وقال أحمد ابن عبد الله العجلى: ابن إسحاق ثقة. وقال شعبة: لو كان لى سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين.

ومن أكبر الأدلة على الفهم الخطأ للنص القائل بتساهل أحمد وبخاصة فى سياق إجابته عن سؤال يراد منه تقييم ابن إسحاق-أن أحمد قال فى ابن إسحاق: حسن الحديث.

إن مثل ابن إسحاق قد يصحح له أحد النقاد، وقد يتشدد البعض فيحسن له مثل الإمام مسلم، ولماذا نظلم مسلمًا ونقول إنه -افتراضًا- ضعف ابن إسحاق، لذا أورده فى الشواهد؟ لم لا نقول إن المرويات التى رواها ابن إسحاق رواها من هو أثبت منه - المشهور عند المحدثين بالتثبت العالى جدًا بدرجة أبر من ابن إسحاق-؛ لذا قدمه مسلم عليه... إن النظر إلى ما قيل فى ابن إسحاق يتضح منه التهويل والتلفيق، وأنه جرح فى العدالة، تطبيق معيار العدالة الدينية بصورة فيها منافسة وحسد... والرجل لم يذكره البخارى فى كتاب الضعفاء[1].

---

(١) انظر الميزان ٣/٤٦٨-٤٧٥؛ وتذكر الحفاظ ١/١٧٢-١٧٣.

إن استشهاد مسلم بابن إسحاق يدل على أنهم كانوا لا يرضون إلا بالحديث الصحيح وبخاصة البخارى ومسلم، ويدل على هذا أيضا أن الذهبى قال فى ترجمة (شريك بن عبد الله النخعى): "قلت: شريك حسن الحديث إماما فقيها ومحدثا مكثرا ليس هو فى الإتقان كحماد بن زيد. وقد استشهد به البخارى وخرج له مسلم متابعة. ووثقه يحيى بن معين[1].

سفيان بن عيينة وقضية التساهل فى الفضائل:-

قال ابن عيينة: "لا تسمعوا من بقية ما كان فى سنة، واسمعوا ما كان فى ثواب وغيره"[2].

إن الفيصل فى تقييم هذا النص هو الرجوع إلى ترجمة "بقية بن الوليد". لقد روى مسلم له. وأبو عوانة فى صحيحه[3].

وقال يحيى بن معين: كان شعبة مبجلا لبقية حيث قدم عليه. وقال مسلم: "حدثنا ابن راهويه: سمعت بعض أصحاب عبد الله قال: قال ابن المبارك: نعم الرجل بقية: لولا أنه يكنى الأسامى ويسمى الكنى". يعنى أنه يدلس. وقال أبو الحسن ابن القطان: بقية يدلس عن الضعفاء، ويستبيح ذلك؛ وهذا إن صح مفسد لعدالته. قلت - أى الذهبى-: "نعم والله صح هذا عنه، إنه يفعله، وصح عن الوليد بن مسلم، بل وعن جماعة كبار - فعله، وهذه بلية منهم؛ ولكنهم فعلوا ذلك باجتهاد، وما جوزوا على ذلك الشخص الذى يسقطون ذكره بالتدليس، إنه تعمد الكذب. وهذا أمثل ما يعتذر به

(١) تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١.
(٢) الكفاية ص ١٣٤.
(٣) الميزان ٣٣٦/١.

عنهم. وقال ابن عدى: وبقية يخالف فى بعض حديثه الثقات. وإذا روى عن أهل الشام فهو ثبت؛ وإذا روى عن غيرهم خلط كإسماعيل بن أبى عياش. وقال ابن المبارك: صدوق، لكن يكتب عمن أقبل وأدبر".

لقد كان بقية حافظًا وأحد الأعلام - كما قال الذهبى. وروى عنه شيوخه، وهذا يدل على مكانته ورتبته ودرجته الرفيعة - مثل: "ابن جريج، والأوزاعى، وشعبة. وقال أحمد: هو أحب إلى من إسماعيل بن عياش. وقال يحيى بن معين: عند بقية ألفا حديث صحاح، عن شعبة. وكان يذاكر شعبة بالفقه. قال غير واحد من الأئمة: بقية ثقة إذا روى عن الثقات. وقال ابن عدى: إذا روى عن أهل الشام فهو ثبت. وقال النسائى وغيره: إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة. وقال ابن حبان: سمع من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة"(١).

إن بقية بالأوصاف السابقة أقل درجاته أن يكون حسن الحديث. وليس خروجًا على قواعد البحث العلمى إذا صحح له بعض النقاد بعض مروياته وحسن بعضهم بعضها، وإذا كانت له مناكير فالثقات لهم مناكير، والصدوق له مناكير، وليس ما صح سندًا صح متنا. وعلم العلل مختص -فقط- بمرويات الثقات وأوهامهم.

ولقد استُغلَّتْ أقوالُ هؤلاء الأئمة استغلالاً سيئا حيث أُدخِلَتْ جملة كبيرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى الدين، ونُشِرَتْ بين الناس.

إن الذى يوافقنى - كما فهمت- ويوافق صنيع المتقدمين - هو ابن تيمية الذى قال: "ليس المراد الضعيف المتروك، لكن المراد به الحسن كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحديث إبراهيم

---

(١) السابق ١/٣٣١-٣٣٩.

الهجرى وأمثالهما ممن يحسن الترمذى حديثه أو يصححه، وكان الحديث فى اصطلاح من قبل الترمذى إما صحيحا وإما ضعيفا، والضعيف نوعان: ضعيف متروك، وضعيف ليس بمتروك، فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح فجاء من لا يعرف إلا اصطلاح الترمذى فسمع قول بعض الأئمة فظن أنه يحتج بالحديث الذى يضعفه مثل الترمذى، وأخذ يرجح طريقة من يرى أنه أتبع للحديث الصحيح، وهو فى ذلك من المتناقضين الذين يرجحون الشىء على ما هو أولى بالرجحان منه إن لم يكن دونه"(١).

وقال ابن كثير: "لما كان الحسن مرتبة بين الصحيح والضعيف فى نظر الناظر لا فى نفس الأمر عسر التعبير عنه وضبطه على كثير من أهل هذه الصناعة"(٢). وارتضى الشيخ طاهر الجزائرى كلام ابن كثير ونقله فى توجيه النظر(٣). ويؤيد الكلام السابق أن اصطلاح الترمذى خاص به فى سننه ولم يقصد به تعميم الاصطلاح؛ قال: "وما ذكرنا فى هذا الكتاب حديث حسن فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا كل حديث يروى لا يكون فى إسناده متهم بالكذب، ولا يكون الحديث شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذلك فهو عندنا حديث حسن"(٤). وقد نبه الذهبى وغيره من المحدثين إلى أن الترمذى من المتساهلين فى التصحيح فقال فى الميزان: "وأما الترمذى فروى من حديثه - كثير بن عبد الله المزنى-: "الصلح جائز بين المسلمين". وصححه؛ فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذى"(٥).

---

(١) منهاج السنة ١٩١/٢، لابن تيمية، ط مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) اختصار علوم الحديث ص٣٧.

(٣) توجيه النظر إلى أصول الأثر ص١٤٥.

(٤) شرح علل الترمذى ص٢٥٧ بتحقيق السيد صبحى جاسم، مكتبة العانى، بغداد، ١٣٩٦هـ.

(٥) ٤٠٧/١ من الميزان.

وقال فى ترجمة (يحيى بن يمان العجلى): "يحيى بن يمان عن المنهال ابن خليفة، والمنهال، قال البخارى فيه نظر. عن حجاج بن أرطأة، عن عطاء عن ابن عباس أن النبى ﷺ دخل قبرًا فأسرج له سراج. حسنه الترمذى مع ضعف ثلاثة فيه، فلا يغتر بتحسين الترمذى فعند المحاققة غالبها ضعاف"(١).

وقال فى سير أعلام النبلاء أثناء ترجمته للترمذى: "جامعه قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه، ولكن يترخص فى قبول الأحاديث، ولا يُشدد، ونفسه فى التضعيف رَخو"(٢).

وقد نبه ابن القيم – تلميذ ابن تيمية – إلى ما نبه إليه شيخه فقال: "والأصل الرابع من أصول الإمام أحمد – الذى قال بالتساهل فى الفضائل – التى بنى عليها فتاويه، الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن فى الباب شئ يدفعه وهو الذى رجحه على القياس. وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر، ولا من فى رواته متهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه، والعمل به، بل الحديث الضعيف عند قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد فى الباب أثرًا يدفعه ولا قول صاحب، ولا إجماعا على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس"(٣).

إن الحديث الذى يصل بإسناد غير صحيح سواء ما يتعلق بالأحكام أو بالفضائل لا يمكن أن يكون عمدة فى الدين؛ لأن ديننا قائم على أسس متينة، لا تنهار هذه الأسس الثابتة بقول فلان

---

(١) السابق ٤/٤١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٦.

(٣) أعلام الموقعين ١/٣١، ط دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

وفلان، لذا من شك فى راوى الحديث ولم يجزم بأن هذا من قول رسول الله ﷺ بالقرائن ثم تعمد رواية هذا الحديث يدخل بلا شك تحت وعيده: "من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار". وتحت قوله: كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع". وهذا الوعيد عام فى الفضائل والأحكام والعقائد(١).

إن قول أحمد السابق عاد عليه بالعواقب غير المحمودة فقد نبه اللاحقون إلى تساهله هذا، والسابقون نسبوا إليه أنه يتساهل فى الفضائل، إن التساهل فى شئ يؤدى إلى التساهل فى كل شئ أحيانًا، قال ابن كثير: "وأما قول الحافظ أبى موسى محمد ابن أبى بكر المدينى عن مسند الإمام أحمد: إنه صحيح: - فقول ضعيف، فإن فيه أحاديث ضعيفة، بل وموضوعه، كأحاديث فضائل مرو، وعسقلان، والبرث الأحمر عند حمص، وغير ذلك، كما قد نبه عليه طائفة من الحفاظ"(٢).

إنه بناءً على القول بالتساهل فى الفضائل - تساهل الفقهاء فى أحاديث الأحكام، حتى تجرأ بعضهم على إثبات المستحبات بالأحاديث الضعيفة، قال المحقق الحنفى الشيخ الكمال بن الهمام: "الاستحباب يثبت بالضعيف غير الموضوع"(٣).وقد نبه ابن تيمية إلى ما قاله مسلم فى مقدمة صحيحه، قال الأول: "قول الإمام أحمد بن حنبل إذا جاء الحلال والحرام شددنا فى الأسانيد، وإذا جاء

---

(١) دراسات فى الجرح والتعديل للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمى ص١٩٠، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) اختصار علوم الحديث ص٢٦ وللشيخ أحمد شاكر تعليق مهم عليه انظره فى الباعث أسفل الاختصار، مطبوع معه.

(٣) شرح فتح القدير ٤٦/١، ودراسات فى الجرح والتعديل ص ١٩٠، ط بولاق ١٣٢٥هـ.

الترغيب والترهيب تساهلنا فى الأسانيد، وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال – ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذى لا يحتج به. فإن الاستحباب حكم شرعى فلا يثبت إلا بدليل شرعي، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملاً من الأعمال من غير دليل شرعى فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم ولهذا يختلف العلماء فى الاستحباب كما يختلفون فى غيره، بل هو أصل الدين المشروع"(١).

لقد حمل جماعة من العلماء كلام أحمد وغيره –ولم ينتبهوا– على جواز رواية الأحاديث الضعيفة فى غير الأحكام والعقائد كالنووى والعراقى وابن حجر والسخاوى والسيوطى وغيرهم(٢). والحمد لله هم متأخرون، والتنظير يكون للظاهرة نفسها، ثم يأتى آراء العلماء الأقدم، ثم الذى يليه. وفهم النصوص فى سياقاتها هو الذى يؤيده البحث العلمى.

إن ابن حجر – كما نقل السيوطى فى تدريب الراوى– عاد إلى ما قرره واقع نقد المرويات عند المتقدمين، فقال، مشترطًا على الذى يعمل بالضعيف فى فضائل الأعمال مجموعة من الشروط أرى التلفيق واضحًا فيها، وليس هناك روح واحدة تجمع هذه الشروط – قال: "أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه، نقل العلائى الاتفاق عليه"(٣). والحق أن هذا كلام الترمذى المتساهل، وهو اصطلاح خاص به، نقله ابن حجر من حيز التخصيص إلى

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٦٥/١٨.

(٢) دراسات فى الجرح والتعديل السابق: ص١٩٢.

(٣) تدريب الراوى ٢٩٩/١.

التعميم، وهذا هو الحسن لغيره عند الترمذى، الذى أنتج مصطلحًا آخر قال به ابن حجر وهو (الحسن لذاته)... وبالله عليكما يا ابن حجر أنت والترمذى - رحمكما الله- هل يوجد هذان المصطلحان عند غيركما (لذاته) و (لغيره)؟... لم يوجد عند غيركما!

ثم قال السيوطى نقلاً عنه (أن يندرج تحت أصل معمول به"[١]. وهذا هو صنيع الشيخين البخارى ومسلم وهما يخرجان لهذا الصنف فى الشواهد والمتابعات.

لقد كان البخارى يرى أن الحديث إذا كان من أساطين المحدثين، وهم المكثرون من جمع الحديث وروايته كالزهرى ونافع فإن أصحابها الذين يرون عنهما درجات تختلف فى مقدار الصلة بهما، وفى الحفظ والإتقان[*]. إن أصحاب الزهرى على خمس طبقات[٢].

الطبقة الأولى: جمعت الحفظ والإتقان وطول الصحبة للزهرى والعلم بحديثه، والضبط له كمالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمرو ويونس وعقيل وشعيب وغيرهم. وهؤلاء متفق على تخريج حديثهم عن الزهرى.

الطبقة الثانية: أهل حفظ وإتقان، لكن لم تطل صحبتهم للزهرى وإنما صحبوه مدة يسيرة، ولم يمارسوا حديثه، وهم فى إتقانه دون الطبقة الأولى كالأوزاعى والليث وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر والنعمان بن راشد ونحوهم، هؤلاء يخرج لهم مسلم عن الزهرى.

---

(١) السابق نفسه.

(*) تنبيه إلى الفروق الفردية بين التلاميذ فى الذكاء وتحصيل العلم.

(٢) انظر فى تلاميذ الزهرى ص ١٢١ - ١٦٢ من كتاب (الإمام الزهرى وأثره فى السنة) للدكتور حارث سليمان الضارى، دكتوراه مطبوعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة بسام، الموصل، العراق.

الطبقة الثالثة: قوم لازموا الزهرى وصحبوه ورووا عنه؛ لكن تكلم فى حفظهم كسفيان بن حسين ومحمد بن إسحاق، وصالح بن أبى الأخضر وزمعة ابن صالح ونحوهم، وهؤلاء يخرج لهم أبو داود والترمذى والنسائى وقد يخرج مسلم لبعضهم متابعة... ثم الطبقة الرابعة والخامسة فالطبقة الأولى هم شرط البخارى، وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير استيعاب[1](*).

قال ابن حجر: "وأكثر ما يخرج البخارى حديث الطبقة الثانية تعليقًا، وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقًا أيضًا. وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين الأولى والثانية على سبيل الاستيعاب. ويخرج أحاديث الطبقة الثالثة على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية[2]. مع مراعاة أن هؤلاء التلاميذ قد يكونون ثقات ومتقنين إلى الغاية فى غير الزهرى - أقصد الطبقة الثانية والثالثة... الخ - ويقدمون على غيرهم فى غير الزهرى.

وترى مثل هذا لأصحاب نافع فقد قسمهم ابن المدينى تسع طبقات، ولأصحاب الأعمش حيث قسمهم النسائى سبع طبقات[3]. لكن يبقى أمر مهم وهو جمع مرويات كل هؤلاء المشايخ وتلاميذهم ثم نقده كله داخل الباب الواحد.

---

(١) دراسات فى الجرح والتعديل ص٢٩٥.

(*) انظر ترجمة (طلحة بن نافع) الذى روى له مسلم محتجا به، وروى له البخارى مقروناً وقال الذهبى فى حديثه (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها): "صحيح غريب". الميزان ٣٤٣/٢ وهو يساوى الحسن لذاته عند ابن حجر ولو قالب الذهبى (حسن) لما أخطأ لأن أحمد قال: لا بأس به.

(٢) السابق ص ٢٩٦.

(٣) السابق ص٢٩٥.

إن مسلمًا لم يرتض فى الأصول حديثا تقل درجته عن الحسن الذى يدخل فى الصحيح عنده، والذى يسميه ابن حجر (الحسن لذاته). وهذا هو الأصل الذى تريد أن تقول به يا ابن حجر، لقد جمعت كلام المدققين إلى كلام المتساهلين وهذا هو التلفيق المنهجى الضار، غير المحمود، إنه قد يستحب فى تحقيق النصوص ونشرها، أما فى المنهجية فهذا أمر غير علمى إذا ثبت الحكم بأصل صحيح كالقرآن الكريم أو الحديث النبوى لماذا نشغل أنفسنا بالضعيف؟!

ثم أضاف ابن حجر: "ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط"[(١)]. وهل بعد هذا شك فى المروى وفى صحته، كيف أعمل بما أشك هل هو صحيح أم ضعيف؟ فرغم هذه الشروط التى تلقاها المتأخرون فإننا لا نسلم برواية الحديث الضعيف، ولو كان يتعلق بالفضائل، فإن ما ثبت عن رسول الله ﷺ فى الصحيح والحسن - فيه كفاية لنا عن غيره. فإن الضعيف مهما اشترط فى قبوله الشروط فإننا لا نأنس بثبوته، والقلب لا يطمئن إليه، والنفس لا تنشرح له، والشك فى قبوله يساورنا دائمًا لأن الدين أساسه اليقين، والاعتماد على نقلة الأخبار[(٢)].

إنهم كانوا أحيانا -المدققون- يردون رواية الراوى إذا اختلط ولم يتميز حديثه قبل الاختلاط عما بعده، قال ابن حبان: "أصبغ مولى عمرو بن حريث. تغير بأخرة حتى كبل بالحديد - حتى لا يحدث[(*)]- لا يجوز الاحتجاج بخبره إلا بعد التخليص، وعلم الوقت الذى حدّث فيه، والسبب الذى يؤدى إلى هذا العلم معدوم فيه"[(٣)].

---

(١) تدريب الرواى ٢٩٩/١.

(٢) دراسات فى الجرح والتعديل ص١٩٣.

(*) من عندى

(٣) المجروحين ١٧٣/١.

وقال فى "بحر ابن مرار": "اختلط بأخرة حتى كان لا يدرى ما يحدث، فاختلط حديثه الأخير بحديثه القديم ولم يتميز. تَرَكَهُ يحيى القطان"(١). إنهم لا يعلمون - أى فى شكٍّ- من حدث عنه قبل الاختلاط وبعده، فكان الاحتياط أن يتركوا روايته كلها. كى لا يبنوا على ظن مرجوح.

أى أنهم كانوا يدعون الصحيح خشية أن يدخله الضعيف وهم لا يدرون، قال ابن حبان: "جُبارة بن مُغلس... كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل أفسده يحيى الحمانى حتى بطل الاحتجاج بأحاديثه المستقيمة لما شابها من الأشياء المستفيضة عنه"(٢). وقال فى آخر: "فمن هنا اشتبه أمره ووجب تركه"(٣).

وقال ابن حبان فى ترجمة صالح بن أبى الأخضر: "إن من اختلط عليه ما سمع بما لم يسمع، ثم لم يرع عن نشرها بعد علمه بما اختلط عليه منها حتى نشرها وحدث بها وهو لا يتيقن بسماعها لبالحرى أن لا يحتج به فى الأخبار؛ لأنه فى معنى من يكذب وهو شاك، أو يقول شيئا وهو يشك فى صدقه والشاك فى صدق ما يقول لا يكون بصادق، ونسأله الله الستر وترك إسبال الهتك إنه المانُّ به"(٤).

وقال فى ترجمة (عثمان بن عطاء بن أبى مسلم الخراسانى): "يروى عن أبيه... أكثر روايته عن أبيه، وأبوه لا يجوز الاحتجاج بروايته لما فيها من المقلوبات التى وهم فيها فلست أدرى البلية فى تلك الأخبار منه أو من ناحية أبيه. وهذا شئ يشتبه، إذا روى رجل ليس بمشهور بالعدالة عن شيخ ضعيف أشياء لا يرويها عن غيره

---

(١) السابق ١/١٩٤.
(٢) السابق ١/٢٢١.
(٣) السابق ١/٢٣٤، ٢٨٣.
(٤) السابق ١/٣٦٥.

لا يتهيأ إلزاق القدح بهذا المجهول دونه بل يجب التنكب عما رويا جميعا حتى يحتاط المرء فيه لأن الدين لم يكلف الله عباده أخذه عن كل من ليس بعدل مرضى"(١).

لقد سقت النصوص السابقة ردًا على ابن حجر الذى قال: "ألا يعتقد عند العمل به - أى الضعيف فى الفضائل - ثبوته بل يعتقد الاحتياط". إن من يخاف من العفريت يا ابن حجر- كما فى التراث الشعبى- سوف يخرج له، إنك باحتياطك هذا "سوف يدخل فى الدين ما ليس منه، وهذا (الاحتياط) لابد أن يحتاط منه، والاحتياط هو أن أترك الصحيح المشكوك فيه لا أن أعمل بالضعيف المشكوك فى ثبوته، لقد علمنا الرسول - وبنى عليه الفقهاء القواعد- أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فمن ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، وقد كان النقاد المتقدمون إذا شكوا فى حديث ضربوا عليه.

إن السلف كانوا إذا اشتبهوا فى شئ من مالهم تركوا الجميع، وفى نقد المرويات كانوا يفعلون هذا، ويتركون المشكوك فيه حتى لو كان صحيحا، ومن يرد التحقيق -يا ابن حجر- فليقرأ مبحث المختلطين، كانوا إذا لم يميزوا بين مرويات المختلط - حتى لو كان ثقة- قبل الاختلاط أم بعده، تركوا الجميع.

قال ابن كثير فى مبحث المختلطين: "كعبد الله بن لهيعة، لما ذهبت كتبه اختلط فى عقله، فمن سمع من هؤلاء قبل اختلاطهم قبلت روايتهم، ومن سمع بعد ذلك أو شك فى ذلك لم تقبل"(٢).

---

(١) اختصار علوم الحديث، النوع الثانى والستون: فى معرفة من اختلط فى آخر عمره ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) السابق نفسه.

ولا يخفى أن من المختلطين ثقات من الأعلام المشهورين والأئمة الكبار، كعبد الرازق بن همام، وسفيان ابن عيينة قبل موته بسنتين... من حدث بعد اختلاطهم ترد روايته عنهم، وإذا شك الناقد هل سمع من المختلط قبل أو بعد الاختلاط ترك حديثه.

ولم يطبق المحدثون هذا الأمر على المختلطين فقط بل طبقوه على غيرهم، جاء في ترجمة يحيى بن سعيد التميمي المديني أنه "كان ممن يخطئ كثيرًا، وكان ردئ الحفظ، فوجب التنكب عما انفرد من الروايات والاحتجاج بما وافق الثقات؛ لأن أمارات العدالة فيه ألهته عن الصدق والإتقان، وإن وهم في الشيء بعد الشيء أو أخطأ في الحديث بعد الحديث فإن هذا شئ لا ينفك عن البشر يترك ما أخطأ فيه إذا علم. والأحوط أن يترك ما انفرد به من الرواية. وكل ما نقول في هذا الكتاب إنه لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد فسبيله هذا السبيل أنه يجب أن يترك ما أخطأ فيه، ولا يكاد يعرف ذلك إلا الممعن البازل في صناعة الحديث، فرأينا من الاحتياط ترك الاحتجاج بما انفرد جملة حتى تشتمل هذه اللفظة على ما أخطأ فيه أو أخطئ عليه أو أدخل عليه وهو لا يعلم أو دخل له الحديث في حديث وما يشبه هذا من أنواع الخطأ، ويحتج بما وافق الثقات"[١]. وفي هذه النصوص كفاية.

إن هذا التساهل في الفضائل جر إلى مصائب في الفقه والأحكام، "إنه بناء على القاعدة الفقهية الواهية التي تقول بالعمل بالضعيف في فضائل الأعمال وإثبات المستحبات بالأحاديث الضعيفة- استحب الحنفية مسح الرقبة في الوضوء مستدلين في ذلك بحديث طلحة بن مُصرف عن أبيه عن جده، وجده هو كعب

---

(١) المجروحين لابن حبان ٣/١١٩ وللمزيد انظر ١/٣٢٥، ٣٣٠، ٢/٤٨، ٢/٤، ١/٣٦٢، ٣/٢٠.

بن عمرو، ويقال عمرو بن كعب الهمدانى، له صحبة ومنهم من ينكرها. قال: رأيت رسول الله ﷺ يمسح رأسه مرة واحدة حتى بلغ القذال، وهو أول القفا، وقال مسدد: مسح رأسه من مقدمه إلى مؤخره، حتى أخرج يديه من تحت أذنيه. قال مسدد: فحدثت به يحيى فأنكره. قال أبو داود: سمعت أحمد يقول: ابن عيينة زعموا كانوا ينكره ويقول: إيش هذا طلحة عن أبيه عن جده؟، والحديث ضعيف فلا يعرف طلحة وأبوه وجده على القول الصحيح(١).

وقال الحنفية أيضًا باستحباب الترسيل فى الأذان والإسراع فى الإقامة واستدلوا بحديث عبد المنعم بن نعيم الذى روى بسنده، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال لبلال: يا بلال إذا أذنت فترسل فى أذانك، وإذا أقمت فاحدر، واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله، والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته، ولا تقوموا حتى ترونى. وقال الترمذى: حديث جابر هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبد المنعم، وهو إسناد مجهول(٢).

وقال الزيلعى: وعبد المنعم هذا ضعفه الدارقطنى، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جدًا لا يجوز الاحتجاج به، وأخرجه الحاكم فى مستدركه عن عمرو بن فايد الأسوارى ثنا يحيى بن مسلم، به سواء. ثم قال: هذا حديث ليس فى إسناده مطعون فيه غير عمرو بن فايد ولم يخرجاه(٣).

---

(١) درسات فى الجرح والتعديل ص١٩١، والحديث رواه أبو داود فى الوضوء، صفة وضوء رسول الله ﷺ ١/١٠٠، الطبعة الأولى، حمص، ١٣٨٨هـ، طبع بإشراف محمد رفيق السيد. والقذال هو مؤخر الرأس وجمعه قذل، والقفا مؤخر العنق.

(٢) سنن الترمذى، فى الصلاة، ما جاء فى الترسل والأذان ١/٢٧٣، طبعة أحمد شاكر، ط٣ ١٣٩٥هـ.

(٣) نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعى (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف) (١/٢٧٥)، دار الحديث، مصر، د.ت.

وعمرو بن فايد هذا قال الدارقطنى فيه: "متروك كما ذكره الذهبى فى مختصر المستدرك. والحديث فيه يحيى بن مسلم البصرى مجهول أيضًا. وقال الدكتور محمد ضياء الأعظمى: "وبمقابل هذا تركوا الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها مخالفة للقياس والرأى. وقد أورد الشيخ الألبانى بعض هذه الأحاديث فى رسالة "الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام". ولاشك أن الأخذ بالأحاديث الضعيفة وترك العمل بالأحاديث الصحيحة جرّ البلايا والفتن على الأمة الإسلامية وكان سببا فى انشقاقها وتفرقها"(١).

والحق أن الشيخ الألبانى - جزاه الله خيرًا- قام بنخل مرويات السنن فجعل سنن الترمذى فى (٤) مجلدات، (٣) منها للصحيح و (١) للضعيف سمى الأول (صحيح سنن الترمذى) والثانى (ضعيف سنن الترمذى). وهكذا فى بقية السنن، وقام بنقد بعض مرويات الصحيحين التى تعد على اليد، وهذا هو نفس منهج الشيخ أحمد شاكر فى كل مؤلفاته (كعمدة التفسير) الذى انتخبه - ناقدًا- من تفسير ابن كثير، والجزء المطبوع من تفسير الطبرى بمشاركة أخيه الأستاذ محمود شاكر، وكذلك سنن الترمذى... جزى الله الجميع خيرًا.

أى أن النقاد المتقدمين والمتأخرين كانوا على وعى بأهمية عزل الضعيف بأنواعه عن الصحيح والعمل بالأخير ففيه غنية.

يحيى بن معين وقبول الصحيح فقط:-

ويؤيد فكرة أن المتقدمين لم يكونوا يقبلون إلا الحديث الصحيح، وكان الحسن يدخل عندهم فى الصحيح- أن مراتب الرواة عند

---

(١) دراسات فى الجرح والتعديل ص ١٩٢.

يحيى بن معين، كما انتهى الدكتور أحمد محمد نور سيف في دراسته لابن معين وكتابه التاريخ، انتهى إلى أن "مراتب الرواة عند يحيى بن معين... المرتبة الأولى: مرتبة الثقات الذين يحتج بحديثهم، وتقبل روايتهم، ويعمل بها، وهى أعلى المراتب. وترد فيها العبارات التالية: ثبت، ثقة، لم يذكر إلا بخير، ثقة مأمون، ثقة، صدوق، ليس به بأس، شيخ صدوق، ليس به بأس... المرتبة الثانية: من تقبل روايتهم على ضعف فيهم، فيكتب حديثهم، ولا يحتج به، ولكن ينظر ويعتبر: وترد فيه العبارات التالية: ثقة ليس بحجة، صدوق[١]. ليس بحجة، صالح الحديث... المرتبة الثالثة: من يرد حديثهم ولا يكتب..."[٢].

فالمراتب عنده ثلاث: مرتبتان للتعديل، ومرتبة للتجريح. أى أن الصحيح ويدخل فيه الحسن يقابل المرتبتين الأولى والثانية والضعيف يقابل الثالثة. ثم جاء بعد يحيى بن معين ابن أبى حاتم فزاد الأمر تفصيلاً وجعل للمقبولين المحتج بهم ثلاث مراتب هى فى الحقيقة تساوى الأولى وبعض الثانية عند يحيى بن معين. قال ابن أبى حاتم: "المرتبة الأولى: الثبت، الحافظ، الورع، المتقن، الجهبذ، الناقد، فهذا لا يختلف فيه، ويعتمد على جرحه وتعديله، ويحتج بحديثه وكلامه فى الرجال. المرتبة الثانية: العدل فى نفسه، الثبت فى روايته، الصدوق فى نقله، الورع فى دينه، الحافظ لحديثه المتقن فيه.

فهذا يحتج بحديثه ويوثق. المرتبة الثالثة: الصدوق الورع، الثبت الذى يهم أحيانا، قبله النقاد واحتجوا بحديثه"[٢]. ثم قال ابن

---

(١) يحيى بن معين وكتابه التاريخ ٩١/١- ٩٢ للدكتور أحمد محمد نور سيف.

(٢) السابق ٩٣/١.

أبى حاتم: فى موضع آخر: إذا قيل صدوق، أو محله الصدق، أو لا بأس به، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه[1].

وسواء جعل ابن أبى حاتم (صدوق وما يعادلها) مع المحتج بهم، أى أنه يجعل الصحيح والحسن فى درجة واحدة- وهى المقبول عموما- أو جعله فى مرتبة وحده هى مرتبة الاختبار، أى أنه يقارن بين رواية الصدوق- التى ستصبح حسنة بعد قبولها - ورواية الثقة - التى ستصبح صحيحة بعد قبولها -؛ فإن كلا الأمرين يقتضى الترجيح بين المرويات لقبول الأصح منها ويرد الشاذ والمعل.

على بن المدينى وقبول الصحيح فقط:-

ويؤيد تقسيم ابن معين الثلاثى تقسيم على بن المدينى الثلاثى أيضا لمراتب الرواة إن المرتبة الأولى يحتج بأصحابها والثانية ينظر فى مرويات رواتها والثالثة متروكة. وفى المرتبة الأولى عنده نجد لا بأس به، وصدوق[2]. أى أن الحسن لذاته(وهو رواية الصدوق بعد الاختبار والنظر) يدخل عنده فى الصحيح، وهو نفس منهج البخارى ومسلم، والبخارى تلميذ على بن المدينى.

إن يحيى بن معين وعلى بن المدينى أدخلا لفظة (صدوق) فى المرتبة الأولى أى أن الحسن - الذى يقابل "صدوق" - يدخل فى الصحيح عندهم.

ومن أكبر الأدلة على أنهم لم يكونوا يفرقون بين الصحيح والحسن أن الرواة الذين تحسن مروياتهم عند المتأخرين، كانوا

---

(١) السابق: ١/٩٤.

(٢) الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال ص٦٠٤ لإكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

يوردونهم فى كتب الثقات، وسوف أقوم باستقراء ناقص لأحد الكتب المؤلفة فى الثقات فقط وهو كتاب العجلى (تاريخ الثقات) الذى رتبه الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧هـ).

والعجلى جاء بين الإمامين الكبيرين (البخارى) (١٩٤ - ٢٥٦هـ) ومسلم (٢٠٤هـ - ٢٦١هـ) فهو قد عاش فى الفترة من (١٨٢ - ٢٦١هـ) فقد ولد قبل مسلم وتوفيا فى عام واحد، لقد سمى العجلى كتابه (بتاريخ الثقات)، والثقة هو الذى يصحح حديثه، وعند المتأخرين يحسن لمن قيل فيه (صدوق) و "لا بأس به"، و"صالح الحديث" - يحسن لهم حديثهم. قل العجلى:

- أحمد بن عمران: لا بأس به[1].- إبراهيم بن إسماعيل حجازى لا بأس به[2]. أما "إبراهيم بن الزبرقان" فكان ثقة راوية لتفسير القرآن، حسن الحديث، وكان صاحب سنة، وصاحب تفسير"[3]. وهذا مخالف لمن قالوا: يتساهل فى التفسير والمغازى والترغيب والترهيب. ونسى هؤلاء المحدثون أن التفسير نشأ فى البداية نقلا عن الرسول -ﷺ- وكان جزءًا من الحديث النبوى، يدل على هذا أن أصحاب الصحاح- البخارى ومسلم- جعلا له كتابًا داخل صحيحيهما.
- إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراسانى: لا بأس به[4].
- إبراهيم بن عيينة: كوفى صدوق[5].

---

(١) تاريخ الثقات للعجلى ص ٤٨ بتحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
(٢) السابق ص٥١.
(٣) السابق ص ٥٢.
(٤) السابق ص٥٢.
(٥) السابق ص٥٣.

- إبراهيم بن محمد بن طلحة: ثقة رجل صالح[١]. وهنا تم الجمع بين التصحيح والتحسين.
- إبراهيم بن المهاجر البجلى: جائز الحديث[٢].

وأورد (إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى) الذى قال فيه: "رافضى جهمى لا يكتب حديثه) أورده؛ لأن الشافعى (روى عنه)[٣]. ووثقه[٤].

- إبراهيم الطهمانى: لا بأس به[٥]- أسباط بن محمد بن عبد الرحمن: لا بأس به[٦].
- إسماعيل بن زكريا بن مرة الخلقانى: كوفى ضعيف[٧]. وأورده؛ لأن الجماعة أخرجوا له، ووثقه ابن معين وابن أبى خيثمة، وأبو داود، وابن حيان[٨]. - إسماعيل السدى: ثقة. روى عنه سفيان، وشعبة، وزائدة، عالم بتفسير القرآن، راوية له[٩]. وفى هذا - أيضًا- رد على القائلين بالأخذ عن الضعفاء التفسير والتساهل فيه وفى رجاله. لقد أخرج له مسلم والأربعة، ووثقه أحمد، وابن حبان[١٠].
- الأسود بن قيس: تابعى، ثقة، حسن الحديث[١١]. وكان فى

---

(١) ص٥٤.
(٢) ص٥٤.
(٣) ص٥٦.
(٤) الميزان ١/٥٨.
(٥) ص٥٧.
(٦) ص٦٠.
(٧) ص٦٥.
(٨) تهذيب التهذيب ١/٢٩٧-٢٩٨.
(٩) ص٦٦.
(١٠) التهذيب ١/٣١٤.
(١١) ص٥٤.

استطاعته أن يقول صحيح الحديث لأن الراوى (ثقة)، وهذا يدل على أن الحسن يدخل فى الصحيح عند المتقدمين.

- أشعث بن سوار: ضعيف، يكتب حديثه[1].أى للاختبار والاعتبار فيحكم على مروياته التى تدل على مدى ضبطه بالحسن لذاتها بشرط ألا تخالف، أو تصلح فى الشواهد والمتابعات فتحسن لغيرها.

أصبغ بن الفرج: مصرى، لا بأس به. ثقة صاحب سنة[2]. وقد يقول البعض إنه (لا بأس به) من حيث الضبط، و"ثقة" من حيث العدالة، أى أنه فى النهاية (لا بأس به) أو (صدوق). أقول له: لقد ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال على ابن السكن: ثقة ثقة، وقال أبو حاتم المتشدد، صدوق[3].

العمل بالصحيح فقط:

قال البيهقى فى مقدمة دلائل النبوة: "وعادتى فى كتبى المصنفة فى الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح؛ ليكون الناظر فيها - من أهل السنة - على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، لا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع - من قبول الأخبار- مغمزًا فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار"[4].

وانعكس هذا على مراتب التقويم فى سننه الكبرى، حيث توسع الإمام أبو بكر البيهقى فى شرط كتابه (السنن الكبرى) فلم يقصره على الصحيح والحسن، وإنما أدخل فيه الحديث الضعيف بأنواعه،

---

(١) ص٦٩.

(٢) ص٧٠-٧١.

(٣) الجرح والتعديل ١/١/٣٢١، ثقات ابن حبان: ٨/١٣٣، تهذيب التهذيب ١/٢٦١.

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/٤٧ بتحقيق د. عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

وقد ترتب على هذا التوسع وجود كل هذه الأنواع فـــى كتابـــه[١].

وهو لم يوردها كلها على سبيل الاحتجاج؛ بل قاصدًا التمييز بـــين المقبول (الصحيح والحسن) والمردود (الضعيف بأنواعه). يؤيد ما رأيته قول الدكتور نجم خلف: "وقد اقتضاه منهجه النقدى أن يحكم على كل حديث بما يناسبه من حيث القوة والاعتبار، ويمكن حصر هذه الأحكام فى مرتبتين تقويميتين كليتـــين، وهمـــا: (١) مرتبـــة القبول. (٢) مرتبة الرد.

أما المرتبة الأولى والتى تشتمل على درجات الصحة والحســـن فلها حالتان: الحالة الأولى: ورودها فى الباب من غيـــر مخـــالف يساويها فى القوة.

الحالة الثانية: أن يرد فى الباب دليل مواز مـــن حيـــث القـــوة يعارض هذا الحديث الصحيح أو الحسن؛ فيعمد الإمام البيهقى إلى منهج الترجيح لمعرفة الأقوى منهما، والأولى بالاتباع، وذلك حينما يتعذر عليه الجمع بينهما بوجه مقبول من وجوه الجمع[٢]. أى أنه يرجح بين مقبول (صحيح أو حسن) ومقبول آخر مواز (صـــحيح أو حسن). فأين الحديث عن الحسن لغيره أو الضعيف؟!

وصرح الدكتور نجم خلف بما استنبطته من النص السابق فقال: "ولكن هذا المنهج التوفيقى – كما ظهر لى من الشواهد التى بـــين يدى – يغلب على البيهقى اســـتعماله فـــى (الآداب) و(الفضـــائل) و(السير والمغازى)، أما فى الأحكام فمنهجه عدم الالتفـــات إلـــى الضعيف والمردود إذا خالف الأحاديث الصحيحة، فإنه كان يركن للصحيح، ولا يعبأ بسواه مما خالفه من الواهيات[٣].

---

(١) الصناعة الإسنادية ص٤٥٥.

(٢) السابق ص٤٥٥.

(٣) الصناعة الإسنادية ص٣٦٩.

وفى مبحث (الحسن) ذكر الدكتور نجم خلف اعتبارات التحسين عند البيهقى وأورد له نصا أشار فيه إلى اعتبارات التحسين عنده، قال البيهقى: "ومما يجب معرفته فى هذا الباب أن تعلم: أن الأخبار الخاصة المروية على ثلاثة أنواع:

- نوع اتفق أهل العلم على صحته.
- أما النوع الثانى من الأخبار، فهى أحاديث اتفق أهل العلم بالحديث على ضعف مخرجها.
- أما النوع الثالث من الأحاديث، فهو حديث قد اختلف أهل العلم بالحديث فى ثبوته: فمنهم من يضعفه بجرح ظهر له من بعض رواته خفى ذلك عن غيره، أو لم يقف من حاله على ما يوجب قبول خبره، وقد وقف عليه غيره، أو المعنى الذى يجرحه به لا يراه غيره جرحا، أو وقف على انقطاعه، أو انقطاع بعض ألفاظه، أو إدراج بعض رواته فى متنه، أو دخول إسناد حديث فى حديث خفى ذلك على غيره. فهذا الذى يجب على أهل العلم بالحديث بعدهم أن ينظروا فى اختلافهم، ويجتهدوا فى معرفة معانيهم فى القبول والرد، ثم يختاروا من أقاويلهم أصحها، والله أعلم"[١].

ثم قال الدكتور نجم – معلقا على النص السابق-: "والحق أن كلام البيهقى فى النوع الثالث يندرج فى التنبيه إلى مادة الحديث الحسن أكثر مما يكشف عن مقاييس الحسن عنده[٢].

أى أن الحديث الحسن يقع فى منطقة وسطى بين المتفق على قبوله والمتفق على رده. ولا يحق لأحد العمل فى هذه المنطقة إلا لمن توفرت فيه شروط النظر والاجتهاد فى قواعد القبول والرد

---

(١) دلائل النبوة ص ١/٣٨ نقلاً عن الصناعة الإسنادية ص٤٦٤.

(٢) الصناعة الإسنادية ص٤٦٤.

بحيث يختار من الأقاويل (أصحها). ثم قال الدكتور نجم: وعلى أية حال فإنه يمكن تنزيل هذا القسم إلى "الحسن لذاته" إذا ما انقدح للبيهقى، الجانب الإيجابى فى هذا الحديث المختلف فيه - بقصد عدم مخالفته وعدم شذوذه وألا يكون معلاً - أما إذا كان العكس فإنه يندرج عنده فى مصاف (الضعيف)، وبهذا يكون الحديث الحسن عند البيهقى ما اشتمل على صفات (الصحيح) واعتباراته بصورة مخففة، ولا سيما فى جهة الضبط والعدالة من الرواة. وقد تحدث البيهقى عن درجة الحسن لغيره وأشار إلي موازينه، فأدرجه فى قسم الضعيف القابل للانتهاض، المشتمل على أخف حالات الضعف، وجعله مقبولا فى ظروف معينة[1]. أى فى حالات بعينها.

والحق أنه - على فرض قبول الحسن لغيره - لم يكونوا يقبلونه كقاعدة عامة مطلقة، إن القاعدة هى قبول الصحيح والحسن، والشذوذ هو قبول الحسن لغيره بشروط.

يدل على هذا أن الشافعى الذى وصلنا أول تعريف للصحيح منه، لم يقبل المرسل- مرسل كبار التابعين الذين بلغوا من الصدق والعدالة درجة كبيرة - إلا بشروط، قبل مراسيل سعيد بن المسيب، لأنها وحدها جاءت مسندة من طرق أخرى[2]... أليس فى إعمال تحسين المروى -لكثرة طرقه- بصفة مطلقة مخالفة لكل حقيقة علمية؟! إنه يُقبل بشروط- وهذا القبول ليس قاعدة - ويُرَدُ ويترك فى الغالب.. أقول هذا بناء على مناهج المتقدمين والواقع العملى لنقد المرويات[*].

---

(١) السابق: نفسه.

(٢) ص١٢٤ من شذرات من علوم السنة للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(*) فى هذا دعوة إلى إفراد الحسن لغيره بدراسة تقوم باستقراء هذا المصطلح ومروياته نظراً وتطبيقاً، أو مجموعة دراسات.

لقد صَّرح المحدثون باستعمال الحسن لغيره فى أبواب بعينها من العلم؛ قال البيهقى: "وضرب لا يكون روايه متهمًا بالوضع، غير أنه عرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط فى رواياته، أو يكون مجهولاً لم يثبت من عدالته، وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول، فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملاً فى الأحكام، كما لا تكون شهادة من هذا صفته مقبولة عند الحكام، وقد يستعمل فى الدعوات، والترغيب والترهيب، والتفسير، والمغازى، فيما لا يتعلق به حكم"(١).

والحق أن فى القرآن – لا فى الحديث الصحيح والحسن لذاته وحدهما- غنية عما عداه فى الترغيب والترهيب وقصص الأنبياء، والتاريخ الإسلامى المبنى على مرويات صحيحة، هل هناك حديث عن الجنة والنار أفضل مما فى الصور المكية يا أيها المحدثون؟! إن فى الحديث الصحيح والحسن لذاته - ناهيك عن القرآن - غنية عن الحسن لغيره فى الوعظ، فرأى البيهقى مردود عليه. ثم قال الدكتور نجم (إن البيهقى ينظر إلى الضعيف نظرة جادة موضوعية، فيها الحزم والاعتدال... أما جانب الاعتدال فهو "قد" يستخدم "الضعيف" فى باب الشواهد والمتابعات ونحوها، لا فى الأصول، وذلك بأن يذكر الحديث أولاً بإسناد نظيف، رجاله ثقات فيجعله أصلاً، ثم يتبع ذلك بإسناد آخر، أو بأسانيد أخر فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد والمتابعة أو لزيادة فيه تدل على فائدة زائدة ليست فى الأصل المعتمد(٢).

---

(١) دلائل النبوة ١/٣٤-٣٨. نقلا عن الصناعة الإسنادية ص٤٦٤-٤٦٥.

(٢) الصناعة الإسنادية ص٤٦٦.

والحق أن الزيادات لا تقبل بإطلاق - قد يكون من فائدتها توضيح لمبهم فى السند الأصلى- يدل على ذلك أنهم أخذوا بالتفصيل فى زيادة الثقة. وقالوا بأن الأصل فى (المدرج) الضعف.

وأنا مع المتقدمين فى إيراد الحسن لغيره فى الشواهد والمتابعات للصحيح، أما أن يحتج بمجموعة من الضعاف، ويقال إنها حسنة لغيرها فهذا قد يقبل فى حالات بعينها لا على الإطلاق.

يدل على ذلك أن الإمام مسلما سلك نفس هذا المنهج فى (صحيحه) فأخرج فى الشواهد لجماعة ليسوا من شرط الصحيح. وكذا الإمام الحاكم فى المستدرك، كما أن الإمام البخارى احتاج لبعض الأحاديث الضعيفة فى معرض الاستدلال على بعض المسائل فى (صحيحه) فأوردها فى الكتاب، إلا أنه أخرجها عن موضوع كتابه، فلم يسقها بصيغة التحديث"[١].

وخلاصة الحديث عن منهج البيهقى أنه اتفق مع البخارى ومسلم وابن حبان - ومن مرت أسماؤهم- الذين يرون الدراية والنقد والتحديث عن الثقات فقط؛ لكنه لم يصب عندما رأى استعمال الضعيف- الذى جاء من طرق، والذى يسميه البعض بالحسن لغيره- فى فضائل الأعمال، أى أنه جمع بين الدقة والتحرى والتساهل، وتابع - دون تحقيق- القائلين بالعمل بالضعيف فى غير الأحكام.

والمتتبع لتاريخ علم الحديث يجد أن البخارى أكثر دقة وتحريا حيث كان يخرج لأصحاب الطبقة الأولى من تلاميذ الشيخ الذين أكثروا عنه ولازموه طويلاً أكثر من غيره، ثم تساهل مسلم وأخرج عن الثانية، وكان يخرج لهم أحيانا فى الشواهد والمتابعات. والشواهد والمتابعات عند مسلم تساوى الحسن لذاته عند

---

(١) السابق نفسه.

المتأخرين، وكان يجعل الحسن لذاته شاهدًا للصحيح أو أن الحسن لذاته يرتقى إلى الصحيح لغيره إذا جاء له شاهد فى نفس درجته، أو يدخله فى الصحيح بشرط عدم الشذوذ وعدم العلة. وما دام المتن غير شاذ أو معل فإنهم يوردونه متساهلين فى الأسانيد - شاهدًا لغيره، أى أن المتن متفق عليه ومادام متن الحسن - الذى خف ضبط رواية- متفقا مع متن الصحيح فإنهم يوردونه فى الشواهد، وأحيانا كانوا ينتقون من رواية الصدوق- الذى يحسن حديثه لذاته- بشرط ألا يخالف أو يشذ عن مرويات الباب، ولا يكون معلاً.

والتساهل السابق نسبى، وتساهل مسلم هو إخراجه للصدوق بشروط كما سبق، ثم جاء المتأخرون وفهموا صنيعه خطأ، فكانوا يأتون بالرواية الضعيفة التى جاءت من طرق وكانوا يحسنونها لغيرها مطبقين قاعدة كثرة الطرق تقوى المروى. لكن هل يوجد دليل عملى على أنه لا يتساهل فى نقد الضعيف ورده؟ نعم: كما سيأتى:

مرويات فضائل القرآن وفضائل الأعمال والأشخاص فى ميزان الاعتدال:-

انتقد الذهبى المرويات الخاصة بفضائل السور قال فى ترجمة "خالد بن يزيد، أبو الهيثم العمرى": "كذبه أبو حاتم، ويحيي... عن أنس - أن النبى ﷺ ركب بغلة فحادت فحبسها، وأمر رجلاً أن يقرأ عليها "قل أعوذ برب الفلق" فسكنت[١].

وإذا كان الراوى السابق كذابًا وساق المتن آنف الذكر؛ فإن الذهبى قال فى (خالد بن طهمان، أبو العلاء الكوفى): "وثق. قال

---

(١) الميزان ١/٦٤٦.

ابن معين: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة. وكان في تخليطه كلما جاءوه به قرأه. قال أبو حاتم: من عتق الشيعة، محله الصدق روى بسنده إلى معقل بن يسار، عن النبي - ﷺ - قال: من قال حين يصبح - ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدًا. قال: من قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة. غريب جدًا"(١). إن الراوى وثقه بعضهم، وغير خافٍ ما فى الثواب من مجازفة وتسوية بين أجر قائل هذه الأذكار وأجر الشهيد.

ومن المرويات التى ردها الذهبى لأنها موضوعة؛ وقد علل سبب بطلان الرواية فقال: "الحرّ بن مالك. أبو السهل العنبرى. أتى بخبر باطل، فقال: حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله -مرفوعا- قال: من سره أن يحبه الله ورسوله فليقرأ فى المصحف. رواه ابن عدى فى ترجمته، فقال: حدثنا ابن بخيت، حدثنا إبراهيم بن جابر، حدثنا الحر بن مالك، فذكره. وإنما اتخذت المصاحف بعد النبى صلى الله عليه وسلم"(٢).

إن رد الذهبى لبعض المنكرات فى فضائل السور لا يعنى أنه ليس هناك أحاديث صحيحة فى فضائل بعض السور، وسوف أذكر أسماء السور أو الآيات التى رد الذهبى مرويات ضعيفة جاءت فيها ومرشدًا إلى مكان هذا النقد، وليس هذا حكمًا عامًا. انظر المثال رقم (٦) حيث إن الشطر الأول وحده صحيح والثانى خطأ.

---

(١) السابق ٦٣٢/١.

(٢) السابق ٤٧١/١.

(١) رد رواية فى كون سورة "البقرة" سنام القرآن[١].

(٢) رد رواية فى كون سورة (الزلزلة) تعدل نصف القرآن[٢].

(٣) سورة (الكافرون) تنجى من الإشراك بالله[٣].

(٤) قراءة صباح يوم الجمعة (هل أتى على الإنسان...) و (ألم تنزيل)[٤].

(٥) آية الكرسى، والفاتحة معلقتان بالعرش[٥].

(٦) "قل هو الله أحد" و "قل يا أيها الكافرون". الأولى تعدل ثلث القرآن والثانية تعدل الربع[٦].

(٧) مرويات فى فضل قراءة القرآن بصفة عامة[٧].

(٨) رد مرويات جاءت فى (المرسلات) و (عم يتساءلون) و (المعوذتين) و (قل هو الله أحد"[٨].

(٩) رد فضائل فى (طه) و (يس)[٩].

(١٠) رد فضائل فى (البقرة) و (آل عمران) [١٠].

(١١) إذا الشمس كورت"[١١].

---

(١) الميزان ٦٣١/١.

(٢) السابق ٥٢٣/١.

(٣) السابق ٤٦١/١.

(٤) ٤٤٤/١.

(٥) ٤٤٠/١.

(٦) ٤١٨/١.

(٧) ٣٢٥/١- ٣٢٦، ٥٦٣/١، ٣٩٤/٢.

(٨) ١٨٦/١-١٨٨.

(٩) ٦٧/١.

(١٠) ص/٤٢٤.

(١١) ٣٩٥/٢.

(١٢) رد مرويات فى فضل سور القرآن بصفة عامة[١].

(١٣) رد مرويات فى فضل (إذا زلزلت) و (قل يا أيها الكافرون)[٢].

(١٤) رد مرويات فى فضل (إذا زلزلت)[٣].

(١٥) رد مرويات فى فضل قراءة (قل هو الله أحد) فى ليلة النصف من شعبان[٤].

(١٦) رد مرويات فى فضل (آية الكرسى)[٥].

(١٧) رد مرويات فى فضل قراءة القرآن بصفة عامة[٦].

(١٨) رد فضائل فى قل هو الله أحد[٧].

(١٩) رد مرويات فى أن (يس قلب القرآن)[٨].

وبذلك يكون الذهبى من القائلين بالتفصيل فى مرويات فضائل السور حيث يقبل الموافق منها لقواعد المرويات ويرد المخالف.

وفى مرويات فضائل الصديق أبى بكر -رَأَىَ الذهبى أن هناك مجازفة فى العدد الذى يخالف طبائع العمران، سابقا ابن خلدون إلى تطبيق هذا المعيار، الذى استفاده الأخير من المحدثين. قال الذهبى: "القاسم بن عبد الواحد بن أيمن... ومن مناكيره ما أنبأونا

---

(١) ٢/١٣٩، ٢/٢٢.

(٢) ٣/١٧٦-١٧٧.

(٣) ٣/٢١-٢٢.

(٤) ٣/٥٦٥.

(٥) ٣/٢٥٠-٢٥١.

(٦) ٤/٢٣٠.

(٧) ٤/٢٧٨.

(٨) الميزان ٤/١٧٢.

عن الصيدلانى وجماعة - أن فاطمة الجوزدانية أخبرتهم... عن عائشة، قالت: فخرت بمال أبى فى الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، فقال النبى صلى الله عليه وسلم-: اسكتى، فإنى كنت لك كأبى زرع لأم زرع، ثم أنشأ رسول الله ﷺ... قلت: ألف الثانية باطلة قطعا؛ فإن ذلك لا يتهيأ لسلطان العصر"[١].

وفى مرويات فى فضل الجهاد والحراسة قال: "سعيد بن خالد بن أبى طويل، عن أنس - رفعه: مرسى ليلة على الساحل أفضل من عمل ألف سنة، السنة ثلاثمائة وستون يوما، اليوم مقداره ألف سنة، فهذه عبارة عجيبة لو صحت لكان مجموع ذلك الفضل ثلاثمائة ألف ألف سنة وستين ألف ألف سنة"[٢].

وفى فضائل الأنهار رد رواية فى الفرات تقول: ما من يوم إلا ينزل من بركات الجنة فى الفرات[٣]. ورد رواية فى فضل مسح الركن لأن "من مسح الركن فكأنما وضعها فى كف الرحمن عز وجل.. ففيها تشبيه وتجسيم[٤].

وفى هذا القدر كفاية على أن المرويات مهما كان موضوعها والمجال الذى تنتمى إليه لابد من نقدها سواء كانت تتعلق بالتفسير أو فضائل القرآن أو الأنهار أو الأماكن[٥].أو الأشخاص حتى الصحابة. ويبقى مجال الوعظ، هل تساهل الذهبى فيه أم لا؛ والشواهد والأرقام هى خير دليل.

---

(١) السابق ٣/٣٧٥. ١٩٣ وانظر أخرى فى فضائل عثمان ١/٢٠٠. وآخر فى فضل علىّ وأنه مخلوق من نور، هو والنبى ﷺ ٤/٥٢٣.

(٢) السابق ٢/١٣٢.

(٣) ٢/٣٨-٣٩.

(٤) ٣/٦١٧.

(٥) وفى فضائل البلاد انظر رده لروايتى: (الجيزة روضة من رياض الجنة"، و "مصر خزائن الله فى أرضه" ١/٨٢الميزان.

الذهبى ومرويات الوعظ:

جاء فى ترجمة (أبان بن سفيان المقدسى) روايتان ردهما الذهبى، حيث ساق قول ابن حبان: روى أشياء موضوعة. والروايتان هما:-... عن أبان بن سفيان، عن أبى حازم فى قوله تعالى **(وكان تحته كنز لهما)**(*)، قال: لوح من ذهب فيه: عجب لمن يعرف الموت كيف يفرح... الحديث.

وقال أيضا: "ومن بلاياه ما روى... عن عمران بن حصين - مرفوعا: من خرج يطلب بابا من العلم لينتفع به ويعلمه غيره كتب الله له بكل خطوة عبادة ألف سنة... الحديث[1].

- وقال فى ترجمة "أبان بن مُحبَر": "شيخ متروك. يروى عن نافع، عن ابن عمر- مرفوعا: كم من حوراء عيناء، ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلها من تمر ثم ذكر حديثا آخر، وقال: وهما جميعا باطلان"[2].

- وقال فى ترجمة "أبان بن نهشل" - ناقلاً عن ابن حبان قوله: "لا تجوز الرواية عنه بحال إلا على سبيل الاعتبار..." روى عن حذيفة - مرفوعًا: إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاث فى الدنيا: يذهب البهاء، ويقطع الرزق، ويورث الفقر. وثلاث فى الآخرة: سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود فى النار[3].

(*) سورة الكهف آية ٨٢.

(١) الميزان ١/٨.

(٢) السابق ١/١٥.

(٣) السابق نفسه مع مراعاة أن مصطلح الاعتبار هنا لا يعنى أنه يصلح فى الشواهد والمتابعات بدليل كلمة (بحال) وهو يعنى التنبيه إلى رد مروياته؛ لأنها منكرة؛ حتى لا يغتر بها الناس.

- وقال: "إبراهيم بن حرب العسقلانى. قال العُقيلى: حدث بمناكير منها... عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: ليبعثن الله أقواما يوم القيامة تتلألأ وجوههم، يمرون بالناس كمر الريح، يدخلون الجنة بغير حساب؛ الذين ماتوا فى الرباط"(١).

مع مراعاة أن الراوى من عسقلان. وفى (مرو) و (عسقلان) أحاديث موضوعة لحث الناس على الجهاد وإخراج أعداء المسلمين منها - الحروب الصليبية فى الشام (التى منها عسقلان)-.

- وقال الذهبى: "إبراهيم بن عبد الله بن خالد... عن نافع، عن ابن عمر-مرفوعا: من شرب مسكرا نجس ونجست صلاته أربعين صباحًا، فإن مات فيهن مات كافرًا... قلت هذا رجل كذاب، قال الحاكم: أحاديثه موضوعة"(٢).

- إبراهيم بن عبد الله بن محمد... عن مالك بن دينار، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يوحى إلى الحفظة لا تكتبوا على الصوام بعد العصر سيئة"(٣).

- إبراهيم بن عبد الواحد البكرى. لا أدرى من هو ذا. أتى بحكاية منكرة... عن معمر، عن قتادة، عن أنس - مرفوعا: قال: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرًا منقاره من ذهب وريشه من مرجان....(٤).

- أما الرواية التالية فهى على لسان جمهور الخطباء يقولونها فى معظم الخطب، وهى من بلايا راويها، أحمد بن الحسن بن أبان

---

(١) السابق ٢٦/١.
(٢) السابق ٤١/١.
(٣) السابق:.نفسه.
(٤) السابق ٤٧/١.

المصرى،... عن أبى هريرة بحديث: كيف أصبحت يا حارثةُ؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا. قال فما حقيقة إيمانك؟ قال: صرفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى، وأظمأت نهارى. وكأنى أنظر إلى ربى على عرشه بارزًا... الحديث(١). وقد تطرقت الرواية إلى غير ما أراد لها الواعظون وهو صفات الله تعالى.

- أحمد بن الحسن أبو حنش... اتهمه الخطيب بوضع... عن عائشة- مرفوعًا: من حفظ القرآن شفع فى عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار(٢).

- أحمد بن الحسين الشافعى، الصوفى، متهم، روى عن ابن المقرى حديثا كذبا... حدثنى ابن عباس، قال لى رسول الله ﷺ: من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده. مسلسلاً بقوله: حدثنا، وهو آخذ بيدى(٣).

- أحمد بن خالد القرشى. لا يعرف، وأتى بخبر باطل... عن مالك، عن نافع، عن أبى عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: خيار أمتى علماؤها، وخيار علمائها حلماؤها؛ ألا وإن الله يغفر للعالم الرحيم أربعين ذنبًا قبل أن يغفر للجاهل البذئ(٤).

ويلاحظ أن هذه المرويات جاء كثير منها بسلسلة سند (مالك: عن نافع، عن ابن عمر) التى اعتبرها النقاد من أصح الأسانيد.

ورد لأحمد بن داود بن عبد الغفار رواية... عن نافع، عن ابن عمر، أن النبى قال: مفتاح الجنة المساكين والفقراء، هما جلساء الله(٥).

---

(١) السابق ١/٩٠.
(٢) السابق ١/٩١.
(٣) السابق ١/٩٤.
(٤) السابق ١/٩٥.
(٥) الميزان ١/٩٦.

- أحمد بن العباس، أبو بكر الهاشمى. حدث بمناكير... عن ابن عباس - مرفوعًا: أربعة لعنتهم لعنهم الله، وكل نبى مجاب الدعوة: الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله؛ والمستحل من عترتى ما حرم الله، والمتعزز بالجبروت ليذل من أعز الله(١).
- أحمد بن عبد الله بن خالد الجويبارى... ومن طاماته... مرفوعا: حضور مجلس عالم خير من حضور ألف جنازة، ومن ألف ركعة، ومن ألف حجة، ومن ألف غزوة(٢).
- أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن البزى... عن أنس: مر رسول الله ﷺ على مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون، فقال: أكثروا ذكر هازم اللذات(٣). قال أبو حاتم: هذا حديث باطل، لا أصل له، نقله عنه ولده عبد الرحمن. أحمد: لين الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، لا أحدث عنه. وقال ابن أبى حاتم: روى حديثا منكرًا.

وابن أبى حاتم الذى يرى أنه يتساهل فى مرويات الذين يغلب على حديثهم الوهم والغفلة، ولم يوصموا بالكذب توهما؛ فيقبل حديثهم فى المواعظ الحسنة والترغيب والترهيب- كان عليه أن ينظر إلى مثلِ الروايةِ السابقة ونقدِ أبيه لها ولا يعمم القول السابق(٤). إن نظرة عجلى منه فى كتب الرجال كانت ستؤديه إلى الأخذ بالتفصيل وعدم إطلاق القول بالتساهل فى مرويات الوعظ.

---

(١) السابق ١/١٠٦.
(٢) ١/١٠٧.
(٣) ١/١٤٤
(٤) تاريخ ابن معين ١/٩٨، ١٠٥.

- أحمد بن ميْثَم... عن سليمان بن بريدة، عن أبيه– مرفوعا: من قرأ القرآن ثلاثة: رجل قرأه فاتخذه بضاعة فاستجر به الملوك، واستمال به الناس، ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه وضيع حدوده، كثر هؤلاء من قراء القرآن، لا كثرهم الله. ورجل قرأ القرآن، فوضع دواء القرآن على قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، فأقاموا به مساجدهم، بهؤلاء يدفع الله البلاء، ويزيل الأعداء، وينزل غيث السماء، فوالله لهؤلاء من قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر"[١].

ومع أن أزهر بن سنان، روى له الترمذى، وقال ابن عدى: ليست أحاديثه بالمنكرة جدًا أرجو أنه لا بأس به أى أن مروياته التى لم يخالف فيها حسنة ومحتج بها؛ إلا أن الذهبى رد روايتين له فى الوعظ هما:

١- إن فى النّار جُبّا يقال له هبهب، حق على الله أن يسكنه كل جبار، فإياك أن تكون متكبرًا يا بلال.

٢- من قال فى السوق لا إله إلا الله وحده... وذكر الحديث[٢].

- إسحاق بن عبد الواحد القُرَشى الموصلى. قال أبو على الحافظ: متروك الحديث... عن حذيفة – مرفوعًا: النظرة سهم من سهم إبليس مسموم، فمن تركها لله آتاه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه[٣].

أما إسحاق بن نجيح الملطى فهو من أكذب الناس، ومعظم مروياته فى الوعظ ذكروا منها:... عن عائشة – مرفوعا: ردوا مذمة السائل، ولو بمثل رأس الذباب... عن ابن عباس مرفوعا: ما زنى عبد فأدمن إلا ابتلى فى أهله.

---

(١) الميزان ١/١٦٠.
(٢) الميزان ١/١٧٣.
(٣) السابق ١/١٩٨٤.

وبه – السند السابق–: "من منع الماعون لزمه طرف من البخل، ومن حفظ على أمتى أربعين حديثا. وعفوا تعف نساؤكم. وله: لو يعلم الناس ما فى الصف الأول المقدم والأذان وخدمة القوم فى السفر لاقترعوا... عن عمران – رفعه. و"لُعن الناظر والمنظور. قال ابن عدى: هذه كلها وضعها"[1].

- إسحاق بن وهب... عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر– مرفوعًا: لَرَد دَانِق من حرام يعدل عند الله سبعين ألف حجة[2].
- إسماعيل بن إبراهيم... ضعفه غير واحد... عن عمار بن ياسر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن لله ملكا أعطاه سمع العباد كلهم، وإنه ليس من أحد يصلى علىّ صلاة إلا بلغنيها، وإنى سألت ربى ألا يصلى علىّ أحد إلا صلى الله عليه عشرة أمثالها. نفرد به إسماعيل إسنادًا ومتنًا[3].
- أغلب بن تميم. قال البخارى: منكر الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء... عن أنس مرفوعا: يجاء بالإمام الجائر فتخاصمه الرعية فيفلجوا عليه، فيقال له: سُد عنا ركنا من أركان جهنم[4].
- أيوب بن سويد... عن أبى هريرة: سمعت النبى ﷺ يقول: إذا تناول العبد كأس الخمر فى يده ناداه الإيمان: نشدتك الله أن تدخله علىّ، فإنى لا أستقر أنا وهو؛ فإن شربه نَفَرَ منه نفرةً لم

---

(١) الميزان ٢٠٢/١.
(٢) السابق ٢٠٣/١.
(٣) السابق ٢١٣/١.
(٤) ٢٧٤/١.

يَعُد إليه أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه[1]. والحق أن التساهل امتد إلى أحاديث الأحكام، ولم يسكت الذهبى عن نقدها. قال الذهبى: " إسحاق بن إبراهيم الحُنينى. عن مالك وغيره. صاحب أوابد. قال العقيلى"... حدثنا الحنينى... عن أبى هريرة، قال. جاء جبريل إلى النبى ﷺ يوم الأضحى، فقال: كيف رأيت نسكنا هذا؟ فقال: تباهى به أهل السماء، واعلم يا محمد أن الجذع من الضأن خير من المسنة من المعز ومن المسنة من البقر، وأعلم أنّ الجذع من الضأن خير من المسنة من الإبل، ولو علم الله ذبحا هو أفضل منه لفدى به إبراهيم عليه السلام. قال العقيلى: أما حديث مالك فلا أصل له - حديث سابق على هذا- مضمونه: أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم كريم- وأما حديث هشام فيروى عن زياد ابن ميمون- وكان يكذب- عن أنس بن مالك. قال البخارى: فى حديثه نظر. وقال النسائى: ليس بثقة[2].

---

(١) الميزان ١/٢٨٨، وللمزيد من نقد الإمام الذهبى لمرويات الوعظ انظر ١/٢٩١ (١٠٩٠)، ٣٠٧ (١١٥٩)، ٣١٠ (١١٢٣)، ٣١٢ (١١٨١)، ٣١٧ (١١٩٤)، ٣٦٦ (١٣٧٢)، ٣٦٧ (١٣٧٥)، ٣٨٧ (١٤٣٢)، ٣٩١ (١٤٥٦) حيث قال الذهبى: "جرثومة بن عبد الله، أبو محمد النساج. عن ثابت وجماعة. وعنه أبو سلمة بخبر منكر فى فضل التسبيح، فقال البخارى فى كتاب الضعفاء: قال لنا موسى: حدثنا جرثومة، سمعت ثابتا، حدثنى مولى أم هانى عن أم هانئ أنّ النبى ﷺ قال لها: سبحى مائة عدل مائة رقبة.، ٣٩١ (١٤٥٨) ص٤٠٤ (١٤٩٣)، ٤١١ (١٥٠٥)، ٤١٢ (١٥٠٩)، ٤١٧ (١٥٣٤)، ٤٢٠ (١٥٤٤)، ٤٣٨ (١٦٣١)، ٤٤٧ (١٦٧١)، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ (١٦٩٤).

(٢) الميزان ١/١٧٩-١٨٠، وانظر للمزيد من التساهل فى مرويات الأحكام، ١/١٧٧ (٧١٨)، ١٦٧ (٦٧٥)، ١٣٩(٥٥٢)، ١٣٦ (٥٤٧)، ١١٩ (٤٦٥)، ٧٠ (٢٤١)، ٥٣ (١٧١)، ٤٢ (١٢٧)، ٣٣ (٩٥)، ٢٩١ (١٠٩٠)، ٢٩٣ (١١٠٠)، ٢٩٢ (١٠٩٦)، ٢٩٩ (١١٣٣)، ٣٠١ (١١٤٠)، ٣٠٣ (١١٤٩)، ٣١٥ (١١٩٠)، ٣٥١ (١٣١١)، ٣٤٦ (١٢٨٦)، ٣٣٣ (٢٥٠)، ٣٧٣ (١٤٠١)، ٣٨٥ (١٤٢٨).

مرويات التفسير فى كتب الجرح والتعديل (الميزان نموذجًا):

رأيت الذهبى يطبق نظرية عدم التساهل فى المرويات بأنواعها، إنه لا يتساهل فى التفسير، وينقد أى رواية مهما كان نوعها ويصدر عليها الحكم اللائق بها؛ لذلك سوف أستقرىء هذه المرويات استقراء تاما وأدرسها وأبين ما توصلت إليه؛ قال الذهبى: "إبراهيم بن عطية الثقفى... البخارى: عنده مناكير... النسائئ: متروك. أحمد: لا يكتب حديثه. يحيى: لا يساوى شيئا. وقيل: أحاديثه دون العشرة، منها ما روى... عن ابن عمر: عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾- قال: ألف ألف ضعف. قال أحمد: كان يلى السواد، وكنا نكتب عنه قال: ولا ينبغى أن يروى عنه"(١).

كان باستطاعة الذهبى أن يتساهل ويقول: "الرواية فى التفسير وفضائل القرآن فلا بأس من روايتها؛ لكنه أوردها فى ترجمته حاكما عليها بأنها منكرة.

إن معظم مرويات التفسير تتعلق بالأحكام والحقائق التاريخية الإسلامية كالسيرة النبوية فلا بد من غربلتها للوصول إلى الصحيح وتمييزه من الضعيف، والرواية القادمة تدل على مدى خطورة التساهل فى مرويات التفسير؛ قال الذهبى: "الحسن بن على الهمدانى. روى عنه إسماعيل بن بنت السدى. لا يدرى من ذا. جاء بحديث منكر عند إسماعيل، عنه، عن حميد بن القاسم بن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أبيه، عن عبد الرحمن فى قوله: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ قال: هم عشرة من قريش كان

---

(١) انظر سورة البقرة الآية (٢٤٥) وميزان الاعتدال ٤٩/١.

أولهم إسلاما على بن أبى طالب[1]. ولقائل آخر أن يقول ما يريد من أسماء الصحابة الذين يود أن يشايعهم.

أما الحسين بن داود، أبو على البلخى فقد "قال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع... عن الزهرى فى قوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ - قال بستانان فى الجنة[2].

وقد تعدى التساهل فى مرويات التفسير والفضائل إلى أحاديث الأحكام، قال الذهبى: "سلام بن رزين قاضى أنطاكية عن الأعمش، لا يعرف، وحديثه باطل. وقيل سلام بن زيد. قال العُقيلى: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثت أبى بما حدثنا خالد بن إبراهيم... عن ابن مسعود، قال: بينما أنا والنبى ﷺ فى طريق إذا برجل قد صُرع، فدنوت منه، فقرات فى أذنه، فجلس، فقال النبى ﷺ: وماذا قرأت؟ قلت: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا ﴾. قال: والذى نفسى بيده لو قرأها موقن على جبل لزال. فقال أبى: هذا موضوع؛ هذا حديث الكذابين[3].

إن الحديث يتعلق بواقع عملى هو مرضى المسلمين وعلاجهم، وبما أن الحديث عن الصرع والحديث موضوع، إذن كان المسلمون فى القديم على وعى بأن حالات الصرع لا يتم علاجها بالقرآن، أو على الأقل بالقرآن وحده، نعم قراءة القرآن تطيب النفس وتطمئن القلوب وتشيع جوًا من السكينة لكن القرآن وحده لا يكفى[*].

---

(١) انظر سورة التوبة الآية (١٠٠) وميزان الاعتدال ١/٥٠٥.

(٢) انظر سورة الرحمن الآية (٤٦) وميزان الاعتدال ١/٥٣٤. وللمزيد انظر السابق ١/٧٠٦، ٢١٩، ٢٠٨، ١٨٩، ٨٧، ٧٠.

(٣) سورة المؤمنون آية ١١٦ والميزان ٢/١٧٥.

(*) قال الذهبى فى الطب النبوى: "وفى هذا سر لطيف. أى لا يكتفى بالقرآن وحده، ويبطل السعى والعمل، بل يعمل بما أمر، ويسعى فى الرزق كما قدر، ويسأل المعونة". قاله بعد إيراده حديث، "عليكم بالشفاءين" القرآن والعسل. ص٢١٦ طبعة دار البشير، مصر.

أما الرواية التالية ففيها كفاية فى الرد على القائلين بالتساهل فى مرويات التفسير، جاء فى ترجمة سويد بن سعيد، الذى روى له مسلم واحتج به- فى غير هذه الرواية- وانتقى الصحيح منها- أنه قال: "حدثنا على بن مسهر، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: صاحب الذبح إسحاق، وقوله: ﴿ وَبَشَّرْنَهُ بِإِسْحَقَ ﴾، أى بنبوته[1].

ولم يقف الأمر عند التساهل فى حقائق التاريخ بل تعداه إلى تجسيم الخالق وذكر (المنكب).

جاء فى ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار المدنى، الذى روى له البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، وليس بعد هذا توثيق، وقال الذهبى: صالح الحديث، وروى له الرواية التالية على أنها من منكراته، قال: "أبو النضر هاشم بن القاسم،... عن أبى صالح، عن أبى هريرة -أن رسول الله ﷺ قال: الرحم شجنة[2]. تعلقت بمنكبى الرحمن، فقال لها: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته. وقد أخرجه البخارى بلفظ آخر من حديث سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، وأخبرناه جماعة منهم عبد الله بن قوام... عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم... فقال: مه. قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك! قالت: بلى يا رب. قال:...قال أبو هريرة: اقرعوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾، تابعه ابن المبارك، وحاتم بن إسماعيل، عن معاوية"[3].

---

(١) سورة الصافات آية (١١٢) والميزان ٢/٢٥١.

(٢) الشجن: الغصن المشتبك انظر مادة (شجن) فى المعجم الوجيز والمعنى أن الأرحام فى علاقتها بعضها ببعض كالأغصان المتشابكة.

(٣) الميزان ٢/٥٧٣، وسورة محمد آية (٢٢).

لقد رضى الذهبى صحة رواية البخارى، وعرض عليها رواية عبد الرحمن السابقة ورأى أن (المنكب) مخالف لرواية البخارى.

ولقد بلغ بعض الرواة درجة من التساهل حتى قالوا بعودة النبى بعد وفاته، جاء فى ترجمة عبد الغفار بن القاسم، أبو مريم الأنصارى) أنه "رافضى. ليس بثقة قال على بن المدينى: كان يضع الحديث"... قال أبو داود: حدثنا عبد الواحد بن زياد، سمعت أبا مريم يروى عن الحكم عن مجاهد فى قوله: لرادك إلى معاد- قال: يرد محمدًا ﷺ إلى الدنيا حتى يرى عمل أمته. قال عبد الواحد: قلت له: كذبت. قال: اتق الله: تكذبنى! قال أبو داود: وأنا أشهد أن أبا مريم كذاب، لأنى قد لقيته وسمعت منه، واسمه عبد الغفار بن القاسم... كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال....[١]. أى أن ليس له عذر فى تحديثه بهذه الرواية المنكرة.

وها هو ذا الذهبى يرد رواية أرودها ابن ماجه فى سننه تتعلق بتفسير آيات الأحكام، فى ترجمة (عتبة بن يقظان)، وقال فيه النسائى: غير ثقة. وقال على ابن الحسين بن الجنيد. أورد الذهبى روايته: ".... عامر بن مدرك.... عن ابن مسعود، عن النبى ﷺ، قال: ما أحسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله. قلنا يا رسول الله، ما أثابه الله؟ قال: إن كان وصل رحما أو تصدق أو عمل حسنة أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذلك. قلنا: فما أثابه فى الآخرة؟ قال: عذابا دون العذاب. ثم قرأ: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾. ثم قال الذهبى: عامر بن مدرك صدوق، والخبر منكر"[٢].

---

(١) الميزان ٢/٦٤٠، وسورة القصص آية (٨٥). وللمزيد انظر الميزان ٢/٥٨٢، ٥٥٠، ٤٩١، ٤١٤، ٤١٣، ٤٢٢، ٢١٤، ٢٠٩، ١٧٩، ١٤٤، ١٢٨، ٨٥.

(٢) الميزان ٣/٣٠، وسورة غافر الآية (٤٦).

وإذا كانت مرويات صلة الرحم ثابتة بنص القرآن والسنة الصحيحة والرواية فيها حث على الفضائل، لماذا لا يتساهل الذهبى والرجل ليس ضعيفا بل صدوق، إن فى الرواية مبالغة، وفيها أن الله يثبت الكافر مثلما يثبت المؤمن، ومساواة قاطع الرحم بفرعون وملئه، إن الذهبى لا يتساهل فى مرويات التفسير حتى لو كانت من ثقة أو صدوق، وهذا هو الحق والصواب. إن مرويات التفسير لا تقل عن مرويات الأحكام فى أنه ينبغي أن تمر على موازين النقد، ويبين المرفوع منها من الموقوف، قال الذهبى: "عكرمة بن إبراهيم الأزدى.... قال يحيى، وأبو داود: ليس بشىء. وقال النسائى: ضعيف. وقال العقيلى: فى حفظه اضطراب". روى بسنده إلى (مصعب بن سعد) عن أبيه: سألت رسول الله ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾؟"قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. رواه سفيان، وحماد بن زيد، وأبو عوانة، عن عاصم بن بهدلة، عن مصعب، عن أبيه قوله. ورواه الأعمش، عن مصعب كذلك"[١].

والتساهل أدى إلى إيراد مرويات تتعلق "بالفلك" والدعوة إلى قيام هذا العلم على الخرافة لا الدراسات العلمية، أنكر الذهبى الرواية التالية وردها، فقال: "العلاء ابن زيدل وبه: فمحونا آية الليل–قال: السواد الذى فى القمر"[٢].

إن مرويات الفضائل تجاوزت المهمة التى ناطها بها المتساهلون إلى مهمة أخرى هى التشريع للمسلمين وابتداع الأحكام، وهذا أمر لا يرضاه الذهبى، قال: " عمر ابن عبد الله... له حديثان منكران: من صلى بعد المغرب ست ركعات. ومن قرأ الدخان فى ليلة...

---

(١) سورة الماعون آية (٥) والميزان ٣/٨٩.

(٢) سورة الإسراء آية(١٢) والميزان ٣/١٠٠.

وهاه أبو زرعة. وقال البخارى: منكر الحديث"[١]. وليست كل رواية جاء بها الذهبى - تتعلق بالتفسير- فى الميزان منكرة وضعيفة إنه ينبغى الأخذ بالتفصيل والحكم على كل رواية بما يليق بها، قال: "عمر بن عبد الرحمن ابن محيصن... ما علمت به بأسًا في الحديث. وقد احتج به مسلم فيما رواه عن محمد ابن قيس، عن أبى هريرة فى قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾. الحديث"[٢].
ومن المرويات التى وردها الذهبى وتتعلق بالتفسير وفضائل القرآن الرواية التالية. قال: (مَخلد أبو الهُذَيل العنبرى البصرى... عن ابن عمر، عن عثمان: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير قوله: له مقاليد السموات والأرض - فقال: يا عثمان، ما سألنى عنها أحد قبلك. تفسيرها: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، واستغفر الله. ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير. يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير- فيها من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وكمن حج واعتمر... الحديث. قلت: هذا موضوع فيما أرى"[٣].

وبعد إحصاء المواطن الخاصة بمرويات التفسير فى ميزان الاعتدال اتضح أنها (٧٧) رواية منقودة تخص التفسير. منها مرويات لرجال احتج بهما البخارى ومسلم؛ أى أن القول بالتساهل

---

(١) الميزان٣/٢١١.
(٢) سورة النساء آية (١٢٢) والميزان ٣/٢١٢.
(٣) الميزان: ٤/٨٥ وانظر أيضا: ٤/٧٨، ٧٥، ٥٢، ٣٣، ٩٢، ١٠٢، ١١١، ١٨٧٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠٥، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٥٤، ٥٢٢، ٤٧١٤، ٣/٣٥، ٥٣، ٩٧، ١٠٥، ١١٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٦، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٧٧، ٢٩٥، ٣٥١، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٣٩، ٦٦١.

فى التفسير وإيراد المرويات غير الصحيحة أمـــر يأبـــاه الواقـــع العملى؛ لأن الوضاعين استغلوا هذا التساهل فى روايـــة المنـــاكير والأكاذيب فى آيات الأحكام وغيرها.

كما أن الذهبى فى تلخيصه لمستدرك الحاكم راعى التفصيل فى مرويات التفسير حيث انتقد مرويات تساهل الحاكم وأوردها فـــى مستدركه. إن نقد الذهبى لهذه المرويات يدل دلالة قاطعة على أنه لا يتساهل فى مرويات التفسير فهى عنده مثل مرويات الأحكـــام، الكل شرع، والتساهل سوف يـــؤدى إلـــى شـــيوع الإســـرائيليات والمنكرات والخرافات والأساطير فى كتـــب المفســـرين. إن نقـــد الذهبى لهذه المرويات دعوة لغيره من العلماء إلى عدم التساهل فى أى رواية مهما كان موضوعها(*) لأن هذا ذريعة إلى دخول غيـــر الصحيح فى هذا الدين.

روى الحاكم بسنده... عن حمران بن أعين... عن أبى الأسود الديلى، عن أبى ذر ﷺ قال: جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبئ الله فقال رسول الله ﷺ:"لست بنبئ الله لكنى نبى الله". هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبى فى التلخيص: بل منكر لم يصح، قال النسائى: حمران ليس بثقة. وقال أبو داود: رافضى روى عن موسى بن عبيدة، وهو واه

(*) لقد تسرب التساهل فى مرويات الوعظ والتفسير إلى آيات الأحكام وكتب التوحيد التى تدرس صفات الله وأسماءه وعصمة الأنبياء، انظر كتاب (ضـــعيف كتـــاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمى للشيخ صغير بن علـــى الشـــمرى ص١٢، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٧، ٢٩، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧ أى أن العدد (٢٩) حديثا ضعيفا أوردها الشيخ محمد عبد الوهاب فى كتاب التوحيد له – وهو من هو؟! – فما بالك بغيره؟! منها (٢) حديثان موضوعان ص٤٦، ٣٩ وحديث لا أصل له ص٤٢.

ولم يثبت أيضًا عنه عن نافع عن ابن عمر، قال: ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم[1]. وقال الذهبى فى حديث آخر، سنده عند الحاكم: "حدثنا أبو على الحسن بن على الحافظ، انبأنا محمد بن الحسين بن مكرم، ثنا نصر بن على الجهضمى، أنبأنا بكار بن عبد الله، ثنا محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف،...) وقال الذهبى: لا والله، العوفى مجمع على ضعفه، وبكار ليس بعمدة، الحديث واه منكر[2].

وقال فى حديث آخر سلسلةُ سندِه كما روى الحاكم: (حدثنا أبو سعيد أحمد ابن يعقوب الثقفى، ثنا إبراهيم بن يوسف الهسنجانى "ثنا هشام بن خالد الأزرق، ثنا إسماعيل بن قيس..."- قال الذهبى: "إسماعيل بن قيس من ولد زيد بن ثابت: ضعفوه"[3].

- وقال فى حديث آخر: بل واه[4].- وقال فى آخر: "إسماعيل بن قيس ضعفوه"[5].- وقال: "يحيى بن راشد. ضعيف[6].- وقال: هارون -ابن حاتم المقرى- تركه أبو زرعة[7].- وقال: "سلام ابن سليمان نزل دمشق: واه[8].- وقال: "إسناده مظلم"[9]. - وقال: لا

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى، مع تضمينات الذهبى فى التلخيص جـ٢/٢٥١ (٢٩٠٦) دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(٢) السابق ص ٢٥٢ رقم ٢٩٠٨.

(٣) السابق ٢/٢٥٥[٢٩١٨].

(٤) السابق ص ٢٥٦ [٢٩٢١].

(٥) رقم ٢٩٢٢.

(٦) رقم ٢٩٢٣.

(٧) ٢٩٣٩.

(٨) ٢٩٤١.

(٩) ٢٩٤٧.

والله هارون بن حاتم: هالك[1](*).

ومجموع المرويات التى ناقش الذهبىُّ نقدَ الحاكم لهـــا (١٣٩) رواية مردودة من (١١١٩) رواية خاصة بالتفسير، ومـــن الـــ (١٣٩) رواية ستُ (٦) روايات موضوعة.

ووافق الذهبى الحاكم على أن هناك (٣٠٢) رواية على شـــرط البخارى ومسلم، و (١٧) على شرط البخـــارى، و (١٠٦) علـــى شرط مسلم، و (٣٩٨) صحيحة، وسكت الذهبى عن (٥٤) روايـــة وسقط من التلخيص (١١) رواية، وأحال الذهبى فى نقـــده علـــى مواضع أخرى (٢٤) مرة حيث يقول (مر) أو (تقدم).

وحكم على رواية بأنها جيدة (رقم ٣٢٨٦)، وحكم على أربعـــة بأنها مراسيل، وحكم على واحدة بالإدراج (رقم ٣٢٧٧)، أى أنـــه

---

(١) ٢٩٢٩، ٢٩٥٩

(*) انظر للمزيد ٢٩٦٣، ٢٩٧٠، [وهو موضوع]، ٢٩٧٨، ٢٩٧٤، ٢٩٨٠، ٢٩٨٢، ٢٩٨٦، ٢٩٩٦،٢٩٨٧، ٣٠١٠، ٣٠١١، ٣٠١٤، ٣٠١٥، ٣٠١٦، ٣٠٢٨، ٣٠٤٢، ٣٠٦١، ٣٠٧٧، ٣٠٨٤، ٣١٠٦، ٣١٠٧، ٣١١٨، ٣١٣٤، ٣١٣٧، ٣١٤٤، ٣١٤٧، ٣١٤٨، ٣١٥٧، ٣١٦١، ٣١٧٣، ٣١٨٠، ٣١٨١/ ٣١٨٦، ٣٢٢٦، ٣٢٣٠، ٣٢٧٧،٣٢٣٤، ٣١٨١، ٣٢٩٤، ٣٣٨٧، ٣٣٨٩، ٣٣٩٢، ٣٣٩٧، ٣٤٠٢، ٣٤٠٣، ٣٤٠٨، ٣٤٢٥، ٣٤٣١، ٣٤٣٣، ٣٤٤١، ٣٤٤١، ٣٤٤٣، ٣٤٤٦، ٣٤٤٧، ٣٤٦٢، ٣٤٦٧، ٣٤٦٨، ٣٤٧٧، ٣٤٧٨، ٣٤٧٩، ٣٤٨٠، ٣٤٩٤ [موضـــوع] ٣٥٠٥، ٣٥١٥، ٣٥٣٢، ٣٥٤٧، ٣٥٥٥، ٣٥٥٦، ٣٥٥٧، ٣٥٦٢، ٣٥٧٧، ٣٥٨٣، ٣٥٩٣، ٣٦٠٥، ٣٦١٤، ٣٦٢١ [موضـــوع] ٣٦٤١، ٣٦٤٤، ٣٦٥٦، ٣٦٧٦، ٣٦٨٠، ٣٦٨٣، ٣٦٨٧، ٣٦٩٨، ٣٧١٥ [موضـــــوع]، ٣٧٢١، ٣٧٢٥، ٣٧٢٢، ٣٧٦٩، ٣٧٧١٤، ٣٧٧٤، ٣٧٨٦، ٣٧٩٠، ٣٧٩٩، ٣٨١١، ٣٨١٧، ٣٨١٨، ٣٨٢٠، ٣٨٢٨ [موضـــوع]، ٣٨٣٢، ٣٩٦١، ٣٨٦٧، ٣٨٨٠، ٣٨٨٥، ٣٨٨٩، ٣٩٠٧، ٣٩١٢، ٣٩١٣، ٣٩٢٥، ٣٩٤٣، ٣٩٥٠ (مرســـل)، ٣٩٥٥ (مرســـل، ٣٩٦٥، ٣٩٦٦ (مرســـل ٣٩٦٨ (مرسل)، ٣٩٧٥، ٣٩٧٧ (منقطع)، ٣٩٨١، ٣٩٨٥.

تعامل مع مرويات التفسير -كما في مستدرك الحاكم- بنظرة تفصيلية تعطي كل رواية حقها وعاملها معاملة مرويات الأحكام: الصحيح مقبول، والضعيف مردود، والكل يخضع لقواعد القبول والرد. وبذلك يكون الذهبي من الذين تبنوا موقفا ضد موقف القائلين بالتساهل في مرويات التفسير وهذا شئ أتبناه، وأدعو إليه وهو دليل عملي على خطأ وجهة النظر المتساهلة.

ويؤيد صنيع الذهبي أن هناك أحكامًا جاءت في صورة ألفاظ، من هذه الأحكام ما قاله ابن المبارك في (مقاتل بن سليمان الخراساني) المفسر- قال فيه: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال: "ارم به"[1]. واللفظ عده الشيخ مصطفى إسماعيل من ألفاظ الجرح الشديد جدًا[2].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٨٠/١٠.

(٢) شفاء العليل ص٢٢٣.

كتاب إتحاف المسلم ليوسف بن إسماعيل النبهانى

دراسة منهجية وموضوعية وإحصائية

ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المحدثين -المدققين منهم- لم يقبلوا القول بأن الحديث الضعيف يعمل به فى التفسير والوعظ والفضائل؛ لأن هذا التساهل أدخل إلى تفسير آيات القرآن مرويات ضعيفة وموضوعة وأحاديث خرافة جاءت أسفل آيات القرآن الكريم، كما أن الضعف بأنواعه امتد إلى أحاديث الأحكام نتيجة لهذه النظرة. والأقوال النظرية وحدها أحيانا لا تجدى ولا تقنع. إن الدراسة المنهجية والموضوعية والإحصائية لكتب الترغيب والترهيب بعد نقدها وتقييمها أثبتت عكس ما يراه بعض المتساهلين. إن دراسة كتاب (إتحاف المسلم بما فى الترغيب والترهيب من أحاديث البخارى ومسلم) أثبتت أن فى الحديث الصحيح غنية عما عداه من مرويات، لقد قام مؤلفه بتخريج أحاديث الشيخين الخاصة بالوعظ والترغيب والترهيب ورتبها ملتزمًا بترتيب الصحيحين -البخارى ومسلم- بحسب الأبواب والتراجم. وأفضل دليل للرد على هؤلاء المتساهلين هو تقديم البديل من الصحيح. لقد خلط الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى مرويات الترغيب بمرويات الترهيب؛ لذلك قمت بعزل كل منها عن الآخر ثم أحصيته. فوجدت داخل كل باب مرويات صحيحة إما للشيخين معا أو أحدهما بمفرده، وشملت هذه المرويات الموضوعات الآتية:

أولاً: الترغيب

١- الترغيب فى الصدق والإخلاص والنية الصالحة*[١].

٢- الترغيب فى اتباع الكتاب والسنة[٢].

٣- البداءة بالخير ليستن به[٣].

٤- العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء فى فضل العلماء والمتعلمين[**].

٥- إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم.

٦- الدلالة على الخير.

٧- الوضوء وإسباغه.

٨- السواك وما جاء فى فضله.

٩- كلمات يقولهن بعد الوضوء.

١٠- ركعتين بعد الوضوء.

١١- الأذان وما جاء فى فضله.

١٢- إجابة المؤذن وبماذا يجيبه؟وما يقول بعد الأذان؟

(*) الكتاب للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى (١٢٦٥-١٣٥٠هـ)، قرأه وضبط نصوصه وعلق عليه مأمون الصاغرجي، وقدم له الشيخ عبد القادر الأرناؤط، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق. ط١، ١٩٩١م.

(١) ص١٢.

(٢) ص٢٠.

(٣) ص٢٢.

(**) نظرا لاشتراك رقم الموضوع مع رقم الهامش سوف أكتفى بواحد منهما حيث إن الرقم الأول داخل علامة تنصيص سوف يرمز لرقم الموضوع ورقم الهامش معاً (٢) ص ٢٤ (٥) ص٢٨. (٦) ص٣٨

(٧) ص٣٥. (٨) ص ٤١ (٩) ص٤٣ (١٠) ص٤٤ (١١) ص ٤٦ (١٢) ص٤٨

١٣- بناء المساجد فى الأمكنة المحتاجة إليها.

١٤- الترغيب فى تنظيف المساجد وتطهيرها.

١٥- المشى إلى المساجد سيما فى الظلم وما جاء فى فضلها.

١٦- لزوم المساجد والجلوس فيها.

١٧- الصلوات الخمس والمحافظة عليها والإيمان بوجوبها.

١٨- الترغيب فى الصلاة مطلقا وفضل الركوع والسجود والخشوع.

١٩- الصلاة فى أول وقتها.

٢٠- صلاة الجماعة وما جاء فيمن خرج يريد الجماعة فوجد الناس قد صلوا.

٢١- صلاة العشاء والصبح خاصة فى جماعة.

٢٢- صلاة النافلة فى البيوت.

٢٣- انتظار الصلاة بعد الصلاة.

٢٤- المحافظة على الصبح والعصر.

٢٥- جلوس المرء فى مصلاه بعد صلاة الصبح.

٢٦- الترغيب فى الإمامة والاقتداء.

٢٧- الصف الأول وتسوية الصفوف والتراص وميامن الصفوف.

٢٨- التأمين خلف الإمام وفى الدعاء وما يقوله فى الاعتدال والاستفتاح.

٢٩- المحافظة على اثنتى عشرة ركعة من السنة فى اليوم والليلة.

٣٠- المحافظة على ركعتين قبل الصبح.

---

(١٣) ص٥١ (١٤) ص٥١ (١٥) ص٥٤. (١٦) ص٥٨(١٧) ص٦١. (١٨)ص٦٥.
(١٩)ص٦٨. (٢٠) ص٦٩. (٢١)ص٧١٤. (٢٢) ص٧٣.(٢٣) ص٧٤(٢٤) ص٧٥
(٢٥) ص٧٧ (٢٦) ٧٨ (٢٧) ٧٩ (٢٨) ٨٣ (٢٩) ٩٦ (٣٠) ٩٧.

٣١- صلاة الوتر.

٣٢- كلمات يقولهن حين يأوى إلى فراشه وما جاء فيمن نام ولم يذكر الله تعالى.

٣٣- كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل. ٣٤- قيام الليل.

٣٥- أذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى.

٣٦- قضاء الإنسان ورده إذا فاته من الليل. ٣٧- صلاة الضحى

٣٨- صلاة الاستخارة.

٣٩- صلاة الجمعة والسعى إليها وما جاء فى فضل يومها وساعتها

٤٠- الترغيب فى الغسل يوم الجمعة والتطيب.

٤١-الترغيب فى التبكير إلى الجمعة والإنصات.

٤٢- أداء الزكاة وتأكيد وجوبها.

٤٣- العمل على الصدقة بالتقوى.

٤٤- التعفف والقناعة والأكل من كسب يده.

٤٥- ترغيب من جاءه شئ من غير مسألة ولا إشراف نفس فى قبوله سيما إن كان محتاجا والنهى عن رده وإن كان غنيا عنه.

٤٦- الصدقة والحث عليها وما جاء فى جهد المُقل.

٤٧- صدقة السر.

٤٨- الصدقة على الزوج والأقارب وتقديمهم على غيرهم.

٤٩- القرض وما جاء فى فضله.

---

(٣١) ٩٧ (٣٢) ٩٨ (٣٣) (١٠١) (٣٤) ١٠١ (٣٥) ١٠٦ (٣٦) ١٠٨ (٣٧) ١٠٩ (٣٨) ١١٠ (٣٩) ١١٢ (٤٠) ١١٥ (٤١) ١١٦ (٤٢) ١١٩ (٤٣) ١٢٦ (٤٤) ١٢٨ (٤٥) ١٣٦ (٤٦) ١٣٧ (٤٧) ١٢٤ (٤٨) ١٤٣ (٤٩) ١٤٤ .

٥٠- التيسير على المعسر وإنظاره والوضع عنه.

٥١- الإنفاق فى وجوه الخير كرما.

٥٢-ترغيب المرأة فى الصدقة من مال زوجها إذا أذن.

٥٣- إطعام الطعام وسقى الماء.

٥٤- الترغيب فى الصوم مطلقا وما جاء فى فضله وفضل دعاء الصائم.

٥٥- صيام رمضان احتسابا وقيام ليله سيما ليلة القدر وما جاء فى فضله.

٥٦- صوم ست من شوال. ٥٧- صوم يوم عرفة.

٥٨- صيام شهر الله المحرم. ٥٩- صوم يوم عاشوراء.

٦٠- صوم شعبان وما جاء فى صيام النبى ﷺ له.

٦١- صوم ثلاثة أيام من كل شهر. ٦٢- صوم الإثنين والخميس.

٦٣- صوم يوم وإفطار يوم وهو صوم داود عليه السلام.

٦٤- السحور سيما بالتمر. ٦٥- تعجيل الفطر وتأخير السحور.

٦٦- تحسين ذبح الأضحية.

٦٧- الحج والعمرة وما جاء فيمن خرج يقصدهما فمات.

٦٨- العمرة فى رمضان. ٦٩- التواضع فى الحج.

٧٠- العمل الصالح فى عشر ذى الحجة.

---

(٥٠) ١٤٥ (٥١) ١٤٨ (٥٢) ١٥٢ (٥٣) ١٥٣ (٥٤) ١٥٦ (٥٥) ١٥٨ (٥٦) ١٦٠
(٥٧) ١٦٠ (٥٨) ١٦٠ (٥٩) ١٦١ (٦٠) ١٦٢ (٦١) ١٦٢ (٦٢) ١٦٨
(٦٣)١٧٠ (٦٤) ١٧٣ (٦٥) ١٧٤ (٦٦) ١٧٦ (٦٧) ١٧٧ (٦٨) ١٨٠
(٦٩)١٨٠ (٧٠) ١٨١

٧١- فضل يوم عرفة. ٧٢- حلق الرأس بمنى.

٧٣- الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء.

٧٤- سكنى المدينة المنورة إلى الممات وفضلها وفضل أحد ووادى العقيق.

٧٥- الرباط فى سبيل الله.

٧٦- النفقة فى سبيل الله وتجهيز الغزاة وخلفهم فى أهلهم.

٧٧- احتباس الخيل للجهاد.

٧٨- الغازى والمرابط فى الصوم.

٧٩- الغدوة فى سبيل الله والروحة.

٨٠- سؤال الشهادة فى سبيل الله.

٨١- الرمى فى سبيل الله تعلمه وفضل الكَلْم.

٨٢- إخلاص النية فى الجهاد. ٨٣-الغزاة فى البحر.

٨٤- الشهادة وما جاء فى فضل الشهداء.

٨٥- قراءة القرآن وفضل تعلمه وتعليمه والترغيب فى سجود التلاوة.

٨٦- تعاهد القرآن وتحسين الصوت به.

٨٧- قراءة سورة الفاتحة وما جاء فى فضلها.

٨٨- سورة البقرة وخواتيمها وآل عمران.

٨٩- سورة الكهف أو عشر آيات من أولها أو عشر من آخرها.

٩٠- قل هو الله أحد. ٩١- المعوذتين.

---

(٧١) ١٨٢ (٧٢) ١٨٢ (٧٣) ١٨٣ (٧٤) ١٨٥ (٧٥)١٩١ (٧٦) ١٩٣ (٧٧) ١٩٤ (٧٨) ١٩٦ (٧٩) ١٩٧ (٨٠) ٢٠٠ (٨١)٢٠١ (٨٢) ٢٠٨ (٨٣) ٢١٠ (٨٤) ٢١٥ (٨٥) ٢٢٥ (٨٦) ٢٣٠ (٨٧) ٢٣٢ (٨٨) ٢٣٤ (٨٩) ٢٣٦ (٩٠) ٢٣٦ (٩١) ٢٣٨.

٩٢- الإكثار من ذكر الله سرًا وجهرًا.

٩٣- حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله.

٩٤- قول لا إله إلا الله.

٩٥- قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

٩٦- التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد.

٩٧- جوامع بين التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

٩٨- قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٩-أذكار تقال فى الليل والنهار.

١٠٠- آيات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات.

١٠١- فيما يقوله ويفعله من رأى فى منامه ما يكره.

١٠٢- الترغيب فيما يقوله من حصلت له وسوسة في الصلاة وغيرها.

١٠٣- الترغيب فى الاستغفار. ١٠٤- كثرة الدعاء.

١٠٥- الدعاء فى السجود ودبر الصلوات وفى جوف الليل الأخير.

١٠٦- إكثار الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

١٠٧- الاكتساب بالبيع وغيره. ١٠٨- طلب الحلال والأكل منه.

١٠٩- الورع وترك الشبهات وما يحوك فى الصدور.

١١٠- السماحة فى البيع والشراء وحسن التقاضى والقضاء.

١١١- الترغيب فى النصيحة فى البيع وغيره.

---

(٩٢) ٢٣٩ (٩٣)٢٤١ (٩٤) ٢٤٣ (٩٥) ٢٤٥ (٩٦) ٢٤٦ (٩٧) ٢٤٦ (٩٨) ٢٥٠
(٩٩) ٢٥١ (١٠٠) ٢٥١ (١٠١) ٢٥٣ (١٠٢) ٢٥٦ (١٠٣) ٢٥٧ (١٠٤) ٢٥٨
(١٠٥) ٢٥٩ (١٠٦) ٢٦٣ (١٠٧) ٢٦٤ (١٠٨) ٢٦٥ (١٠٩) ٢٦٦
(١١٠)٢٦٧ (١١١) ٢٧٠

١١٢- الترغيب فى كلمات يقولهن المديون والمهموم والمكـــروب والمأمور.

١١٣- ترغيب المملوك فى أداء حق الله تعالى وحق مواليه.

١١٤- الترغيب فى العتق.

١١٥- الترغيب فى غض البصر.

١١٦- الترغيب فى النكاح سيما بذات الدين الولود.

١١٧- ترغيب الزوج فى الوفاء بحق زوجتـــه وحســـن عشـــرته والمرأة كذلك.

١١٨- الترغيب فى النفقة على الزوجة والعيال.

١١٩- الترغيب فى الأسماء الحسنة.

١٢٠- ترغيب من مات له ثلاثة من الأولاد أو اثنان أو واحد.

١٢١- الترغيب فى القميص.

١٢٢- الترغيب فى ترك الترفع فى اللبـــاس تواضـــعا واقتـــداءً بأشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ.

١٢٣- الترغيب فى إبقاء الشيب.

١٢٤- الترغيب فى أكل الخل.

١٢٥- الترغيب فى الاجتماع على الطعام.

١٢٦- الترغيب فى لعق الأصابع قبل مسحها لإحراز البركة.

١٢٧- الترغيب فى حمد الله تعالى بعد الأكل.

---

(١١٢) ٢٧٩ (١١٣) ٢٨٧ (١١٤) ٢٨٩ (١١٥) ٢٩١ (١١٦) ٢٩٣ (١١٧) ٢٩٥ (١١٨) ٢٩٩ (١١٩) ٣٠١ (١٢٠) ٣٠٦ (١٢١) ٣١١ (١٢٢) ٣١٧ (١٢٣) ٣٢٦ (١٢٤) ٣٢٦ (١٢٥) ٣٣٠ (١٢٦) ٣٣٢ (١٢٧) ٣٣٥ .

١٢٨- ترغيب من ولى شيئا من أمور المسلمين فى العدل.

١٢٩- الترغيب فى الشفقة على خلـق الله تعـالى مـن الرعيـة والأولاد والعبيد وغيرهم.

١٣٠- ترغيب الإمام وغيره من ولاة الأمور فى اتخـاذ وزيـر صالح وبطانة حسنة.

١٣١- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ١٣٢- ستر المسلم.

١٣٢- الترغيب فى إقامة الحدود.   ١٣٤- حفظ الفرج

١٣٥- العفو عن القاتل والجانى والظالم.

١٣٦- الترغيب فى بر الوالدين وصلتهما والإحسان إليهما، وبـر أصدقائهما من بعدهما.

١٣٧- صلة الرحم وإن قطعت.

١٣٨- كفالة اليتيم ورحمته والنفقة عليه والسعى على الأرملة والمسكين.

١٣٩- زيارة الإخوان والصالحين وإكرام الزائر.

١٤٠- الضيافة وإكرام الضيف.

١٤١- الزرع وغرس الأشجار المثمرة. ١٤٢- الجود والسخاء.

١٤٣- قضاء حوائج المسلمين وإدخال السرور عليهم.

١٤٤- الحياء وما جاء فى فضله.

١٤٥- الخلق الحسن.   ١٤٦- الرفق والأناة والحلم.

١٤٧- طلاقة الوجه وطيب الكلام.

---

(١٢٨) ٢\٣٤١ (١٢٩) ٣٤٩ (١٣٠) ٣٥٢ (١٣١) ٣٥٨ (١٣٢) ٣٥٩ (١٣٣) ٣٦٢ (١٣٤) ٣٧١ (١٣٥) ٣٧٢ (١٣٦) ٣٧٧. (١٣٧) ٣٨٢ (١٣٨) ٣٨٥ (١٣٩) ٣٨٦ (١٤٠) ٣٨٨ (١٤١) ٣٩١ (١٤٢) ٣٩١ (١٤٣) ٣٩٤ (١٤٤)٣٩٥ (١٤٥) ٣٩٨ (١٤٦) ٣٩٩ (١٤٧) ٤٠١.

١٤٨- إفشاء السلام. ١٤٩- المصافحة.

١٥٠- العزلة لمن لا يأمن على نفسه عند الاختلاط.

١٥١- الإصلاح بين الناس. ١٥٢- رد الغيبة والبهت.

١٥٣- التواضع. ١٥٤- الصدق.

١٥٥- إماطة الأذى عن الطريق.

١٥٦- قتل الوزغ (الحشرات السامة).

١٥٧- إنجاز الوعد والأمانة.

١٥٨- الحب في الله تعالى. ١٥٩- الجليس الصالح.

١٦٠- كلمات يقولهن من نزل منزلا.

١٦١- دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب.

١٦٢- التوبة واتباع السيئة الحسنة.

١٦٣- العمل الصالح عند فساد الزمان.

١٦٤- المداومة على العمل وإن قل.

١٦٥- الترغيب في الفقر وما جاء في فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومحاسبتهم.

١٦٦- الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالقليل.

١٦٧- البكاء من خشية الله تعالى.

١٦٨- ذكر الموت وقصر الأمل وفضل طول العمر لمن حسن عمله.

---

(١٤٨) ٤٠٤ (١٤٩) ٤٠٦ (١٥٠) ٤١٦ (١٥١) ٤١٦ (١٥٢) ٤١٧ (١٥٣) ٤٢١ (١٥٤) ٤٢٥ (١٥٥) ٤٤٠ (١٥٦) ٤٤٣ (١٥٧) ٤٤٨ (١٥٨) ٤٥٢ (١٥٩) ٤٦١ (١٦٠) ٤٦٨ (١٦١) ٤٦٨ (١٦٢) ٤٦٩ (١٦٣) ٤٧٥ (١٦٤) ٤٧٦ (١٦٥) ٤٧٧ (١٦٦) ٤٨١ (١٦٧) ٥٠١ (١٦٨) ٥٠١ .

١٦٩- الخوف وفضله.

١٧٠- الرجاء وحسن الظن بالله عز وجل سيما عند الموت.

١٧١- سؤال العفو والعافية.

١٧٢- الصبر سيما لمن ابتلى فى نفسه أو ماله وفضل البلاء والمرض وفيمن فقد بصره.

١٧٣- كلمات يقولهن من آلمه شئ من جسده.

١٧٤- الحجامة ومتى يحتجم.

١٧٥- عيادة المرضى ودعاء المريض.

١٧٦- الوصية والعدل فيها.

١٧٧- تلقى الموت بالرضا والسرور حبا للقاء الله عز وجل.

١٧٨- كلمات يقولهن من مات له ميت.

١٧٩- تشييع الميت وحضور دفنه.

١٨٠- كثرة المصلين على الجنازة وفى التعزية.

١٨١- الإسراع بالجنازة وتعجيل الدفن.

١٨٢- الدعاء للميت وإحسان الثناء عليه.

١٨٣- زيارة الرجال للقبور.

١٨٤- سؤال الجنة والاستعاذة من النار.

١٨٥- فصل فى صفة دخول أهل الجنة وغير ذلك.

١٨٦- فصل فيما لأدنى أهل الجنة فيها.

---

(١٦٩) ٥٠٥ (١٧٠) ٥١٠ (١٧١) ٥١١ (١٧٢) ٥١١ (١٧٣) ٥١٧ (١٧٤) ٥١٨
(١٧٥) ٥١٨ (١٧٦) ٥٢٠ (١٧٧) ٥٢١ (١٧٨) ٥١٣ (١٧٩) ٥٢٣ (١٨٠) ٥٢٥
(١٨١) ٥٢٦ (١٨٢) ٥٢٦ (١٨٣) ٥٣٤ (١٨٤) ٥٦٣ (١٨٥) ٥٧١ (١٨٦) ٤٧٤

١٨٧- فصل فى درجات الجنة وغرفها.

١٨٨- فصل فى خيام الجنة وغرفها وغير ذلك.

١٨٩- فصل فى أنهار الجنة.

١٩٠- فصل فى شجر الجنة وثمارها.

١٩١- فصل فى أكل أهل الجنة وشربهم وغير ذلك.

١٩٢- فصل فى ثيابهم وحللهم ونسائهم.

١٩٣- فصل فى نظر أهل الجنة إلى ربهم تبارك وتعالى.

١٩٤- فصل فى أن أعلى ما يخطر على البال أو يجوزه العقل من حسن الصفات المتقدمة، فالجنة وأهلها فوق ذلك.

١٩٥- فصل فى خلود أهل الجنة فيها.

أى أن هناك أحاديث صحيحة عند الشيخين أو أحدهما تغطى (١٩٥) موضوعًا من موضوعات الحياة فى شئون المسلم، هذه الأحاديث خاصة بالوعظ والترغيب والحث على عمل الخير.

ثانيًا: الترهيب

١- الترهيب من الرياء.

٢- ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء.

٣- الكذب على الرسول ﷺ.

٤- الترهيب من إضاعة العلماء وعدم المبالاة بهم.

٥- العلم دون العمل والقول دون الفعل. ٦- الدعوى فى العلم.

---

(١٨٧) ٥٧٦ (١٨٨) ٥٧٦ (١٨٩) ٥٧٧ (١٩٠) ٥٧٨ (١٩١) ٥٧٩ (١٩٢) ٥٨٠ (١٩٣) ٥٨١ (١٩٤) ٥٨٣ (١٩٥) ٥٨٤.

(١) ص١٨ (٢) ص٢٠ (٣) ٢٧ (٤) ٢٨ (٥) ٢٩ (٦) ٣٠.

٧- المراء والجدال.　　٨- التخلى على طرق الناس أو ظلهم.

٩- البول فى الماء.　　١٠- عدم الاستبراء من البول.

١١- ترك إسباغ الوضوء

١٢- الخروج من المسجد بعد الأذان لغير عذر.

١٣- البصاق فى المسجد وإلى القبلة وإنشاد الضالة وغير ذلك.

١٤- إتيان المساجد لمن أكل بصلا أو ثوما أو كراثا أو فجلا ونحو ذلك.

١٥- الترهيب من التأخر عن صلاة العشاء والصبح.

١٦- ترك حضور الجماعة لغير عذر.

١٧- فوات صلاة العصر بغير عذر.

١٨- تأخر الرجال إلى أواخر صفوفهم وتقدم النساء إلى أوائل صفوفهن ومن اعوجاج الصفوف.

١٩- رفع المأموم رأسه قبل الإمام فى الركوع والسجود وإقامة الصلب بينهما.

٢٠- رفع البصر إلى السماء فى الصلاة.

٢١-الالتفات فى الصلاة.

٢٢- مسح الحصى فى موضع السجود.

٢٣- وضع اليد على الخاصرة فى الصلاة.

٢٤- المرور بين يدى المصلى.

٢٥- ترك الصلاة تعمدًا وتأخيرها عن وقتها تهاونًا.

---

(٧) ٣٢ (٨) ٣٣ (٩) ٣٤ (١٠) ٣٤ (١١) ٤٢. (١٢) ٥٠ (١٣) ٥٢ (١٤) ٥٨ (١٥) ٧١ (١٦) ٧٢. (١٧) ٧٧ (١٨) ٨١ (١٩) ٨٥ (٢٠) ٨٦ (٢١) ٨٨ (٢٢) ٨٩ (٢٣) ٩٠ (٢٤) ٩٠ (٢٥) ٩٢.

٢٦- صلاة الإنسان وقراءته حال النعاس.

٢٧- نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام شئ من الليل.

٢٨- الكلام والإمام يخطب. ٢٩- منع الزكاة.

٣٠- المسألة وتحريمها مع الغنى، وما جاء فى ذم الطمع.

٣١- الترهيب من أخذ ما دفع من غير طيب نفس المعطى.

٣٢- الترهيب من تخصيص يوم الجمعة بالصوم.

٣٣- المرأة تصوم تطوعا وزوجها حاضر إلا أن تستأذنه.

٣٤- المسافر يصوم إذا كان يشق عليه.

٣٥- ترهيب الصائم من الغيبة والفحش والكذب ونحو ذلك.

٣٦- الترهيب من إخافة أهل المدينة أو إرادتهم بسوء.

٣٧- الفرار من الزحف.

٣٨- الغلول والتشديد فيه وفيمن ستر على غالّ.

٣٩- الترهيب من أن يموت الإنسان ولم يغز ولم ينو الغزو.

٤٠- الترهيب من استبطاء الإجابة فى الدعاء.

٤١- الترهيب من رفع المصلى رأسه إلي السماء وقت الدعاء.

٤٢- دعاء الإنسان على نفسه وولده وخادمه وماله.

٤٣- الحرص وحب المال.

٤٤- اكتساب الحرام وأكله ولبسه ونحو ذلك.

---

(٢٦) ١٠٤ (٢٧) ١٠٦ (٢٨) ١١٧ (٢٩) ١٢٠ (٣٠) ١٢٨ (٣١) ١٣٥ (٣٢) ١٦٨ (٣٣) ١٧٠١ (٣٤) ١٧١٤ (٣٥) ١٧٤. (٣٦) ١٩٠ (٣٧) ٢١٠ (٣٨) ٢١٢. والغُل ما يجعل فى عنق الأسير، (٣٩) ٢٢٢ (٤٠) ٢٦١ (٤١) ٢٦٢ (٤٢) ٢٦٢ (٤٣) ٢٦٥ (٤٤) ٢٦٦.

٤٥- الترهيب من الغش.
٤٦- الاحتكار.
٤٧- الدين.
٤٨- مطل الغنى.
٤٩- اليمين الكاذبة الغموس.
٥٠- الربا
٥١- غصب الأرض وغيرها.
٥٢- البناء فوق الحاجة تفاخرًا وتكاثرًا
٥٣- ترهيب العبد من الإباق من سيده.
٥٤- اعتباد الحر أو بيعه.
٥٥- الترهيب من إطلاق البصر ومن الخلوة بالأجنبية ولمسها.
٥٦- الترهيب من إسخاط الزوج زوجته.
٥٧- ترجيح إحدى الزوجات وترك العدل بينهن.
٥٨- الترهيب من إضاعة الزوجة والعيال.
٥٩- الترهيب من أن ينسب الإنسان إلى غير أبيه أو يتولى غير مواليه.
٦٠- الترهيب من إفساد المرأة على زوجها والعبد على سيده.
٦١- إفشاء السر سيما ما كان بين الزوجين.
٦٢- الترهيب من طول وجر وإسبال القميص فى الصلاة.
٦٣- الترهيب من لبس النساء الرقيق من الثياب الذى يصف البشرة.
٦٤- ترهيب للرجاء من لبسهم الحرير وجلوسهم عليه والتحلى بالذهب.
٦٥- الترهيب من تشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل فى لباس أو كلام أو حركة أو نحو ذلك.

---

(٤٥) ٢٧٢ (٤٦) ٢٧٣ (٤٧) ٢٧٦ (٤٨) ٢٧٨ (٤٩)٢٧٩ (٥٠) ٢٧٩ (٥١) ٢٨٣ (٥٢) ٢٨٤ (٥٣) ٢٨٦ (٥٤) ٢٨٩ (٥٥) ٢٩١ (٥٦) ٢٩٥ (٥٧) ٢٩٨ (٥٨)٢٩٩ (٥٩) ٣٠٤ (٦٠) ٣٠٩ (٦١) ٣١٠ (٦٢) ٣١١ (٦٣) ٣١٣ (٦٤)٣١٣ (٦٥) ٣١٦.

٦٦- ترهيب الواصلة للشعر والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجة.

٦٧- استعمال أوانى الذهب والفضة وتحريمه على الرجال والنساء.

٦٨- الأكل والشرب بالشمال والنفخ فى الإناء، والشرب فى السقاء، ومن ثلمة القدح.

٦٩- الإمعان فى الشبع والتوسع فى المأكل والمشارب شرهًا وبطرًا.

٧٠- الترهيب من أن يدعى الإنسان إلى الطعام فيمتنع من غير عذر، والأمر بإجابة الداعى.

٧١- الترهيب من تولى القضاء والإمارة سيما لمن لا يثق بنفسه.

٧٢- ترهيب ولاة أمور المسلمين من الجور.

٧٣- الظلم ودعاء المظلوم.

٧٤- الترهيب من عدم الشفقة على خلق الله من الرعية والأولاد والعبيد.

٧٥- الترهيب من شهادة الزور.

٧٦- الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمداهنة فيهما.

٧٧- الترهيب من أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر ويخالف قوله فعله.

٧٨- الترهيب من هتك ستر المسلم وتتبع عورته.

٧٩- مواقعة الحدود وانتهاك المحارم.

---

(٦٦) ٣٢٠ (٦٧) ٣٢٣ (٦٨) ٣٢٤ (٦٩) ٣٢٧ (٧٠) ٣٢٨ (٧١) ٣٣٣ (٧٢) ٣٣٥ (٧٣) ٣٣٨ (٧٤) ٣٤٢ (٧٥) ٣٥٠ (٧٦) ٣٥٢ (٧٧) ٣٥٨ (٧٨) ٣٥٨ (٧٩)٣٥٩

٨٠- الترهيب من المداهنة فى إقامة الحدود.

٨١- الترهيب من شرب الخمر وبيعها وعصرها وحملها وأكل ثمنها.

٨٢- الترهيب من الزنا سيما بحليلة الجار.

٨٣- الترهيب من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

٨٤- الترهيب من قتل الإنسان نفسه.

٨٥- الترهيب من ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب والإصرار على شئ منها.

٨٦- الترهيب من عقوق الوالدين.

٨٧- الترهيب من قطع صلة الرحم.

٨٨- الترهيب من أذى الجار، وما جاء فى تأكيد حقه.

٨٩- ترهيب الضيف أن يقيم حتى يؤثم أهل المنزل.

٩٠- الترهيب من البخل والشح.

٩١- الترهيب من عود الإنسان فى هبته.

٩٢- الفحش والبذاء. ٩٣- الترهيب من الخلق السيئ.

٩٤- ترهيب المرء من حب القيام له.

٩٥- الترهيب من الإشارة فى السلام، وما جاء فى السلام على الكفار.

٩٦- الترهيب من أن يطلع الإنسان فى دار قبل أن يستأذن.

٩٧- الترهيب من أن يستمع حديث قوم يكرهون أن يسمعه.

٩٨- الترهيب من الغضب.

---

(٨٠) ٣٥٩ (٨١) ٣٦٠ (٨٢) ٣٦٢ (٨٣) ٣٦٥ (٨٤) ٣٦٧ (٨٥) ٣٧١ (٨٦) ٣٧٥ (٨٧) ٣٧٧ (٨٨) ٣٨٣ (٨٩) ٣٨٦ (٩٠) ٣٨٩ (٩١) ٣٩٠ (٩٢) ٣٩١ (٩٣)٣٩٤ (٩٤) ٣٩٦ (٩٥) ٤٠١ (٩٦) ٤٠٢ (٩٧) ٤٠٣ (٩٨) ٤٠٦.

٩٩- التهاجر والتشاحن والتدابر.

١٠٠- الترهيب من قوله لمسلم: يا كافر.

١٠١- الترهيب من السباب واللعن وقذف المحصنة والمملوك.

١٠٢- الترهيب من سب الدهر.

١٠٣- ترويع المسلم والإشارة إليه بسلاح أو نحوه.

١٠٤- الترهيب من النميمة.

١٠٥- الترهيب من الغيبة والبهت.

١٠٦- الترهيب من كثرة الكلام.

١٠٧- الترهيب من الحسد.

١٠٨- الكبر والعجب والافتخار.

١٠٩- الترهيب من الكذب.

١١٠- ترهيب ذى الوجهين وذى اللسانين.

١١١- الترهيب من الحلف بغير الله ومن قوله أنا برئ من الإسلام أو كافر.

١١٢- الترهيب من احتقار المسلم، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

١١٣- الترهيب من إخلاف الوعد ومن الخيانة والغدر وقتل المعاهد وظلمه.

١١٤- الترهيب من حب الأشرار وأهل البدع.

---

(٩٩) ٤٠٧ (١٠٠) ٤٠٩ (١٠١) ٤١٠ (١٠٢) ٤١٣ (١٠٣) ٤١٤ (١٠٤) ٤١٦ (١٠٥) ٤١٧ (١٠٦) ٤١٩ (١٠٧) ٤٢١ (١٠٨) ٤٢١ (١٠٩) ٤٢٥ (١١٠)٤٣٦ (١١١) ٤٣٧ (١١٢) ٤٣٨ (١١٣) ٤٤٨ (١١٤) ٤٥٢.

١١٥- الترهيب من السحر وإتيان الكهان والعرّافين والمنجمين بالرمل أو الحصى.

١١٦- الترهيب من تصوير الحيوانات والطيور فى البيوت وغيرها.

١١٧- الترهيب من اللعب بالنرد.

١١٨- الترهيب من الجليس السوء.

١١٩- الترهيب من اقتناء الكلب إلا لصيد أو ماشية.

١٢٠- الترهيب من سفر الرجل وحده.

١٢١- ترهيب المرأة أن تسافر وحدها بغير محرم.

١٢٢- الترهيب من استصحاب الكلب والجرس فى سفر وغيره.

١٢٣- الترهيب من إرسال المواشى أول الليل ومن التعريس فى الطرق.

١٢٤- الترهيب من جهاد التكاثر فى الدنيا والتنافس، وما جاء فى عيش النبى ﷺ وأصحابه.

١٢٥- الترهيب من ترك الوصية أو المضارة فيها، وما جاء فيمن يعتق ويتصدق عند الموت.

١٢٦- الترهيب من كراهية الإنسان الموت.

١٢٧- الترهيب من عدم الدعاء للميت والثناء عليه.

١٢٨- الترهيب من النياحة على الميت والنعى ولطم الخد وخمش الوجه وشق الجيب.

---

(١١٥) ٤٥٥ (١١٦) ٤٥٦ (١١٧) ٤٦٠ (١١٨) ٤٦١ (١١٩) ٤٦٢ (١٢٠) ٤٦٤ (١٢١) ٤٦٥ (١٢٢) ٤٦٦ (١٢٣) ٤٦٧ (١٢٤) ٤٨١ (١٢٥) ٥٢٠ (١٢٦)٥٢١ (١٢٧) ٥٢٦ (١٢٨) ٥٢٨.

١٢٩- الترهيب من إحداد المرأة على غير زوجها فوق ثلاث.

١٣٠- الترهيب من أكل مال اليتيم بغير حق.

١٣١- الترهيب من المرور بقبول الظالمين وديارهم ومصارعهم مع الغفلة عما أصابهم، وبعض ما جاء فى عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير عليهما السلام.

١٣٢- الترهيب من الجلوس على القبر.

١٣٣- فصل فى النفخ فى الصور وقيام الساعة.

١٣٤- فصل فى الحشر وغيره.

١٣٥- فصل فى ذكر الحساب وغيره.

١٣٦- فصل فى الحوض والميزان والصراط.

١٣٧- فصل فى الشفاعة وغيرها.

١٣٨- الترهيب من النار.

١٣٩- فصل فى بعد قعرها.

١٤٠- فصل فى عظم أهل النار وقيامهم فيها.

١٤١- فصل فى تفاوتهم فى العذاب وذكر أهونهم عذابا.

١٤٢- فصل فى خلود أهل النار فيها.

أى أن الأحاديث الصحيحة غطت (١٤٢) موضوعًا من الموضوعات التى تخص التشريع الإسلامى - جانب الوعظ بالترهيب- وتهم المسلم فى حياته اليومية، ومن خلال العرض السابق لموضوعات الكتاب وإحصائها يتضح أن فى الصحيح

---

(١٢٩) ٥٣٣ (١٣٠) ٥٣٤ (١٣١) ٥٣٥ (١٣٢) ٥٢٩ (١٣٣) ٥٣٩ (١٣٤) ٥٤٠ (١٣٥) ٥٤٤ (١٣٦)٥٤٤ (١٣٧) ٥٥٨ (١٣٨) ٥٦٤ (١٣٩) ٥٦٨ (١٤٠)٥٦٨ (١٤١) ٥٦٩ (١٤٢) ٥٨٤.

المرفوع المتصل إلى النبى ﷺ غنية عن غيره من الأحاديث حتى لو كانت حسنة.

كتاب الزهد لوكيع بن الجراح(*)

ومما يدل -أيضًا- على أن فى الصحيح والحسن(**) غنية عن الضعيف أن محقق كتاب الزهد للإمام وكيع بن الجراح - أثبت أن ما اشتهر من القول بالعمل بالضعيف فى فضائل الأعمال لم يصح، وقد تعاون مع محقق آخر فى إخراج الكتاب السابق، جردا وخرجا فيه الصحيح فقط، فثبت من خلال تحقيقهما وتخريجهما وتقييمهما للمرويات أن فى الصحيح غنية عن غيره؛ لذلك سميا الكتاب فى طبعته الثانية المجردة من الضعيف والموضوع: (صحيح كتاب الزهد)[1].

فضائل الأعمال لضياء الدين المقدسى:

وكذلك صنع محقق كتاب (فضائل الأعمال) للحافظ ضياء الدين محمد ابن عبدالواحد المقدسى، أثبت فيه محققه- أن فى الصحيح غنية فى فضائل الأعمال[2].

وليس بعد حصر الموضوعات التى وردت فيها أحاديث صحيحة وإثبات أن هذا العدد يكفى - دليل على أنه فى الصحيح غنية حتى عن الحسن لذاته فى فضائل الأعمال يدل على هذا كتاب إتحاف

(*) كتاب الزهد للإمام وكيع بن الجراح حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن الفريوائى وطبع بمكتبة الدار، المدينة المنورة، ط، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(**) لا أقصد بالحسن هنا ما يقصده المتأخرون وهو -عندهم- الضعيف إذا جاء من طرق بل أقصد الحسن لذاته الذى يدخل فى الصحيح بدليل الاسم الثانى للكتاب. والحسن أحد أقسام الصحيح عند المتقدمين.

(١) صحيح كتاب الزهد للإمام وكيع بن الجراح.

(٢) طبع بمؤسسة الرسالة بتحقيق غسان عيسى محمد هرماس، ط، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧هـ-١٩٨٧م. انظر الخاتمة ص ٧٠٣- ٧٠٤.

المسلم وما جاء فيه من هذا العدد الكبير جدًا للموضوعات(*) ناهيك عن عدد الأحاديث الواردة أسفل كل موضوع.

إننا ننظّرَ لظاهرة نقد المروى ولسنا ندافع عن واقع فقهى أو منهجى لمؤلف ما استخدم الضعيف أو الحسن لغيره فى الفضائل وغيرها، علينا أن نقول: إن الحديث الفلانى الذى جاء فى مؤلف العالم الفلانى ضعيف، ولا نقول إنه يعمل بحديث كذا الذى درجته كذا، ينبغى النقد قبل الاستدلال بالمروى على قضية ما فقهية أو تفسير أو فضائل أو غيرها.. ومن شاء فلينظر إلى مقدمة صحيح مسلم ومقدمة كتاب الضعفاء لابن حبان.

حد الكفاف: -

لابد من حسم الفوضى بين نقاد المرويات. إن اختلاف تصورهم لعملية النقد، واختلاف حال المنقود هو الذى أدى إلى اختلاف فى الحكم على الرواة والمرويات، إن البخارى له شرط غير شرط مسلم ثم يأتى من بعدهم من يتساهل حتى وصل الأمر إلى التخريج للضعفاء والقول بالتساهل فى الفضائل والوعظ والتفسير.

إن المتقدمين كانوا لا يحتجون إلا بمرويات الثقات. والحسن كان داخلاً عندهم فى الصحيح وأحيانًا كانوا يجعلون الحسن(**) فى الشواهد المتابعات، الحسن الذاته عند المتأخرين، والحق أن الحاجة إلى المروى هى التى جعلتهم ينزلون إلى الحسن لذاته مثلما احتاجوا إلى مرويات أهل الفرق(***).

(*) لا أقصد الحديث الموضوع.

(**) الحسن لذاته عند المتأخرين كان مسلم يجعله فى الشواهد ثم جاء بعده من يحتج به وحده كما سيأتى.

(***) كمال أن المحدثين يعملون بالحسن لغيره بشروط يعرفها أهل الفن، والأمر ليس على إطلاقه.

قال ابن حجر: "إن كتاب البخارى أعدل رواة وأشد اتصالاً من كتاب مسلم والدليل على ذلك من أوجه: **أحدهما:** أن الذين انفرد البخارى بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلاً. المتكلم فيهم بالضعف منهم نحو ثمانين رجلاً، والذين انفرد مسلم بإخراج حديثهم دون البخارى ستمائة وعشرون رجلاً. المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون رجلاً... ولاشك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه، ولو كان ذلك غير سديد. **الوجه الثانى:** أن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكن يكثر من تخريج أحاديثهم، وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها أو أكثرها إلا نسخة عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما-. بخلاف مسلم فإنه يخرج أكثر تلك النسخ التى رواها عمن تكلم فيه كأبى الزبير عن جابر -رضي الله عنه- وسهيل عن أبيه عن أبى هريرة -رضي الله عنه- وحماد بن سلمة عن ثابت عن أنس -رضي الله عنه- والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة -رضي الله عنه- ونحوهم.

والوجه الثالث: أن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم فميز جيدها من رديها بخلاف مسلم، فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه من المتقدمين، وقد أخرج أكثر نسخهم.. ولاشك أن المرء أشد معرفة بحديث شيوخه وبصحيح حديثهم من ضعيفه ممن تقدم عن عصرهم. **والوجه الرابع:** أن أكثر هؤلاء الرجال الذين تكلم فيهم من المتقدمين يخرج البخارى أحاديثهم غالبا فى الاستشهادات، والمتابعات والتعليقات بخلاف مسلم، فإنه يخرج لهم الكثير فى الأصول والاحتجاج، ولا يعرج البخارى فى الغالب على من أخرج لهم مسلم فى المتابعات، فأكثر من يخرج لهم البخارى فى المتابعات يحتج لهم مسلم وأكثر من

يخرج لهم مسلم فى المتابعات لا يعرج عليهم البخارى. فهذا وجه من وجوه الترجيح ظاهر. والأوجه الأربعة المتقدمة كلها تتعلق بعدالة الرواة. وبقى ما يتعلق بالاتصال وهو الوجه الخامس، وهو أن مسلمًا كان مذهبه - بل نقل الإجماع فى أول صحيحه- أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن والمعنعن عنه وإن لم يثبت اجتماعهما. والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة واحدة. وقد أظهر البخارى هذا المذهب فى التاريخ وجرى عليه فى الصحيح، وهو مما يرجح به كتابه؛ لأنا وإن سلمنا بما ذكره مسلم من الحكم بالاتصال فلا يخفى أن شرط البخارى أوضح فى الاتصال وبهذا يتبين أن شرطه فى كتابه أقوى اتصالا وأشد تحريا والله أعلم"(١).

سقت هذا النص لا للتدليل على أن البخارى أفضل من مسلم من حيث المنهجية بل لأثبت أن اللاحق متساهل عن السابق إلى أن يصل الأمر إلى إيراد الضعيف فى الأحكام الخاصة بالحلال والحرام.

قال ابن حجر - وأنا أعتبر كلامه هذا تأريخًا لمناهج النقاد الذين أخرجوا الصحيح فى كتبهم، أو على الأقل اجتهدوا واشترطوا على أنفسهم هذا- قال: "ثم إن الزيادة فى الصحيح - الكلام لابن الصلاح وسوف يعلق عليه- على ما فى الكتابين يتلقاها طالبها مما اشتمل عليه أحد المصنفات المعتمدة..." إلى أن قال: "ويكفى مجرد كونها فى كتب من اشترط الصحيح فيما جمعه كابن خزيمة، وكذلك ما يوجد فى الكتب المخرجة على الصحيحين: ككتاب أبى عوانة". ثم يقول ابن حجر: "ومقتضى هذا أن يؤخذ ما يوجد فى كتاب ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما ممن اشترط الصحيح -

---

(١) النكت على ابن الصلاح لابن حجر ص (٦٤ - ٦٦).

بالتسليم وكذا ما يوجد فى الكتب المخرجة على الصحيحين وفى كل ذلك نظر، **أما الأول:** فلم يلتزم ابن خزيمة وابن حبان فى كتابيهما أن يخرجا الصحيح الذى اجتمعت فيه الشروط التى ذكرها المؤلف لأنهما ممن لا يرى التفرقة بين الصحيح والحسن بل عندهما أن الحسن قسم من الصحيح لا قسيمه، وقد صرح ابن حبان بشرطه وحاصله: أن يكون راوى الحديث عدلاً مشهورًا بالطلب غير مدلس سمع ممن فوقه إلى أن ينتهى. فإن كان يروى من حفظه فليكن عالما بما يحيل المعانى فلم يشترط على الاتصال والعدالة ما اشترطه المؤلف في الصحيح من وجود الضبط ومن عدم الشذوذ والعلة. وهذا وإن لم يتعرض ابن حبان لاشتراطه فهو إن وجده كذلك أخرجه وإلا فهو ماش على ما أصل؛ لأن وجود هذه الشروط لا ينافى ما اشترطه. وسمى ابن خزيمة كتابه (المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع فى السند ولا جرح فى النقلة). وهذا الشرط مثل شرط ابن حبان سواء؛ لأن ابن حبان تابع لابن خزيمة مغترف من بحره ناسج على منواله. ومما يعضد ما ذكرنا احتجاج ابن خزيمة وابن حبان بأحاديث أهل الطبقة الثانية الذين يخرج مسلم أحاديثهم فى المتابعات كابن إسحاق وأسامة بن زيد الليثى ومحمد بن عجلان ومحمد بن عمرو بن علقمة وغير هؤلاء. فإذا تقرر ذلك عرفت أن حكم الأحاديث التى فى كتاب ابن خزيمة وابن حبان صلاحية الاحتجاج بها لكونها دائرة بين الصحيح والحسن ما لم يظهر فى بعضها علة قادحة. وأما أن يكون مراد من يسميها صحيحة أنها جمعت الشروط المذكورة فى حد الصحيح فلا – والله أعلم– **وأما الثانى:** وهو ما يتعلق بالمستخرجات ففيه نظر– أيضا– لأن كتاب أبى عوانة وإن سماه بعضهم مستخرجا على مسلم فإن له فيه أحاديث كثيرة مستقلة

فى أثناء الأبواب نبه على كثير منها، ويوجد فيها الصحيح والحسن والضعيف أيضا والموقوف[١].

والفارق بين البخارى ومن بعد مسلم سوف يزداد لو قارنا بين البخارى وابن حبان وابن خزيمة وأبى عوانة؛ لأن هناك فارقًا بين مسلم والثلاثة. وسوف نلاحظ اتساع الفجوة من خلال النصوص القادمة. قال ابن حجر: "وأما كتاب الإسماعيلى فليس فيه أحاديث مستقلة زائدة وإنما تحصل الزيادة فى أثناء بعض المتون، والحكم بصحتها متوقف على أحوال رواتها. فرب حديث أخرجه البخارى من طريق بعض أصحاب الزهرى عنه- مثلاً- فاستخرجه الإسماعيلى وساقه من طريق آخر من أصحاب الزهرى بزيادة فيه وذلك الآخر ممن تكلم فيه فلا يحتج بزيادته".[٢].

إنه- أى الإسماعيلى- لا يعلم أن أصحاب الزهرى طبقات ومتفاوتون فى الكثرة والعدالة والضبط والملازمة له.

ثم قال ابن حجر: "وقد ذكر المؤلف – ابن الصلاح- بعدُ أن أصحاب المستخرجات لم يلتزموا موافقة الشيخين فى ألفاظ الحديث بعينها، والسبب فيه أنهم أخرجوها من غير جهة البخارى ومسلم فحينئذ يتوقف الحكم بصحة الزيادة على ثبوت الصفات المشترطة فى الصحيح للرواة الذين بين صاحب المستخرج وبين من اجتمع مع صاحب الأصل الذى استخرج عليه وكلما كثرت الرواة بينه وبين من اجتمع مع صاحب الأصل فيه افتقر إلى زيادة التنقير، وكذا كلما بعد عصر المستخرج من عصر صاحب الأصل كان الإسناد كلما كثرت رجاله احتاج الناقد له إلى كثرة البحث عن أحوالهم فإذا روى البخارى مثلاً- عن على بن المدينى عن سفيان

---

(١) السابق ص٦٦-٦٧.

(٢) السابق ص٦٧.

بن عيينة عن الزهرى حديثا ورواه الإسماعيلى - مثلاً- عن بعض مشايخه عن الحكم بن موسى عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن الزهرى واشتمل حديث الأوزاعى على زيادة على حديث ابن عيينة توقف الحكم بصحتها على تصريح الوليد بسماعه من الأوزاعى وسماع الأوزاعى من الزهرى؛ لأن الوليد بن مسلم من المدلسين على شيوخه وعلى شيوخ شيوخه، وكذا يتوقف على ثبوت صفات الصحيح الشيخ الإسماعيلى، وقس على هذا جميع ما فى المستخرج، وكذا الحكم فى باقى المستخرجات. فقد رأيت بعضهم حيث يجد أصل الحديث اكتفى بإخراجه، ولو لم تجتمع الشروط فى رواته. بل رأيت فى مستخرج أبى نعيم وغيره الرواية عن جماعة من الضعفاء؛ لأن أصل مقصودهم بهذه المستخرجات أن يعلو إسنادهم ولم يقصدوا إخراج هذه الزيادات وإنما وقعت اتفاقًا والله أعلم"[1].

ونسى أصحابه المستخرجات أن الدراية وقواعدها تحتم الأخذ بالتفصيل فى زيادات الثقات، وهذا النسيان عن غير عمد أدخل بعض المرويات الضعيفة فى مستخرجاتهم.

بالإضافة إلى ذلك جاء بعد الشيخين من حاول الجمع بينهما مثل الحميدى الذى ألف كتاب (الجمع بين الصحيحين)، الذى جاءت فيه زيادات عليهما قام بنقدها؛ قال ابن حجر: "وقال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص البُلْقَيْنى فى (محاسن الإصطلاح) فى هذا الموضع ما صورته: وفى (الجمع بين الصحيحين) للحميدى تتمات لا وجود لها فى الصحيحين، وهو كما قال ابن الصلاح. إلا أنه كان ينبغى التنبيه على حكم تلك التتمات لتكمل الفائدة".[2]

---

(١) السابق ص٦٧-٦٨.

(٢) السابق ص ٧٢.

إن هذه الزيادات فى حاجة إلى نقد وتقييم لمعرفة الصحيح من الضعيف؛ لقد وصل الأمر ببعض هذه الزيادات إلى أحاديث موضوعة تتعلق بصفات الله تعالى؛ قال ابن حجر: "وقال – الحميدى– في مسند أبى هريرة – ﷺ –عن النبى–ﷺ– قال: "قال الله عز وجلّ: إذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا، وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة". لفظ حديث مسلم، زاد ابن مسعود– ﷺ – وإن هرول سعيت إليه تعالى أسرع بالمغفرة". قال الحميدى: لم أرو هذه الزيادة فى الكتابين. قلت: والزيادة المذكورة تفرد بها محمد بن أبى السرى العسقلانى ولم يخرجا له فهذه الأمثلة توضح أن الحميدى يميز الزيادات التى يزيدها هو أو غيره خلافا لمن نفى ذلك عنه"[١].

والذى أريد الخروج به من هذا النص أن الذين جاءوا بعد الشيخين زادوا زيادات لم يَرْوِها الشيخان عن أصحابها أصلاً سواء نبه عليها ناقد – أو بعضهم– أو لم ينبه عليها أغلبهم.

ثم جاء بعد ذلك قوم يروون بالمعنى؛ قال ابن الصلاح: "استنكر ابن دقيق العيد عزو المصنفين على أبواب الأحكام الأحاديث إلى تخريج البخارى ومسلم مع تفاوت المعنى؛ لأن مِن شأن مَن هذا حاله أن يستدل على صحة ما بوب فإذا ساق الحديث بإسناده ثم عزاه لتخريج أحدهما أوهم الناظر فيه أنه عند صاحب الصحيح كذلك، ولو كان ما أخرجه صاحب الصحيح لا يدل على مقصود التبويب فيكون فيه تلبيس غير لائق ثم إن فيه مفسدة أيضا من جهة أخرى، وهو احتمال أن يكون فى إسناد صاحب المستخرج من لا يحتج به كما بيناه غير مرة، فإذا ظن الظان أن صاحب الصحيح

---

(١) السابق ص٨٠.

أخرجه بلفظه قطع نظره عن البحث عن أحوال رواته اعتمادًا على صاحب الصحيح، والحال أن صاحب الصحيح لم يخرج ذلك فيوهم فاعل ذلك ما ليس بصحيح صحيحا، هذا معنى كلامه."(١)

ثم جاء أصحاب المستدركات، ومنهم الحاكم الذى تساهل فى التصحيح. نقل ابن حجر قول ابن الصلاح؛ "وهو - أى الحاكم- واسع الخطو فى شرط الصحيح متساهل فى القضاء به، فالأولى أن نتوسط فى أمره"(٢).

ونقل قول الذهبى: "وإلا ففى المستدرك جملة وافرة على شروطها وجملة كثيرة على شرط أحدهما وهو قدر الضعف، وفيه نحو الربع مما صح سنده أو حسن، وفيه بعض العلل. وباقيه مناكير وواهيات وفى بعضها موضوعات قد أفردتها فى جزء"(٣).

والذهبى خبير بمستدرك الحاكم لأنه لخصه، ثم زاد ابن حجر الأمر تفصيلاً فقال: "ينقسم المستدرك أقساما كل قسم منها يمكن تقسيمه: **الأول**: أن يكون إسناد الحديث الذى يخرجه محتجا برواته فى الصحيحين أو أحدهما على صورة الاجتماع سالما من العلل واحترزنا بقولنا على صورة الاجتماع عما احتجا برواته على صورة الانفراد. كسفيان بن حسين عن الزهرى فإنهما احتجا بكل منهما على الإنفراد ولم يحتجا برواية سفيان ابن حسين عن الزهرى؛ لأن سماعه من الزهرى ضعيف دون بقية مشايخه. فإذا وجد حديث من روايته عن الزهرى لا يقال على شرط الشيخين لأنهما احتجا بكل منهما. بل لا يكون على شرطهما إلا إذا احتجا بكل منهما على صورة الاجتماع، وكذا إذا كان الإسناد قد احتج كل

---

(١) السابق ص٨١.

(٢) السابق: نفسه.

(٣) السابق ص٨٢.

منهما برجل منه ولم يحتج بآخر منه كالحديث الذى يروى عن طريق شعبة مثلاً عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فإن مسلمًا احتج بحديث سماك إذا كان من رواية الثقات عنه ولم يحتج بعكرمة واحتج البخارى بعكرمة دون سماك، فلا يكون الإسناد والحالة هذه على شروطهما حتى يجتمع فيه صورة الاجتماع. وقد صرح بذلك الإمام أبو الفتح القشيرى وغيره، واحترزت بقولى أن يكون سالما من العلل بما إذا احتجا بجميع رواته على صورة الاجتماع إلا أن فيهم من وصف بالتدليس أو اختلط فى آخر عمره فإنا نعلم فى الجملة أن الشيخين لم يخرجا من رواية المدلسين بالعنعنة إلا ما تحققا أنه مسموع لهم من جهة أخرى وكذا لم يخرجا من حديث المختلطين عمن سمع منهم بعد الاختلاط إلا ما تحققا أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط. فإذا كان كذلك لم يخرج الحكم للحديث الذى فيه مدلس قد عنعنه أو شيخ سمع ممن اختلط بعد اختلاطه - بأنه على شرطهما وإن كانا قد أخرجا ذلك الإسناد بعينه إلا إذا صرح المدلس من جهة أخرى بالسماع وصح أن الراوى سمع من شيخه قبل اختلاطه، فهذا القسم يوصف بكونه على شروطهما أو على شروط أحدهما، ولا يوجد فى المستدرك حديث بهذه الشروط لم يخرجا له نظيرًا أو أصلاً إلا القليل كما قدمناه. نعم وفيه جملة مستكثرة بهذه الشروط لكنه مما أخرجها الشيخان أو أحدهما - استدركها الحاكم واهما فى ذلك ظانا أنهما لم يخرجاها"(١).

أى أنهما لم يخرجا للمدلسين والمختلطين إلا بعد النقد والتنقير والبحث وتمييز الصحيح من غيره عند هذين النوعين من الرواة.

والنص السابق يدل على أن الحاكم -أحيانًا- لم يراع هذا الأمر.

---

(١) السابق ص ٨٣.

ثم قال ابن حجر: **القسم الثانى:** أن يكون إسناد الحديث قد أخرجاه لجميع رواته لا على سبيل الاحتجاج بل فى الشواهد والمتابعات والتعاليق أو مقرونا بغيره. ويلتحق بذلك ما إذا أخرجا لرجل وتجنبا ما تفرد به أو ما خالف فيه، كما أخرج مسلم من نسخة العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة - ﷺ - ما لم يتفرد به. فلا يحسن أن يقال: إن باقى النسخة على شرط مسلم؛ لأنه ما خرج بعضها إلا بعد أن تبين أن ذلك مما لم ينفرد به، فما كان بهذه المثابة لا يلتحق أفراده بشرطهما. وقد عقد الحاكم فى كتاب المدخل بابا مستقلاً ذكر فيه من أخرج له الشيخان فى المتابعات وعدد ما أخرجا من ذلك، ثم إنه مع هذا الإطلاع يخرج أحاديث هؤلاء فى المستدرك زاعما أنهما على شرطهما. ولا شك فى نزول أحاديثهم عن درجة الصحيح بل ربما كان فيها الشاذ والضعيف لكن أكثرها لا ينزل عن درجة الحسن. والحاكم وإن كان ممن لا يفرق بين الصحيح والحسن بل يجعل الجميع صحيحا تبعا لمشايخه كما قدمناه عن ابن خزيمة وابن حبان. فإنما يناقش فى دعواه أن أحاديث هؤلاء على شرط الشيخين أو أحدهما، وهذا القسم هو عمدة الكتاب"(١).

أما **القسم الثالث** عنده فقد كان يورد فيه مرويات لرواة سبق له أن ضعفهم؛ قال ابن حجر: "**القسم الثالث:** أن يكون الإسناد لم يخرجا له لا فى الاحتجاج ولا فى المتابعات. وهذا قد أكثر منه الحاكم فيخرج أحاديث عن خلق ليسوا فى الكتابين ويصححها؛ لكن لا يدعى أنها على شرط واحد منهما، وربما ادعى ذلك على سبيل الوهم، وكثير منهم يعلق القول بصحتها على سلامتها من ضعف

---

(١) السابق ص ٨٤.

بعض رواتها. كالحديث الذى أخرجه من طريق الليث عن إسحاق بن بزرج عن الحسن بن على فى التزين للعيد. قال فى أثره: "لولا جهالة إسحاق لحكمت بصحته وكثير منها لا يتعرض للكلام عليه أصلاً. ومن هنا دخلت الآفة كثيرًا فيما صححه، وقل أن تجد فى هذا القسم حديثا يلتحق بدرجة الصحيح فضلا عن أن يرتفع إلى درجة الشيخين – والله أعلم-. ومن عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال بعد روايته: هذا صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن. مع أنه قال – فى كتابه الذى جمعه فى الضعفاء: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه[1]. وقال فى آخر هذا الكتاب: فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندى جرحهم؛ لأن الجرح لا أستحله تقليدا. انتهى. فكان هذا من عجائب ما وقع من التساهل والغفلة"[2].

ولم يقف الأمر عند عدم مراعاة الحاكم للتفصيل فى الرواة الذين أخرج لهم الشيخان بل تعدى الأمر إلى أن "يصحح على شرطهما بعض ما لم يخرجا لبعض رواته، فيحمل ذلك على السهو والنسيان ويتوجه به حينئذ عليه الاعتراض. والله أعلم"[3].

وبعد المستدركات والمستخرجات والتساهل الذى دخل من أصحابها، جاء الترمذى، الذى أدخل مصطلحًا خاصًا به وهو الحسن لغيره، وابن حجر الذى أراد تفسير اصطلاحه هذا زاد مصطلحًا هو (الحسن لذاته) وكان يدخل فى الصحيح عند

---

(١) الميزان ٢/٥٦٤

(٢) السابق ص٨٥.

(٣) السابق ص٨٦.

المتقدمين، أما الحسن لغيره فهو خاص بالترمذى، وقد دخل التساهل فى التصحيح والتحسين على الحديث من قِبل الترمذى. قال ابن تيمية – كما نقله ابن حجر-: "إنما هذا اصطلاح للترمذى. وغير الترمذى من أهل الحديث ليس عندهم إلا صحيح وضعيف. والضعيف عندهم ما انحط عن درجة الصحيح، ثم قد يكون متروكا وهو أن يكون راويه متهما أو كثير الغلط، وقد يكون حسنًا بأن لا يتهم بالكذب، قال: وهذا معنى قول أحمد: العمل بالضعيف أولى من القياس"[1].

إن ابن تيمية يرى أن الضعيف عند أحمد هو الحسن لغيره عند المتأخرين.

ويستحيل فهم مصطلحٍ (الحسن لغيره) عند الترمذى دون معرفة مصطلح الحسن عند الخطّابى. قال الأخير فى تعريفه: "هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله، قال: وعليه مدار أكثر الحديث، وهو الذى يقبله أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء"[2].

ثم علق ابن كثير قائلاً: "قلت: فإن كان المعرف هو قوله (ما عرف مخرجه واشتهر رجاله" فالحديث الصحيح كذلك، بل والضعيف. وإن كان بقية الكلام من تمام الحد، فليس هذا الذى ذكره مسلمًا له: أن أكثر الحديث من قبيل الحسان، ولا هو الذى يقبله أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء[3].

أما الترمذى فقد نقل ابنُ كثير تعريفه فقال: "وروينا عن الترمذى -القائل ابن الصلاح- أنه يريد الحسن: أن لا يكون فى

---

(١) السابق ص١١٩.

(٢) اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٣١ مع الباعث.

(٣) السابق ص٣١.

إسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون حديثا شاذًا، ويروى من غير وجه نحو ذلك[١].

وقال ابن حجر - معلقا على تعريف الخطابى والترمذى-: "أقول بين الخطابى والترمذى فى ذلك فرق، وذلك أن الخطابى قصد تعريف الأنواع الثلاثة عند أهل الحديث، فذكر الصحيح ثم الحسن ثم الضعيف. وأما الذى سكت عنه وهو: حديث المستور إذا أتى من غير وجه فإنما سكت عنه؛ لأنه ليس عنده من قبيل الحسن. فقد صرح بأن رواية المجهول من قسم الضعيف وأطلق ذلك ولم يفصل، والمستور قسم من المجهول، وأما الترمذى؛ فلم يقصد التعريف بالأنواع المذكورة عند أهل الحديث بدليل أنه لم يعرف بالصحيح ولا بالضعيف ولا بالحسن المتفق على كونه حسنا بل المعرف به عنده وهو حديث المستور على ما فهمه المصنف بسبب سوء الحفظ والموصوف بالغلط والخطأ وحديث المختلط بعد اختلاطه والمدلس إذا عنعن وما فى إسناده انقطاع خفيف. فكل ذلك عنده من قبيل الحسن بالشروط الثلاثة، وهى: أن لا يكون فيهم من يتهم بالكذب. - ولا يكون الإسناد شاذا وأن يروى مثل ذلك الحديث أو نحوه من وجه آخر فصاعدا، وليس كلها فى المرتبة على حد سواء بل بعضها أقوى من بعض. وما يقوى هذا ويعضده أنه لم يتعرض لمشروطية اتصال الإسناد أصلاً، بل أطلق ذلك، فلهذا وصف كثيرًا من الأحاديث المنقطعة بكونها حسانا[٢].

ثم أخذ فى بيان ما توصل إليه بالأدلة العملية من الأمثلة المتبوعة بنقد المرويات قال ابن حجر: "ولنذكر لكل نوع من ذلك

---

(١) السابق ص ٣١.

(٢) النكت على ابن الصلاح لابن حجر ص ١٢٠.

مثلاً من كلامه، يؤيد ما قلناه، فأما أمثلة ما وصفه بالحسن وهو من رواية المستور فكثيرة لا يحتاج إلى الإطالة بهـا"(١). والحـق أن الحسن "لغيره" عند الترمذى له أصل صحيح فالرجل أراد أن يقوى الأصل بالشواهد والمتابعات فيبدو أن الصحيح عنـده أقـل مـن الصحيح الذى له شواهد ومتابعات، وهذا يفيد فى الترجيح والناسخ والمنسوخ للوصول إلى الرأى الراجح فى الفقه، فالكتاب يختص بالسنن النبوية. (٢).

قال ابن حجر: فمن أمثلة ما وصفه بالحسن وهـو مـن روايـة الضعيف السيئ الحفظ – ما رواه من طريق شعبة عن عاصم بـن عبيد الله عن عبد الله بن عامر ابن ربيعة عن أبيه قال: " إن امـرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله –ﷺ–: أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟ قالت: نعم. قال: فأجازه النبى – ﷺ – قال الترمذى: هذا حديث حسن. ثم ذكر ابن حجر أنه فى الباب عن عمر وأبى هريرة وعائشة وأبى حدود –رضي الله عنه– وذكر جماعـة غيـرهم. وعاصم بن عبيد الله قد ضعفه الجمهور ووصـفوه بسـوء الحفـظ وعاب ابن عيينة على شعبة الرواية عنه. وقد حسن الترمذى حديثه هذا لمجيئه من غير وجه كما شرط – والله أعلم–(٣). وحديث عمر أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى والإمـام أحمد فى مسنده(٤).

---

(١) السابق نفسه.

(٢) نبه ابن الصلاح إلى أنه "لا يلزم ورود الحديث من طرق متعددة كحديث الأذنان من الرأس: أن يكون حسنا؛ لأن الضعف يتفاوت فمنه مالا يـزول بالمتابعـات، يعنى كونه تابعا أو متبوعا" اختصار علوم الحديث ص٣٣ مع الباعث الحثيث.

(٣) النكت ص ١٢٠-١٢١ والحديث أخرجه الترمذى فى النكاح برقم ٣/١١ ثم قال: حديث حسن صحيح ولم يقتصر على التحسين.

(٤) أبو داود برقم ٢١٠٦، الترمذى برقم ٤/١١، والنسـائى ٦/٩٦، وابـن ماجـه ١٨٨٧، والدارمى ٢٢٠٦ وأحمد فى مسنده ١/٤٨.

وحديث أبى هريرة أخرجه مسلم فى النكاح[1]. وحديث عائشة أخرجه أحمد فى مسنده[2]. وحديث أبى حدرد رواه أحمد أيضا فى مسنده[3].أى أن للحديث أصلاً صحيحًا فالترمذى يحق له أن يورد فى الشواهد ما شاء من مرويات ثم قال ابن حجر: "ومن أمثلة ما وصفه بالحسن وهو من رواية الضعيف الموصوف بالغلط والخطأ ما أخرجه من طريق عيسى بن يونس عن مجالد، عن أبى الوداك، عن أبى سعيد - ﷺ - قال: كن عندنا خمر ليتيم، فلما نزلت المائدة سألت رسول الله ﷺ - فقلت: "إنه ليتيم"، فقال الرسول ﷺ أهريقوه قال: "هذا حديث حسن". قلت: ومجالد ضعفه جماعة ووصفوه بالغلط والخطأ وإنما وصفه بالحسن لمجيئه من غير وجه عن النبى - ﷺ - من حديث أنس وغيره- ﷺ [4].

والحديث أخرجه الترمذى فى البيوع[5]. وحديث أنس أخرجه مسلم فى الأشربة[6]. أى أن حُسن رواية الترمذى جاء من أن للرواية أصلاً صحيحًا عند مسلم فهى حسنة لغيرها.

وزاد ابن حجر: "وأشد من هذا ما رواه من طريق الأعمش عن إسماعيل ابن مسلم عن الحسن عن عبد الله ابن مغفل - ﷺ - فى الأمر بقتل الكلاب وغير ذلك قال: هذا حديث حسن. قلت: وإسماعيل اتفقوا على تضعيفه ووصفه بالغلط وكثرة الخطأ لكنه عضده بأن قال: روى هذا الحديث من غير وجه عن الحسن مثله،

(١) ٢/١٠٤٠، الحديث ١٤٢٤/٧٥.
(٢) ٦/٨٢.
(٣) ٣/٤٤٨.
(٤) النكت ص ١٢١.
(٥) برقم ١٢٦٣.
(٦) ٣/١٥٧٣- الحديث ١٩٨٣/١١.

يعنى لمتابعة إسماعيل بن مسلم عن الحسن-[١]. والحديث أخرجه الترمذى[٢]. وله من المتابعات ما أخرجه أبو داود[٣]. والترمذى[٤].والنسائى[٥]. وابن ماجه[٦]. وأحمد[٧]، والدارمى[٨].

وذكر ابن حجر أمثلة أخرى فقال: "ومثله ما رواه من طريق على بن مسهر، عن عبيدة بن معتب عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة- رضي الله عنها - قالت: كنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا رسول الله - ﷺ - بقضاء الصيام، ولا يأمرنا بقضاء الصلاة". قال: هذا حديث حسن. قلت: وعبيدة ضعيف جدًا قد اتفق أئمة النقل على تضعيفه إلا أنهم لم يتهموه بالكذب ولحديثه أصل من حديث معاذة، عن عائشة - رضي الله عنها - مخرج فى الصحيح[*]؛ فلهذا وصفه بالحسن ويؤيد هذا ما رويناه عن أبى زرعة الرازى أنه سئل عن أبى صالح كاتب الليث؛ فقال: لم يكن ممن يتعمد الكذب، ولكنه كان يغلط وهو عندى حسن الحديث"[٩].

ثم ساق مثالاً على ما وصفه بالحسن وهو من رواية من سمع من مختلط بعد اختلاطه، ثم قال: وإنما وصفه بالحسن لمجيئه من

---

(١) النكت ص١٢٢.
(٢) برقم ١٤٨٩.
(٣) برقم ٢٨٤٥.
(٤) برقم ١٤٨٦.
(٥) ٧/١٦٣
(٦) ٣٢٠٥
(٧) ٤/٨٥
(٨) برقم ٣٠١٤.
(*) أخرجه البخارى فى الحيض ١/٥٠١ رقم ٣٢١، ومسلم فى الحيض ١/٢٦٥، رقم ٦٧/٣٣٥.
(٩) النكت ص ١٢٢ - ١٢٣.

أوجه أخر[1]. وهو رواية مدلس قد عنعن، وقال: وإنما وصف بالحسن لأن له شواهد من حديث عبد الله بن مسعود وغيره"[2].

ثم ساق مثالاً لما وصفه بالحسن وهو منقطع الإسناد؛ لأن له شواهد مشهورة[3]. ثم قال ابن حجر: "إلى غير ذلك من الأمثلة. وذلك مصير منهم إلى أن الصورة الاجتماعية - يقصد اجتماع الطرق والشواهد(*)- لها تأثير فى التقوية. وإذا تقرر ذلك كان من رأيه - أى الترمذى- أن جميع ذلك إذا اعتضد لمجيئه من وجه آخر أو أكثر نزل منزلة الحسن احتمل أن لا يوافقه غيره على هذا الرأى أو يبادر للإنكار عليه إذا وصف حديث الراوى الضعيف أو ما إسناده منقطع بكونه حسنا فاحتاج إلى التنبيه على اجتهاده فى ذلك، وأفصح عن مقصده فيه ولهذا أطلق الحسن لما عرف به فلم يقيده بغرابة ولا غيرها، ونسبه إلى نفسه وإلى من يرى رأيه، فقال: "عندنا كل حديث.....إلى آخر كلامه الذى ساقه شيخنا بلفظه"[4].

إن مصطلح الترمذى خاص به فقط وهو نقطة فى بحر من آراء المحدثين فى تعريف (الحسن)، والفهم الوحيد له أن للحديث أصلاً صحيحًا والراوى متكلم فى ضبطه لا عدالته رواه من طريق آخر، أى أن الضعيف صار حسنًا لغيره، وإن شئت فقل بسبب غيره الصحيح.

ثم زاد ابن حجر الأمر تفصيلاً وتحريرًا، فقال كلامًا، سيكون من الأفضل إيراد نص ابن الصلاح أولاً بتمامه؛ لأن ابن حجر لم

---

(١) السابق ص ١٢٣.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق ص ١٢٤.

(*) من عندى.

(٤) السابق ص ١٢٥.

يورده كاملاً فى النكت، قال ابن الصلاح- كما نقله ابن كثيـــر-: "قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وقال بعض المتأخرين الحديث الذى فيه ضعف قريب محتمل، هو الحديث الحسن، ويصلح للعمل به. ثم قال الشيخ: وكل هذا مستبهم لا يشفى الغليل، ولـــيس فيمـــا ذكره الترمذى والخطابى ما يفصل الحسن عـــن الصـــحيح. وقـــد أمعنت النظر فى ذلك والبحث فتنقح لى واتضح أن الحديث الحسن قسمان: أحدهما: الحديث الذى لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطـــأ، ولا هـــو مـــتهم بالكذب، ويكون متن الحديث قد روى مثله أو نحوه من وجه آخر فيخرج بذلك عن كونه شاذًا أو منكرًا. ثم قال: وكلام الترمذى على هذا القسم يتنزل قال: القسم الثانى: أن يكون راوية من المشهورين بالصدق والأمانة، ولم يبلغ درجة رجال الصـــحيح فـــى الحفـــظ والإتقان، ولا يعد ما ينفرد به منكرا، ولا يكون المـــتن شـــاذًا ولا معللاً. قال: وعلى هذا يتنزل كلام الخطابى، قال: والذى ذكرنـــاه يجمع بين كلاميهما[1].

لقد قال ابن حجر بعد أن أثبت أن لأحاديث الترمذى الحسنة - لغيرها بمصطلح الترمذى - أصلاً صحيحا- قال: "وإذ تقرر ذلـــك وراءه أمر آخر. وذلك أن المصنف - ابن الصلاح - وغير واحد نقلوا الاتفاق على أن الحديث الحسن يحتج به كما يحتج بالصحيح، وإن كان دونه فى المرتبة. فما المراد على هذا بالحديث الحســـن الذى اتفقوا فيه على ذلك، هل هو القسم الذى حـــرره المصـــنف، وقال: إن كلام الخطابى يتنزل عليه. وهو رواية الصدوق المشهور بالأمانة.. إلى آخر كلامه؟ أو القسم الذى ذكرناه آنفًا عن الترمذى

---

(١) اختصار علوم الحديث ص ٣٢-٣٣.

مع مجموعة أنواعه التى ذكرنا أمثلتها؟ أو ما هو أعم من ذلك؟ لم أر من تعرض لتحرير هذا. والذى يظهر لى أن دعوى الاتفاق إنما تصح على الأول دون الثانى، وعليه أيضا يتنزل قول المصنف. إن كثيرًا من أهل الحديث لا يفرق بين الصحيح والحسن كالحاكم... وكذا قول المصنف: إن الحسن إذا جاء من طرق ارتقى إلى الصحة فأما ما حررنا عن الترمذى أنه يطلق اسم الحسن على الضعيف والمنقطع إذا اعتضد، فلا يتجه إطلاق الاتفاق على الاحتجاج به جميعه ولا دعوى الصحة فيه إذا أتى من طرق. ويؤيد هذا قول الخطيب: أجمع أهل العلم أن الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به[١].

إن الترمذى نفسه لا يحتج بالحسن -أحيانا- الذى هو اصطلاح خاص به. و "يدل على أن الحديث إذا وصفه الترمذى بالحسن لا يلزم عنده أن يحتج به أنه أخرج حديثا من طريق خيثمة البصرى عن الحسن عن عمران بن حصين - ﷺ - وقال بعده: هذا حديث حسن وليس إسناده بذاك. وقال فى كتاب العلم بعد أن أخرج حديثا فى فضل العلم: هذا حديث حسن. قال: وإنما لم نقل لهذا الحديث صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه فرواه بعضهم عنه، قال: حدثت عن أبى صالح عن أبى هريرة - ﷺ". انتهى. فحكم له بالحسن للتردد الواقع فيه، وامتنع عن الحكم عليه بالصحة لذلك، لكن فى كلا المثالين نظر، لاحتمال أن يكون سبب تحسينه لهما كونهما جاءوا من وجه آخر كما تقدم تقريره. لكن محل بحثنا هنا هل يلزم من الوصف بالحسن الدكم له[٢]. بالحجة أم لا؟ هذا الذى

---

(١) النكت ص١٢٦.

(٢) السابق ص ١٢٦ - ١٢٧.

يتوقف فيه، والقلب إلى ما حرره ابن القطان أميل. وما حرره ابن القطان أورده ابن حجر فى موضع سابق فقال: "وقد صرح أبو الحسن بن القطان أحد الحفاظ النقاد من أهل المغرب فى كتابه "بيان الوهم والإبهام" بأن هذا القسم لا يحتج به كله بل يعمل به فى فضائل الأعمال ويتوقف عن العمل به فى الأحكام إلا إذا كثرت طرقه أو عضده اتصال عمل أو موافقة شاهد صحيح أو ظاهر القرآن(١).

وأقول لابن القطان لقد فتحت بابًا مغلقًا - متابعًا فى ذلك بعض القدماء- لدخول الضعيف فى أحاديث الرسول ﷺ، إن الترمذى- من خلال الواقع النقدى للمرويات- كان لا يحتج بالحسن لغيره فى الأحكام وغيرها إلا إذا كان له أصل صحيح والمتن موافق لغيره لكنه جاء من طريق ضعيف، والأصل إذا كان صحيحًا كان التساهل فى الطرق الأخرى - الشواهد والمتابعات - غير ضار. وحمل الحسن عند الترمذى على غير هذا مجانب للصواب والبحث العلمى. إن العبارة التى أراد الترمذى التعبير بها قد خانته لأن علماء الحديث يعلمون تماما أن الراوى الذى يستشهد به - شواهد متابعات- هو ضعيف الضبط فقط، بشرط توفر العدالة؛ لكنه قال: "لا يكون راوية متهما بالكذب". وبين الشواهد والمتابعات وعدم الاتهام بالكذب درجات من الرد والترك، فهناك فاحش الوهم والخطأ - دون عمد- وهو متروك أيضا ومردودة روايته مع أنه ليس متهما بالكذب، وهناك المختلطون الذين لم يتميز حديثهم القديم من غيره، والمدلسون تدليسا شديدًا، وهناك المراسيل الضعيفة.

إن موقف الترمذى هنا هو نفس موقف الشافعى من مراسيل سعيد بن المسيب لقد صححها؛ لأنها وردت مسندة من طرق

---

(١) السابق ص١٢٦.

أخرى، والترمذى حسن بعض المرويات لورودها من طرق أخرى صحيحة. وعدم دقة العبارة قد يُدخِل- بل دخلها بالفعل- على السنة ما ليس منها.

قال ابن حجر: "نقل النووى اتفاق الحفاظ على ضعفه- حديث من حفظ على أمتى أربعين حديثا- مع كثرة طرقه - والله أعلم"(١).

إن المروى لو جاء من ألف طريق -فى رأيى- عن رواة ضعف ضبطهم وليس له أصل صحيح، يكون مردودًا، ومن أراد التأكد فليرجع إلى كتب العلل والسلسلة الضعيفة للشيخ الألبانى.

وعلى سبيل المثال إذا جاء حديث موصولاً وفيه ضعف ينجبر ومرسلاً صحيحًا فالحديث يحسن بذلك، لكن ينبغى التنبيه إلى أن الطريق التى نعدها متابعة للطريق الضعيفة هل هى من نفس الطريق ومن نفس الصحابى ومخرجها واحد أم أنها من طريقين مختلفين؟ فإن كانت من جهتين مختلفتين فهذه تقوى تلك، أما إذا كان الصحابى واحدًا وكان المخرج واحدًا فيحكم للراجح، فقد يحكم على ذلك بعلة الحديث، ولا تكون هذه الطرق نافعة بل هى التى تضر، إنه لابد من التفريق بين الطريق التى تكون متابعة ومقوية للطريق الأخرى الضعيفة، وبين الطرق التى تعلها وتزيدها ضعفًا(٢). ومن ينظر فى كتب العلل يجد شواهد كثيرة على هذا الأمر؛ فقد يكون الصواب فى أن الرواية مرسلة، والصحيح إرسالها، وكذلك وقفها، والذى يجب التنبيه إليه أنه لا يصح أن يقال: إن المسند يقوى المرسل فينجبر الضعف، وكذلك الموقوف يقويه المسند فينجبر الضعف. إن المرسل والموقوف قد يقويان المسند وقد يعلانه.

---

(١) النكت ص ١٣٣، الميزان ٣/٥٩٥.

(٢) إتحاف النبيل ص١٥٧.

ويدل على ما سبق أنهم يفرقون بين (مرسل صحيح) و (صحيح مرسلاً)، فالقول الأول يقال في الحديث المرسل وسنده إلى التابعى صحيح، والمرسل من جملة الضعيف في قول جمهور أهل العلم. والقول الثاني يشير إلى أن الحديث اختلف فيه؛ فرواه بعض الرواة مسندًا وراء آخرون مرسلا، والمرسلون أكثر وأحفظ من الذين أسندوه فيقال: "صحيح مرسلا" أى صحيح حال كونه مرسلاً، ومن أسنده فقد، وهم[1].

إن رفع المراسيل والموقوفات قد يكون دليلاً على الاختلاط والوهم فلا يقال حينئذ إن مجموع الطرق يقوى المروى ويجعله صالحًا للحجية. والواقع العملي لنقد المرويات هو الفيصل في كل هذه الأمور.

٥- معيار ومصطلح الرحلة في طلب العلم (الحديث النبوى):

ربط القرآن الإيمان والمعرفة بالسير فى الأرض، قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت الآية ١٩، ٢٠].

ويقتضى هذا السيرُ فى الأرض الذى أمر الله به تتبع الجزئيات، ودراسة تكوينها، ودراسة نشأتها، لاستنتاج القوانين والقواعد الكلية التى تبين لهم كيف بدأ الله الخلق، وهذا هو منهج الاستقراء بعينه، ولا يخفى على الباحث فى كتاب الله ما يشتمل عليه هذا الكتاب من دفع إلى اتخاذ طريق الاستقراء – بقسميه التام والناقص– وسيلة

---

(١) ضوابط المعرفة ص١٩١.

إلى تحصيل المعارف. وحين يوجه القرآن إلى دراسة الطبيعة لمعرفة كيف بدأ الله الخلق، فإنه يوجه إلى طريقة الاستقراء بالسير فى الأرض وتتبع دراسة الجزئيات الكونية لتكون هذه الجزئيات هادية لهم إلى معرفة الحقيقة الكلية(١).

والرحلة عند المحدثين لم تكن لدراسة طبيعة الأرض والقشرة الأرضية واكتشاف البلاد، بل كانت لجمع الحديث النبوى، ومقابلة الرواة للحكم عليهم من خلال عدالتهم -أخلاقهم- وضبطهم. وللمزيد من المعرفة الحديثية حيث يستأثر بعضهم بمرويات عن الآخرين نظرًا لرحلات الصحابة إلى الأقاليم للدعوة والإمارة والقضاء ونشر العلم بفروعه فى الأمصار.

قال ابن حبان فى ترجمة عبد الله بن وهب النَّسوى: "وهذا شيخ ليس يعرفه كل إنسان إلا من تتبع حديثه. ولم يكن لنا همة فى رحلتنا إلا تتبع الضعفاء والتنقير عن أنبائهم وكتابة حديثهم للمعرفة والسبر، وقال أيضا: "كلها موضوعة، تتبعت حديثه فكأنه اجتمع مع أحمد بن عبد الله الجويبارى واتفقا على وضع الحديث"(٢).

وقال فى ترجمة (أحمد بن العباس بن عيسى بن هارون بن سليمان): ذهبت إليه بالبصرة فى بنى مناف فرأيته يقلب الأخبار ويهم فى الآثار الوهم الفاحش..... لا يحل الاحتجاج به بحال سألته أن يملى على فأملى على أحاديث أكثرها مقلوبة من ذلك..."(٣).

ويلاحظ أن للرحلة دورا كبيرًا فى الحكم على الراوى، فهو بمثابة الظاهرة، على الناقد أن يحتك بها مباشرة ليلاحظها بحواسه الخمس ويحكم عليها بما تستحقه.

---

(١) ضوابط المعرفة ص ١٩١.

(٢) المجروحين لابن حبان ٢/٤٢.

(٣) المجروحين ١/١٥٤.

ومن فوائد الرحلة ما جاء فى ترجمة أحمد بن محمد بن الفضل القيسى: "سكن نيسابور فى قرية من قراها خرجت إليه فرأيته فيها واسم القرية (نوكند) فكتبت عنه شبيها بخمسمائة حديث كلها موضوعة بعضها نسخة عن الثقات.. وإنما ذكرت هذا الشيخ ليعرف اسمه فلا يحتج به مخالف أو موافق على من لم ينعم النظر فى أسباب الحديث، ولا دار المدن والقرى فى جمعه فيبقى لا يعرف علته إذا رأى صحة إسناده، ولعل هذا الشيخ قد وضع على الأئمة المرضيين أكثر من ثلاثة آلاف حديث"(١).

إنّ فى النص السابق دلالات منها: أن للرحلة دورًا فى الحكم على الراوى حيث يستطيع الناقد من خلالها أن يستقرىء إحصائيا كم مرويات الراوى، وهى تفيد فى إعمال الناقد نظره - خطوة إجرائية عملية- فهى مع إعمال النظر فى أسباب الحديث - أحد خطوات نقد المتن - تجعل الناقد لا يغتر بصحة السند؛ لأنه ربما يضع الراوى على الثقات، وفى هذه الحالة على الناقد الحصيف أن يبرئهم ويلصق التهمة بمن هو أدنى درجة ومرتبة منهم.

إن الرحلة إلى الراوى لمعرفة مروياته هى فى أحيان كثيرة جدًا - الفيصل فى الحكم على الراوى، حكما موضوعيا؛ لأن العدالة- فى أحيان كثيرة - قد لا تكون الفيصل فى الحكم على الراوى قال ابن حبان: أباء بن جعفر النجيرمى... ذهبت يوما إلى بيته للاختبار فأخرج إلى أشياء خرّجها عن أبى حنيفة.. فرأيته قد وضع على أبى حنيفة أكثر من ثلاثمائة حديث لم يحدث بها أبو حنيفة قط، ولا يحل أن يشتغل بروايته"(٢).

---

(١) السابق، ١/١٥٦.

(٢) السابق ١/١٨٥.

والرحلة أيضا أكبر دليل وخير معين على عدم ظلم الراوى بإطلاق الأحكام العامة عليه، دون الأخذ بالتفصيل، قال ابن حبان فى ترجمة (بقية بن الوليد): "اشتبه أمره على شيوخنا.. سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: توهمت أن بقية لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير فعلمت من أين أتي. قال أبو حاتم - ابن حبان- لم يسبه أبو عبد الله رحمه الله، وإنما نظر إلى أحاديث موضوعة رويت عنه عن أقوام ثقات فأنكرها، ولعمرى إنه موضع الإنكار، وفى دون هذا ما يسقط عدالة الإنسان فى الحديث، ولقد دخلت حمص وأكثر همى شأن بقية فتتبعت حديثه وكتبت النسخ على الوجه وتتبعت ما لم أجد بعلو من رواية القدماء عنه فرأيته ثقة مأمونا؛ ولكنه كان مدلسات سمع من عبيد الله بن عمر وشعبة ومالك أحاديث يسيرة مستقيمة، ثم سمع عن أقوام كذابين ضعفاء متروكين عن عبيد الله بن عمر وشعبة وغير ذلك مثل المجاشع بن عمرو والسرى بن عبد الحميد... وأشباههم وأقوام لا يعرفون إلا بالكنى، فروى عن أولئك الثقات الذين رآهم بالتدليس ما سمع من هؤلاء الضعفاء، وكان يقول: قال عبيد الله بن عمر عن مالك وأسقط الواهى بينهما فالتزق الموضوع ببقية وتخلص الواضع من الوسط، وإنما امتحن بقية بتلاميذ له كانوا يسقطون الضعفاء من حديثه ويسوونه فالتزق ذلك كله به... سألت يحيى بن معين عن بقية بن الوليد فقال: ثقة إذا حدث عن المعروفين، ولكن له مشايخ لا يدرى من هم؟[١].

إن التعميم قاد (عبد الحق) الناقد إلى قوله فى غير حديث: بقية لا يحتج به. وقال أبو الحسن بن القطان: بقية يدلس عن الضعفاء، ويستبيح ذلك، وهذا إن صح مفسد لعدالته، وقال الذهبى - مدافعا: قلت: نعم والله صح هذا عنه، إنه يفعله، وصح عن الوليد بن مسلم،

---

(١) السابق ٢٠٠-٢٠٢.

بل وعن جماعة كبار - فعله - وهذا بلية منهم، ولكنهم فعلوا ذلك باجتهاد وما جوزوا على ذلك الشخص الذى يسقطون ذكره بالتدليس، إنه تعمد الكذب. هذا أمثل ما يعتذر به عنهم، ووافق ابن عدى ابن حبان على عدم التعميم؛ فقال: وبقية يخالف فى بعض حديثه الثقات، وإذا روى عن أهل الشام فهو ثبت، وإذا روى عن غيرهم خلط كإسماعيل[1].

إن الرحلة عند المحدثين أحد الخطوات الإجرائية بالنسبة للرواة والنقاد: الأول يجمع ما ليس فى بلده، والثانى يقيم الرواة بالدليل العملى؛ فالخبر ليس كالمعاينة، والرحلة تؤكد بالدليل العملى أن فلانا مقبول الرواية أو غير مقبول، إنها تعلم دقة ملاحظة سلوك الراوى وضبطه والوصف والتقصى فى تسجيل كل ما يتعلق به. قال ابن حبان فى ترجمة "حميد بن على بن هارون القيسى ذهبت إليه يوما وجماعة من أصحابنا لأختبره فدللنا عليه فى بنى قيس فلما أتينا الراوى من البصرة إذا شيخ يظهر الصلاح والخير فسألته أن يملى علينا شيئًا من حفظه فأملى علينا عن عبد الواحد بن غياث عن حفص بن غياث عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ الأذان والإقامة مثنى مثنى اللهم فأرشد الأئمة واغفر للمؤذنين". فقلت: زدنا فقال....أن رسول الله ﷺ كان يصلى حتى ترم قدماه.. فأملى علينا أحاديث من هذا الضرب فقمنا وتركناه وعلمت أنه لا يخلو أمره من أحد شيئين إما أن يكون هو الذى يتعمد قلب هذه الأحاديث أو قلبت له فحدث بها، فلا يجوز الاحتجاج به بعد روايته مثل هذه الأشياء عن هؤلاء الثقات الذين لم يحدثوا بهذه الأحاديث على هذا النحو، وهذا شيخ ليس يعرفه

---

(١) الميزان ٣٣٥/١-٣٣٧ ويستحسن مقارنته بإسماعيل بن عياش الذى يؤخذ بالتفصيل فى مروياته.

كثير أحد، وإنما ذكرته لعله قد يجئ بعدنا من يحتج بشـيء من رواية هذا الشيخ، ويوهم المستمعين أنه كان ثقة[١].

ومن خلال النص السابق يتأكد لنا أن علماء الحديث لهم منهج فى (التعليم) حيث تقلب له الأحاديث، فلا يستطع -عقله- وبالتالى ذكاؤه- التمييز بين الصحيح والسقيم، إنهم يعرضون روايته على رواية الثقات التى تخالف مروياته. ويعلم قيمة (الاختبار) كل الذين يعانون دراسة المنهجية وفلسفة العلوم.

ومما يدل على أن الرحلة أحد الطرق العملية لمنهج المحدثين فى نقد المرويات أن ابن حبان عَدَّ شعبة بن الحجاج أفضل من مالك - فى نقد الرواة- فقال "أما شعبة ابن الحجاج فهو أكثر رحلة من مالك فى الحديث، وأكثر جولانا فى طلب السنن، وأكثر تفتيشاً فى الأقطار عن شمائل الأخبار... قلنا لابن عون: مالك لا تحدث عن فلان وقد أدركته؟. قال: أمر أبو بسطام بتركه - يعنى شعبة"[٢].

وإذا كان الله سبحانه قد وزع العلم على العلماء، ووزعهم فى أماكن دون أخرى، فإن على الراوى أن يرحل من أجل طلب العلم، قال ابن مهدى: "أئمة الناس فى زمانهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة وسفيان بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعى بالشام"[٣].إن علماء الحديث فى رحلتهم أزالوا العقبات والسدود بين الأقطار، وكانوا متحدين ولم تكن هناك حواجز. كانت هناك (عالمية) لا (عولمة).

إن المحدثين نبهوا إلى ما يسمى الآن بالبعثات العلمية- للحصول على الإجازات من الجامعات الأجنبية[*]- فالراوى

---

(١) المجروحين ٢٦٤/١.

(٢) السابق ٤٦/١.

(٣) السابق ص٤٤.

(*) مع الفارق الزمنى والمكانى والثقافى.

يحصل على إجازة من شيخ معين برواية مروياته أو كتبه، وقد عدوا الراوى الذى يروى من الكتب بصيغة التحديث والسماع = عدوه سارقا.

وتجلت أهمية الرحلة فى دراسة طرق التحمل والأداء عندهم؛ فالسماع - ولا يكون إلا بالرحلة أحيانا- مقدم على غيره من طرق التحمل[1]؛ لأن الإملاء والشيخ يسمعهم ويمليهم - أعلى هذه الصور منزلةً؛ لأن الشيخ والتلميذ يكونان معًا أبعد عن الغفلة، وأقرب إلى التحقيق، وتبيين ألفاظ الحديث.

ونجد عكس مدحهم للسماع والرحلة فى (الوجادة) حيث روى الخطيب البغدادى ما يُفهم منه أن كراهة التحديث بما فى الكتب كانت موجودة منذ عهد الصحابة، روى بسنده إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه أنه قال: إذا وجد أحدكم كتابا فيه علم لم يسمعه من عالم فليدع بإناء فلينقعه فيه حتى يختلط سوداه مع بياضه[2].

وبناء على ما سبق نَهَى وكيعٌ المحدِّثَ أن ينظر فى كتاب لم يسمعه من صاحبه حتى لا يعلق بقلبه منه شئ فيحدث بما لم يسمعه[3].

وقد حكم الإمام أحمد بن حنبل على حفص بن سليمان الأسدى بأنه متروك الحديث بعد علمه أنه أخذ من شعبة كتابًا؛ فلم يرده، وأنه كان يأخذ كتب الناس فينسخها ويحدث بها من غير سماع[4].

---

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٦٩ للقاضى عياض، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، مصر، ط ١٣٨٩هـ- ١٩٧٥م.

(٢) الكفاية ص ٣٥٣ ط الهند.

(٣) السابق: نفسه.

(٤) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٧٤٤/٢/١، وانظر أيضا ١٨٣٣/٢/٢، ٦٧٣/٢/١، ١٣٤/١/٣.

إن علماء الحديث عابوا المرويات التى جاءت من طريق الوجادة وجرحوا رواتها أحيانا؛ لأنها تكون عرضة للتحريف وزيادة ما ليس منها، ومن يقرأ مبحث (المصحف) و(المحرف) يعلم مدى أهمية الرحلة فى طلب الحديث(١).

وقد قال المحدثون: لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة، وكانوا يقيسون همة ونشاط وسداد آراء النقاد من خلال الرحلة، حيث نبهوا على أهمية علو الإسناد وقدموه على الإسناد النازل(٢).

---

(١) توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص ٢٣٣ن دكتوراه مطبوعة، الخانجى، ط١٤٠٠هـ - ١٩٨١م.

(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص٣١٥-٣١٦.

فهرس الموضوعات

المؤلف

* د. خيري قدري.

- من مواليد الجيزة ١٩٦٨م.
- تخرج من قسم اللغة العربية بآداب القاهرة: ليسانس، وماجستير، ودكتوراه.
- عضو هيئة التدريس قسم اللغة العربية، أداب الإسماعيلية، بجامعة قناة السويس.
- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر.
- يهتم باللغويات التطبيقية، وبخاصة جهود علماء الحديث المصطلح والمصطليحة، وبحوثه كلها تصب في هذا الحقل المعرفي.

* صدر له:

- أربعة مؤلفات لتعليم العربية - للناطقين بغيرها، جامعة القاهرة.
- دلالات الإشارات الجسمية عند علماء الجرح والتعديل، ٢٠٠٧.
- معايير ومصطلحات الجرح والتعديل، ج١،٢،٣، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧.
- معجم الجرح والتعديل "عربي إنجليزي"، ٢٠٠٧.
- معجم عبارات المحدثين في نقد المرويات "عربي إنجليزي"، ٢٠٠٧.
- عبارات ابن سعد النقدية في كتابة الطبقات ومراتبها، ٢٠٠٧.

* تحت الطبع:

- ثقافة طه حسين الإسلامية وأثرها على جهوده في توقيق المرويات الأدبية.

من قائمة الإصدارات
دراسات ونقد

هاجس الكتابة	د. أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف علي الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
الخطابة عند الخوارج	أحمد بدران
مستحيل الكتابة	د. أحمد الدوسري
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
في نور آخر (دراسات وإيماءات فى الفن التشكيلى)	إدوار الخراط
التربية السياسية في أدب الأطفال	د. أسماء غريب بيومى
الإعلال عند النحاة واللغويين	د.طاهر قطبى
الاستفهام بين النحو والبلاغة	د.طاهر قطبى
الإضافة أحكامها ودلالتها	د. جميل علوش
مناظرات في اللغة والنحو	د. جميل علوش
الخطاب والقارئ	د. حامد أبو أحمد
دلالات الإشارت الجسمية عند علماء الجرح والتعديل	د.خيري قدرى
معايير ومصطلحات الجرح والتعديل (ج١، ٢، ٣)	د.خيري قدرى
ثقافة طه حسين الإسلامية وأثرها علي جهوده في توثيق المرويات الأدبية (فى الأدب الجاهلى نموذجا)	د.خيري قدرى
عبارات ابن سعد النقدية في كتابة الطبقات	د.خيري قدرى
حفريات نقدية(دراسات فى نقد النقد العربى المعاصر)	د.سامى سليمان أحمد
آفاق النظرية الأدبية الحديثة	د.السيد إبراهيم
المتخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر	د. السيد إبراهيم
إشكالية المصطلح الغربي في ثقافتنا المعاصرة	د. سمير حجازي
الحياة الصوفية وتقاليدها في الموروث الشعبي العربى	د. عادل الألوسى
الجواهر والأحجار الكريمة في التراث والحضارة العربية	د. عادل الألوسى
البحث عن الوثائق (دراسة في وثائقنا القومية)	د. عادل الألوسى
تعالقات الخطاب (السردية والمقالية)	د.عبد الرحمن عبد السلام محمود
البلد البعيد (دراسات في أدب جوته- شيلر....،)	د. عبد الغفار مكاوي
نقد وشعر وقص	د. عدنان الظاهر
الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية (لغة الشارع)	د. عزة عزت
محمد مندور شيخ النقاد	فؤاد قنديل

أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديري
لماذا تكتب المرأة؟	نفيسة الشرقاوى
سلطنة عمان بين التراث والمعاصرة	يوسف الشارونى
أثر الأدب العربي في الأدب الغربي	د. يوسف عز الدين
المشهد القصصي	إدوار الخراط
القصة والحداثة	إدوار الخراط
أنثى النص (مقاربات في الأدب النسوى)	سعد الدين خضر
الصوت والصدي (قراءة في المشهد الإبداعى)	السيد رشاد
إنتاج الدلالة الأدبية	د. صلاح فضل
منهج الواقعية في الإبداع الأدبي	د. صلاح فضل
الإغارة علي الحدود: دراسات في أدب إدوار الخراط	د. ماهر شفيق فريد
قص، يقص: دراسات في القصة والرواية العربية	د. ماهر شفيق فريد
التحليل النفسي للأدب	د. محمد حسن غانم
التشابك الأسلوبي اللغوي في خطاب الليالى	د.محمد نادر
أشكال السرد في القرن الرابع الهجري	د.مصطفى عطيه جمعه
الرواية العربية بين التراث والمعاصرة	مصطفى القذافي
الرواية في زمن الغضب	ممدوح القديري
الرواية العربية: رسوم وقراءات	نبيل سليمان
أوراق في النقد	هيثم يحيى الخواجة
المؤثرات الإسلامية في قصص يوسف الشارونى	مصطفى بيومي
من جراب الحاوي	يوسف الشارونى
في الأدب العماني	يوسف الشاروني
القصة .. تطورًا وتمردًا	يوسف الشاروني
الروائيون الثلاثة	يوسف الشاروني
عبد الله البردوني .. حياته وشعره	د. أحمد عبد الحميد
مزالق الشعراء	د. جميل علوش
من حديث الشعر والشعراء	د. جميل علوش
علي شفا حفرة (اغتراب زكية مال الله)	د. سعيدة خاطر الفارسى
انتحار الأوتاد (اغتراب سعدية مفرح)	د. سعيدة خاطر الفارسى
الأسلوبية والظاهرة الشعرية	د.السيد إبراهيم
الفن والرمز	د.السيد إبراهيم
العلم العروضي لموسيقي الشعر	عباس محمود عامر

الحداثة التموزية(دراسة بنيوية وموضوعية د.عبد الرحمن عبد السلام محمود
في شعر أدونيس والسياب وخليل حاوى)

خطاب الجسد في شعر الحداثة د. عبد الناصر هلال
تراجيديا الموت في الشعر العربي د. عبد الناصر هلال
آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د.عبد الناصر هلال
الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعرى د. مراد مبروك
الشعر السياسي الحديث في العراق د. يوسف عز الدين
المسرح والأسطورة (دراسات فى الظاهرة المسرحية) ادوار الخراط
التراجيديا اليونانية ادوار الخراط
البناء الدرامي في مسرح دورنيمات د. سامية حبيب
الضاحك الباكي (دراسات في المسرح) د. سامية حبيب
الصولجان والقلب (دراسة نقدية لمسرح سعد الله ونوس) د. فاروق أوهان
هبوط وصعود أنكيدو (دراسة وملحمة مسرحية) د. فاروق أوهان
السير الدينية (دراسة مقارنة بين التعازي والجمعة الحزينة) د. فاروق أوهان
التجريب في مسرح السيد حافظ ليلي بن عائشة
دينامية الفعل الدرامي في مسرح السيد حافظ د. مصطفى رمضاني وآخرون
إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ الهواري بن يونس
إشكاليات التأصيل في المسرح هيثم يحيي الخواجة
مسرح الطفل في الكويت محمد زعيمة
حديقة المتعة (تجارب سينمائية عبر العالم) نجاح سفر
سينما الحب والغضب يسري حسين
طقوس الزار محمد مهدي قناوى
الرؤية السينمائية الفكرية بين صلاح أبو سيف ويوسف شاهين محمد حبيش